الوعي الإسلامي

جامعة إسلامية شهرية

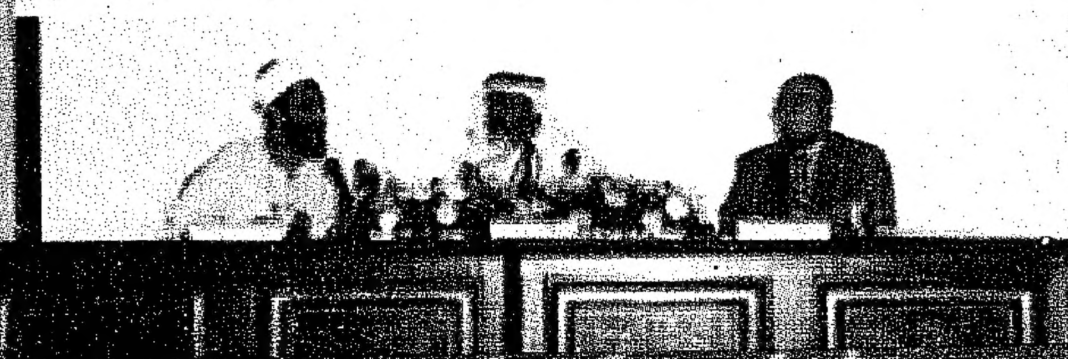
العدد ٣٨٤ – شعبان ١٤١٨هـ – ديسمبر ١٩٩٧م

هديتك مع العدد براعم الإيمان

مرجعية هيئة الفتوى والرقابة الشرعية في المؤسسات المالية الإسلامية

كيف عالج المشروع الإسلامي التخلف وبث الفكر الحضاري؟

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
الندوة الثقافية التلفزيونية الأولى
« التعايش الحضاري في ظل الإسلام »
الاثنين ٣ رجب ١٤١٨هـ الموافق ٣ نوفمبر ١٩٩٧م



الندوة التلفزيونية الأولى لقطاع الشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف:

التعايش الحضاري في ظل الإسلام

اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة

KUWAIT JOINT RELIEF COMMITTIE

تلفون : ٢٤٥٥٥٠٥ ـ فاكس : ٢٤٤٥٧٢٠

ص.ب ٣٤٣٤ الصفاة 13035 الكويت





نداء الرحمة
MERCY CALL



ساهموا معنا في التخفيف عن المعاناة والحد من التشرد أثر الكوارث والنكبات .

كونــوا سبباً في كساء عار أو اطعام جائع أو ايواء لاجــيء أو شــفاء مريــض أو مساندة يتيم.

تبرعكم المادي والعيني يصل إلى مستحقيه من خلال

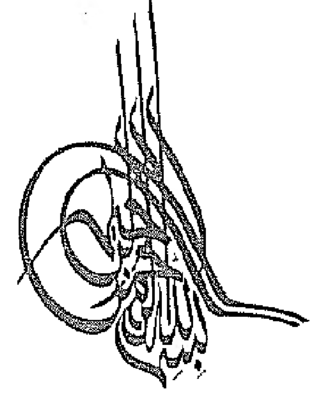
حسابات اللجنة فى بيت التمويل الكويتى

°البوسنة والهرسك	١٧٥٠٦/٨	°بيشاور	٨١٤٥٠/٨	°الشيشان/اذربيجان/البانيا	٣٦٥٨٣/٥
°الصومال وجيبوتى	٩٣٣٢/٠	°بنغلاديش	١٤٤٧٠/٧	° تبرعات اغاثية عامة	٣٦٦٩٢/٠

أو من خلال اتصالكم بالنداء الاغاثي : ٩٣١٧٥٥٧

اعضاء اللجنة

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية — بيت الزكاة — الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية — جمعية الاصلاح الاجتماعي — جمعية احياء التراث الاسلامي — جمعية النجاة الخيرية — جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية — لجنة الفلاح الخيرية — جمعية المعلمين الكويتية — الاتحاد الوطني لطلبة الكويت — الجمعية الطبية الكويتية — جمعية الرعاية الاسلامية — الجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي — الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية — جمعية بيادر السلام النسائية



الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٨٤ - السنة الثانية والثلاثون
شعبان ١٤١٨هـ - ديسمبر ١٩٩٧م

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh

المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 - الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2487210 -
FAX: 965-2431740

هاتف:

٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

وكيل التوزيع:

شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب: ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت:٥/ ٤٨١٦٨٨٤-٤٨٣٥٠٤٧

كلمة العدد

حادثة الأقصر وتطبيق شرع الله

لا يمكن لأي مسلم إلا أن يدين ما فعله الذين فتحوا نيران أسلحتهم على السياح وغيرهم في مدينة الأقصر المصرية ليقتلوا عشرات الناس.

إن هذا الفعل الإجرامي بعيد كل البعد عن الإسلام الذي يكفل الأمن للناس، ولا يعرف الغدر، ولا يرضى عن أي قتل أعمى يحصد أنفساً لم تشهر سلاحاً، ولم تعلن عداء.

وليس بعيداً، كما أشار كثيرون، أن تكون دولة العدو وراء هذا العمل الإجرامي، حتى وإن لم يدرك منفذوه الحمقى ذلك.

لقد دخل الإسلام مئات الملايين من الناس حين عرفوا قيمه الرفيعة، ومبادئه السامية، وعاشوا في ظله، أو تعاملوا مع أبنائه وأتباعه من تجار وغيرهم.

ومازال آلاف الناس في أوروبا وأميركا يدخلون في هذا الدين العظيم، بعد أن وجدوا فيه أمنهم النفسي والاجتماعي، أمنهم الذي افتقدوه في المناهج الكثيرة التي تحكم العالم... أفيريد أولئك المجرمون أن يصوروا الإسلام على أنه الذي يحرم الناس أمنهم، فيقلبوا الأمور على أعقابها؟!

ومن جانب آخر، ندعو الحكومات في العالم المسلم، إلى تطبيق شرع الله كاملاً، طاعة لله أولاً، وحتى يرى العالم حقيقة هذا الدين معاشة في مجتمع مسلم، لا ظلم فيه ولا انحراف، ولا إراقة للدماء فيه إلا بحق.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

داخل الكويت : للافراد ٥ دنانير - للمؤسسات ١٠ دنانير
الدول العربية : للافراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها)
للمؤسسات ١٢ دينار أ كويتياً (أو مايعادلها)
دول العالم: للافراد ١٠ دنانير (او مايعادلها)
للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها)

* ترسل قيمة الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

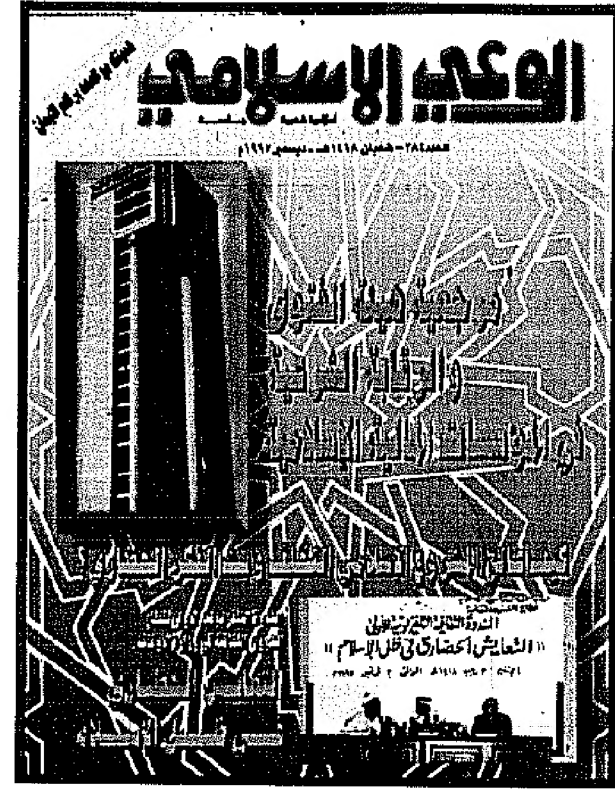
الكويت ٣٥٠ فلسا - السعودية ٤ ريالات - البحرين ٣٠٠ فلس
قطر ٤ ريالات - الامارات ٤ دراهم - سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة
الاردن ٥٠٠ فلس - ج.م.ع جنيه مصري واحد - السودان ٥ جنيهات
موريتانيا ١٢٠ اوقية - تونس دينار واحد - الجزائر ٥ دنانير
اليمن ٥ ريالات - لبنان ١٠٠٠ ليرة - سوريا ٢٠ ليرة
المغرب ٦ دراهم - ليبيا ٥٠٠ مليم - اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله
أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

مطابع السياسة - الكويت

في هذا العدد

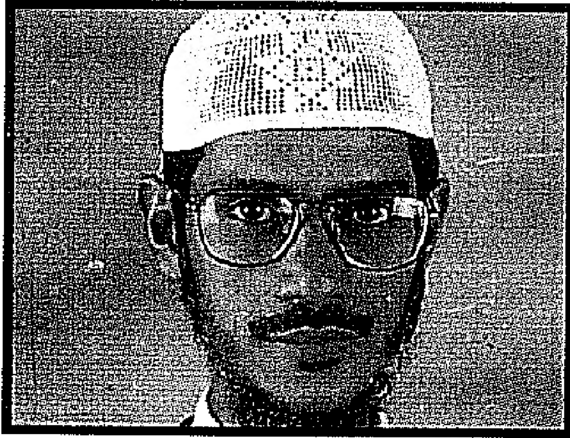


ندوة «التثافي بالقرآن»



اقرأ في الأعداد القادمة

- اللغة العربية ومكارم الأخلاق - د. جابر قميحة
- توجيهات للجاليات الإسلامية في الغرب - د. فاروق مساهل
- الآثار النفسية لممارسة الشدة في التربية لدى ابن خلدون - د. عبدالفتاح العيسوي
- ويسألونك عن الروح - د. نزيه حماد
- التوحيد الديني وثقافة التعددية - د. محمد عمارة
- الإثبات الجنائي في الشريعة الإسلامية - د. إبراهيم الغماز



ــ حوار مع الدكتور ذاكر عبدالكريم رئيس مؤسسة البحث الإسلامي في الهند -

تمام أحمد



مرجعية هيئة الفتوى والرقابة الشرعية في المؤسسات المالية الإسلامية

٥٤ اللجان الشرعية في المؤسسات المالية الإسلامية في الكويت لابد لها من مرجعية فقهية واحدة تسددها وتوجهها وتمنع تخلخل الثقة من قبل بعض المستفتين في دقة هذه اللجان.

ضمور الجانب الجماعي في حياة المسلم المعاصر

٦٢ ما العوامل التي أدت إلى ضمور الجانب الجماعي في حياة المسلم المعاصر وكيف عالج الإسلام الجانب الجماعي في حياة المسلم، وما النتائج التي أفرزتها تلك المعالجة على مدار التاريخ؟

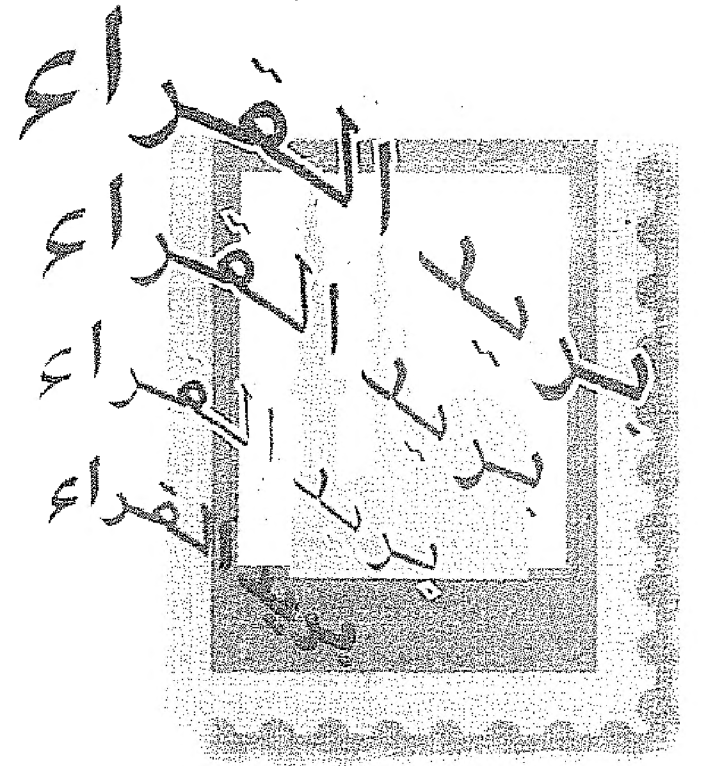
أمتنا والغزو الثقافي

٨٦ هل ما تتعرض له أمتنا من غزو تغريبي صهيوني يصح وصفه بأنه غزو ثقافي بقصد القضاء على الهوية المسلمة بكل أبعادها ومضامينها الدينية والفكرية والسلوكية

التثقيف الذاتي بعد المدرسة

٦٤ ليست المدرسة أو الجامعة أو المعهد وحدها هي مؤسسات العلم ومنابعه وهيئاته، لكن هناك مؤسسة التثقيف الذاتي من أجل محاربة الاتكالية والتبعية والفوضى والكسل.

الفهرس



ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

عندما يتطاول سلالة القردة والخنازير

تاريخ اليهود الأسود على مر العصور والأزمان شهد بأنهم أعداء الانسانية كلها فهو حافل بالاجرام والفساد والخبث والشر وإشاعة الفتن والفوضى بين الناس وعقيدة اليهود المنحرفة التي كتبوها بأيديهم هي التي يستمدون منها سلوكهم المنحرف الشاذ في القديم والحديث ولقد حذرنا الله من شرورهم وأذاهم وعدواتهم فقال سبحانه:

﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدي القوم الظالمين﴾[المائدة/٥١].

وقال تعالي:﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن أتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولانصير﴾.[البقرة/١٢٠].

ولاننسى قيام الصهاينة بالتطاول على أشرف المقدسات، وذلك بحرق المسجد الاقصى في ١٩٦٩/٨/٢١م مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجه الى السماء ضاربين عرض الحائط بكل القيم والأعراف والمثل والاخلاق، ثم المذبحة التي ارتكبوها في ساحة المسجد الاقصى اثناء تأدية المسلمين لشعائر الصلاة في لحظة غدر وخيانة، وقد ازدادوا اليوم في سفاهتهم وتطاولهم وقيام بعضهم بنشر ملصقات تحتوي على صور قذرة تسيء الى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهي لاتعبر الا عن خسّهم وحمقهم وحقدهم الدفين للاسلام والمسلمين، ولكن معذرة يارسول الله عما ارتكبوه، فماذا ننتظر من قوم قتلوا من قبل ذلك .الرسل والانبياء وكيف نتوقع من قوم كفروا بالله وأساءوا الأدب معه ووصفوه بالغل قال تعالى:

﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾[المائدة/٦٤].

﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا﴾[الاسراء/٤٣].

واليهود يحاولون بشتى الطرق محاربة العقيدة والدين، وموقفهم العدائي من الدعوة الإسلامية قد بينه الله في قوله:

﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين أشركو﴾[المائدة/٨٢].

ولايستطيعون ان يعيشوا في جو فيه سلام ومؤاخاة ﴿يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[التوبة/٣٢].

○ محمود محمد فودة –
كفر المياسرة – مصر

العبقرية... والنبوة

معجزة الرسول الكريم هي ذاته التي جمعت الكمالات وبلغت في كل كمال ذروته.

وكان خلقه وسيرته هي المعجزة التي تسعى على الأرض وان تبلغ ذاتك الكمال في صفة واحدة، فتبرز فيها وتتفوق على أقرانك فهذه هي العبقرية.

إن تبلغ الذروة في الخطابة فأنت ريموستن.. وإن تبلغ الذروة في الشعر فأنت بيرون. وإن تبلغ الذروة في الزعامة فأنت بوكليس.. وإن تبلغ الذروة في الحكمة فأنت لقمان... وإن تبلغ القمة في فنون الحرب فأنت نابليون.. وإن تبلغ الذروة في التشريع فأنت سولون.

أما ان تكون كل هؤلاء، وان تمنحك الأيام كل صفة فتبلغ فيها غاية المدى دون مدرسة او معلم فهو الاعجاز بعينه، واذا حدث فإنه لايفسر إلا بأنه نبوة ومدد وعون من الله الوهاب وحده وهذا «هو برهاني على نبوة محمد».

من كلمات د. مصطفى محمود
في كتاب محمد صلى الله عليه وسلم محاولة لفهم السيرة النبوية
○ وحيد محمد أبو القاسم علي حسن –مصر

من حقنا أن نهتف!!

هـذه أولى رسائلي اليكم.. فإن اطـلاعي على مجلتكم الغـراء ليس الأول. فقد تشرفت بالعيش وسط عبق الخليج لمدة جاوزت العشر سنوات بحكم أنني كنت معـاراً من وزارة الإعلام المصرية للعمل في دولة قطر.. ومن خلال عملي داخل الحقل الإعلامي كانت مجلة «الـوعي الإسلامي» من تلك المجلات الإسـلامية التي كـانت في بعض القضايـا مرجعـاً لي لبعض كتاباتي وأبحـاثي ومع بعض الزمـلاء الكتاب.. حتـى بعد ان تركنـا الخليج -آسفين- مـازلنا نحرص كل الحرص على الاستفادة -شهرياً- من موضوعات كل عدد من مجلتكم الغـراء..ولاشك أننا وقفنـا طويـلا امام كلمتكم الموضوعية التي حـددت بعض الأدواء التي تئن من وطأتها امتنا الاسلامية تحت عنوان «اليس لنا ان نسأل» في العدد ٣٨١.. ونرد عليكم ياأخي ان من حقك ان تسأل بل تهتف بأعلى صوتك قائلا: ان هناك حربـا شعواء ضد الإسلام والمسلمين وليسـت الساحة امـام اعداء الاسـلام كامنـة في تركيـا فحسب بل في كل شبر من ارض المعمورة.ولعل مـاقصدتم اليـه.. كان في دواخلنـا منذ فترة وحتى اليوم. وإني بروح المسلم اقول لكم: ان الغيرة على أحوالنا وأوحـالنا دفعتني منـذ فترة على وضع آلامنا داخل دفتي كتـاب بلغت صفحـاته ٤٥٠ صفحـة فولـوسكـاب.. وشرفني بتقديمـه وتصديره كل من اصحاب الفضيلة العلماء الأجلاء:-

١- فضيلة الشيخ العلامـة الكبير الشيخ/ محمد الغزالي (رحمه الله)

٢-فضيلة الشيخ المفكر الاسلامي/صلاح ابو اسماعيل (رحمه الله)

٣-فضيلة الشيخ/عبدالله بن إبراهيم الانصاري (رحمه الله)

٤-فضيلة الشيـخ الدكتـور/يوسف القـرضاوي(أطال الله في عمره)

وأسميت هـذا المؤلف «القصـور.. والتقصير.. في موازين أمتنـا» وصحيح ان مصدر الانفعال لتأليف هذا الكتاب كان الحال الذي عليـه اسر قـدسنـا الشريف ومـاهـو حـادث فـوق ارض التين والزيتـون.. ولكن بنظرة عامـة متفحصة على كل عالمنـا العربي والاسـلامي.. استطعنـا ان نحصر مـلامح كثيرة من لـوحـات التقصير..

-تقصير سياسي
-تقصير ثقافي
-تقصير عسكري
-تقصير اجتماعي
-تقصير إعلامي

وايضا هنـاك قصور.. واللـه سبحانـه «يجبر القصور ولا يجبر التقصير»

○ الباحث الإعلامي
اسعد الكاشف

المحرر: شكراً على ثقتكم بالمجلة ونأمل تزويدنا بنسخة من الكتاب حتى نقدمه للاخوة القراء وجزاكم الله كل خير.

تعقيب

قرأت في العدد رقم ٣٨٢ من مجلتكم الغراء في الصفحة ٧٠ تحت عنوان لومنع أب ابنته من مراجعة الطبيب وحـدها. اعتقد ان هذا المقال يشكك عموماً في الاطبـاء الرجال، وكاتب هـذا الخطاب اليكم طبيب اختصاصي نساء وولادة وعمري ٦٣- عاما عملت في أفـريقيا ١٢ عاما. وفي احدى الدول العربية غير الخليجية عشر سنوات وفي بلدي مصر ١٧عاما ولم اسمع خـلالها عن طبيب اعتـدى على مـريضـة. انا على صلـة قـويـة ومستمرة بنقـابة اطباء مصر. لم أر شكـوى من مريضة اعتـدى عليها الطبيب جنسيـا «أي زنا» او حتى خـدش حيـاءها وكما نعلم يتخـرج الطبيب بعد سبع سنوات من الدراسـة وعشر من الدراسات العليا يهيأ فيهـا نفسيا ووجـدانيا إلى ان يـرى ويفحص اجمل الجميلات ويـرى الألوف منهن فلا يتحرك عاطفيا لانه قد تدرب على تلك القاعدة الذهبية ودرءاً للشبهـات والاحوط من الـوقـوع في الفتنة ان يكـون مع الطبيب ممرضة أوسكـرتيرة وذلك لحمايته من اشياء كثيرة اقلهـا ادعاء خدش الحياء، هذا إذا لم يكن معها احد من اهلها أو حتى في وجودهم.

مستشار النساء والولادة

د.عصام الدين احمد سامي

تصويب

نحيطكم علما انه بعـد الاطلاع على مجلة الوعي الإسـلامي العدد ٣٨٢ جمادي الآخرة ١٤١٨هـ اكتوبر ١٩٩٧م. وعلى المقال المنشور ص٣٢ تحت عنوان «قـراءة التاريخ بين الثقافة الغـربية والثقافة الإسـلامية» بقلم على القاضي. في السطـر ١٩ ذكر ان الرسول صلى اللـه عليه وسلم ولد عام ٧٥١م وهذا التاريخ خطأ وصحته ٥٧١م.

نرجـو التنويـه لخطورة هـذا الخطأ واهميتـه في حياة المسلمين عـامة والتاريخ خاصة.

مع تحياتنا لجهودكم المشكورة نحو التوعية الإسلامية ونسأل الله لكم وللعاملين في المجلة التوفيق والسداد.

محمد محمد علي

المنصورة- جمهورية مصر العربية

خطأ مطبعي

ورد خطأ في مجلتكم الموقـرة« الوعي الإسلامـي» العدد ٣٨١-جمادي الأولى١٤١٨هـ-سبتمبر/اكتوبر ١٩٩٧ تحت موضوع «المحرمات من النسـاء والحكمة في ذلك» ص٥١ قـول الحق جل وعـلا: ﴿الا يعلم من خلق وهو الخبير﴾[الملـك/ ١٤] وصحة الآية ﴿ألا يعلم مـن خلق وهو اللطيف الخبير﴾. ولـوقوع الخطأ في نص قـرآني من كتاب اللـه تبارك وتعالى فإن الأمر يوجب التنوية عنه.

والله أسأل أن يوفقني وإياكم لصالح الأعمال وعمل الصالحات.

محمود محمد ابراهيم سويلم

الزقازيق/جمهورية مصر العربية

○**المحرر: شكراً على ملاحظتكم ونأسف لهذا الخطأ المطبعي**

القرآن يربط بين طعامنا والقيامة

لا خلاف أبدا بين آية قرآنية وآية كونية، لأن الذي أنزل القرآن هو الذي خلق الكون، وكلام الله وخلقه لا يختلفان.

قال تعالى: (تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) آل عمران - ٢٧، وقبل أن أسجل تفسير الآية الكريمة، أسأل القارىء الكريم:

هل الطعام الذي أكلته عند أكله كان فيه حياة؟

يقينا لا حياة فيه.

بعد أن أكلته بساعات قلائل تتحول الذرات التي أكلتها إلى خلايا حية، لتعوض ما مات من خلايا جسمك، بل تتخير الطعام الذي تأكله، قلت في كتابي سورة الواقعة ومنهجها في العقائد ص ١٠٩ إن الخلية الحية كالغرفة لها باب وعليه بوّاب، يُدخل إلى الخلية ما تحتاج إليه، ويرفض السماح لما لا تحتاج إليه، مما يضرها، ولا علاقة بين حجم ما يسمح به بواب الخلية، وحتى لا يتصوّر أحد أنه يسمح للذرات الصغيرة، ويعتذر للذرات الكبيرة، لأن الباب لا يتسع لها، لا، إنه يسمح لذرات «البوتاس» ويرحب بها، ولا يسمح بل يصر على عدم دخول ذرات الصوديوم والكلور مع أن الذرات التي يمنع دخولها أصغر بكثير من التي يسمح لها، وهذا البواب العنيد الحريص على سلامة الخلية يسمح بدخول الذرات السكرية ويرحب بها، ولا يسمح بدخول المواد البروتينية.

الخلية كائن حي يتخير غذاءه.

وقد كانت منذ ساعات «ذرة من غذاء، لاروح فيها ولا حياة، فالله سبحانه يُخرج الخلية الحية من الطعام الميت، ولعل هذا هو سر الربط بين حديث القرآن عن الطعام واتباعه بالحديث عن اليوم الآخر دائما، في سورة الرعد آية ٤، (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يُسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)، ثم ينتقل من الحديث عن الطعام إلى الحديث عن القيامة، «وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد) الرعد - ٥.

وفي سورة ق الآيات ٧ - ١١ (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج. تبصرة وذكرى لكل عبد منيب. ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحبَّ الحصيد. والنخل باسقات لها طلع نضيد. رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج)، فانظر الى سرعة الربط بين آيات الطعام وقوله تعالى: كذلك الخروج، أي يوم القيامة، وفي سورة النبأ (١٤ : ١٧) نرى هذا الربط وفي سورة النازعات (٣٣:٣٥) كذلك. وفي سورة عبس آية ٢٤ (فلينظر الإنسان إلى طعامه) وفجأة ينتقل إلى القيامة (فإذا جاءت الصاخة. يوم يفر المرء من أخيه) إن تحويل الطعام من ذرات لا روح فيها - عند الأكل - إلى خلايا حية تتخير غذاءها فتقبل «السكريات» وترفض «البروتينات» فلا تفتح لها باب الخلية، ويقرب للعقول الفطنة كيف يحول الله ذرات التراب إلى أجساد حية، ليبعث من في القبور.

شاهدت «جزرة» تخرج من الأرض، ورأسا من «البطاطا» تتكون في باطن الأرض، فقلت هكذا تتكون الأجساد في الأرض استعدادا للبعث، وشاهدت الأفراخ تشق قشرة البيض لتخرج منها بحركة سريعة بعد سكون طال، فقلت: (يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير) ق - ٤٤.

وبعد: إن الذي يحوّل الطعام الميت إلى خلايا حيّة تتغذى، وتتخير غذاءها، هو الله الذي يحول الذرات الترابية إلى خلق جديد، ويشقق الأرض عنهم سراعا، كما شقق قشر البيض لينشىء خلقا آخر من الأفراخ، إنه وحده يخرج الحي من الميت

وتزعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

أقول ومن ناحية السلوك فالقرآن يربط بين الطعام الذي نأكله وبين الحديث عن البعث يهدف بذلك إلى إنشاء وتكوين ما يسميه علماء النفس «المنعكس الشرطي» بين الطعام والبعث، فكلما رأيت الطعام تذكرت الآخرة.

وهذا ما أراد القرآن أن يثبته في نفوسنا عندما ربط بين الطعام وبين القيامة. كأن الله يقول: كل حلالاً فإن بعد الطعام حساب! إن بعد الدنيا ولذائذها آخرة طويلة، وحساب على كل شيء.

(وأيما لحم نبت من حرام فالنار أولى به) كنز العمال ٣٥٦٩٦.

الشيخ محمود غريب

القدس عربية

القدس عربية وفلسطين عربية وليس لليهود أي حق فيهما نعم هذه حقيقة يعلمها الجميع لكن يأبى أولئك المدعون وصياتهم على الحضارة الحديثة كما أن المتشدقين بالمدنية يأبون إلا أن يقفوا بجانب الصهاينة لا لشيء إلا لحقدهم الدفين وكرههم الأعمى للإسلام والمسلمين.

كل حقائق التاريخ تثبت إن فلسطين عربية بل إن القدس أسسها العرب قبل أن يدخلها العبرانيون بآلاف السنين، فالتاريخ يذكر أن أول من وفد على أرض فلسطين من الشعوب الأموديون ثم جاء بعدهم الكنعانيون «العرب» ومنهم كان الآراميون ثم جاء بعدهم العبرانيون.

فالعبرانيون إذن هم آخر الأجناس صلة بفلسطين - والكنعانيون الذين سبقوا العبرانيين إلى أرض فلسطين هم في الحقيقة عرب من سكان الجزيرة العربية ويؤكد ذلك «الطبري وابن خلدون وجيمس هنري بريستد».

○ محمد عبدالفتاح علي بخيت

مظاهر الخلل في التماسك الاجتماعي

يعتبر التماسك الاجتماعي عاملاً رئيساً في النظام الاجتماعي بشكل عام وذلك بالحفاظ على وحدة المجتمع من التصدع والتفكك والانهيار، وكلما كانت تعاليم الله سبحانه وتوجيهات النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ماثلة في النفوس سارية في العلاقات بين الناس كان شأن التماسك الاجتماعي قوياً صلباً راسخاً وأدى ذلك إلى استقرار المجتمع وأمنه، وهذا بدوره يؤدي إلى رقي المجتمع وتقدمه ونموه

رغم خطاب الله تبارك وتعالى للبشر بتقوى الله تعالى بقوله جل وعلا: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)(١) النساء.

ورغم توكيد الباري سبحانه وتعالى بوحدة المؤمنين بقوله تبارك وتعالى: (إنما المؤمنون إخوة) الحجرات ـ ١٠، ومع ما جاء من توجيهات للنبي صلى الله عليه وسلم في الترابط بين المسلمين بقوله عليه الصلاة والسلام «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه....» الحديث وقوله «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً...» الحديث.

رغم ذلك كله تحدث اضطربات وتخلخلات تشق الصفوف وتفتك بالنفوس فهنا شحناء وبغضاء وهناك عداوة وخصام مما يؤدي إلى التفرق والتباعد والتعالي والتكبّر والضلال والضياع والنتيجة الحتمية لهذه الأمراض ولا شك كثرة الانحرافات وتشتت الأسرة والتي تعتبر اللبنة الأساس في النظام الاجتماعي، ويفتقد فيها ما وجه الله إليه من السكن والمودة والرحمة.

إن التماسك الاجتماعي الذي يعتبر الوقاية لكيان المجتمع تحدث له ظواهر مردية تهز استقراره ولعل هذا يتضح من كثرة ما نراه من انحراف لدى الأحداث وما يكتب من أبحاث وينشر من مقالات ودارسات عما يصاب به الناشئة والمراهقون من بنين وبنات في تلك المرحلة العمرية بشكل خاص وما يصابون به من بُعد عن الجادة والصراط المستقيم بسبب ميلهم إلى اللهو وحبهم للعبث نتيجة كثرة الفتن ذات الأبواب المفتوحة في وسائل الإعلام ونقص التوجيه وضعف الرقابة وعدم إيجاد الضوابط لشخصية مستقيمة في إطار برنامج رفيع ومنهج بنَّاء يرعى مشاعر الشباب ويوجه طاقاتهم، وهذا الخلل لا شك سبيل إلى هدر الطاقات وإحداث خسارة جسيمة في عدم استثمار أهم طاقة للتنمية المجتمعية الا وهي طاقة الشباب.

لعل المؤثر الآخر في التماسك الاجتماعي إلى درجة أن له أحياناً أثراً في الانحراف يكمن في سوء استخدام الطلاق كعلاج لمشكلة مستعصية في الأسرة مما يدعو إلى لفت النظر باتخاذ الاحتياطات كافة لمنع أو عرقلة حدوث الطلاق كظاهرة سلبية أمست أمراً مضطرباً في التماسك الاجتماعي وهذا ما أكدته إحصاءات وزارة العدل السعودية في ندوة بعنوان «ارتفاع نسبة الطلاق في المجتمع السعودي الأسباب والنتائج» والتي ألقيت في مركز الأمير سلمان الاجتماعي في الرياض حيث أشارت الإحصاءات إلى أن الزيجات في مدينة الرياض خلال العام ١٩٩٦م نحو ٨ آلاف و ٦٠٠ حالة يقابلها نحو ثلاثة آلاف حالة طلاق خلال الفترة نفسها، مما يعني أن نسبة الطلاق في ذلك العام بلغت نحو ٣٠٪ تقريباً، وكأن ذلك يشير إلى زواج كل ساعة وطلاق كل ثلاث ساعات، وفي الحقيقة تعتبر مشكلة الطلاق ظاهرة في المجتمع الخليجي تصل نسبته في الكويت إلى ٢٩٪ وفي البحرين ٣٤٪ وفي قطر ٣٨٪ وفي الإمارات إلى ٣٧٪.

لا شك أن انحراف الشباب وبروز الطلاق كمشكلة وظاهرة عاملان رئيسان في نخر كيان المجتمع والخلل في التماسك الاجتماعي ومن الضروري اعتماد توجيهات الشريعة الغراء في علاج تلك الظواهر السلبية والتشدد في إبداء مسألة الطلاق بدراسة الأسباب الأكيدة في حدوثه واستشعار تقوى الله ومراقبته وعدم اتباع المزاج والهوى وتزيين مظاهر الحرية الزائفة مما يبث في وسائل الإعلام وفي أوساط الناس، حسب أهوائهم ورغباتهم بعيداً عن تعاليم الإسلام.

إنه لمن الضروري ونحن في مقتبل شهر شعبان مما يُعد تهيئة لاستقبال الشهر المبارك شهر رمضان أن نحرص على تصفية القلوب وسلامة النفوس والتمسك والتشبث بعرى ديننا الحنيف وهدي نبينا صلى الله عليه وسلم داعين الله أن يكتب لنا السعادة في الدنيا والفوز بالآخرة ...اللهم آمين. ■

انشطة
الـوزارة

وزير العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية
افتتح مشاريع عدة خيرية في مصر



■ وزير الاوقاف الى جانبه شيخ الأزهر والامين العام للجامعة العربية ووزير الاوقاف المصري

استمراراً للأعمال الخيرية التي يقوم بها بيت الزكاة الخيري في القاهرة ولمناسبة مرور عشر سنوات على انشائه في القاهرة تم أخيراً افتتاح عدد من المشروعات الخيرية ضمن سلسلة الأنشطة والبرامج المعدة. حضر الفعالية شيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوي والوزير محمد ضيف الله شرار وزير العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية وسفير الكويت في مصر فيصل الخالد وعدد من الوزراء المصريين ومحافظ الجيزة والمدير العام لبيت الزكاة الكويتي عبدالقادر ضاحي العجيل وحشد من المدعوين. وفي البداية تم افتتاح معهد عايض مناحي العازمي في مدينة نصر. كما تم افتتاح مشروع مستشفى عبدالله أحمد الشويب. ويضم المشروع جناحاً خاصاً للعمليات الكبيرة والصغيرة وعيادات لجميع التخصصات. أما في منطقة العياط في الجيزة فقد افتتح يوسف عيسى القطامي مشروع المجمع المتكامل ويحوي داراً للمناسبات.

وكيل وزارة الأوقاف
استقبل نظيره العماني



■ وكيل الوزارة خالد الزير

بحث وكيل وزارة الأوقاف خالد الزير والشيخ أحمد السيابي وكيل وزارة الأوقاف في سلطنة عمان الذي قام بزيارة لدولة الكويت بدعوة من الأمانة العامة للأوقاف في أوجه التعاون المشترك في المجالات الإسلامية وأثنى السيابي الذي رافقه صالح القاسمي على تجربة الكويت الوقفية.

القسم النسائي للجاليات الإسلامية يقدم دورات ثقافية باللغتين العربية والانكليزية في وزارة الصحة

من ضمن أهداف القسم النسائي للجاليات الإسلامية بإدارة الثقافة الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية رعاية الجاليات المسلمة وذلك بتعريفهم بالدين الإسلامي وربط المسلمين بالمبادىء الدينية وتأصيل المفاهيم الشرعية، قام القسم بالتنسيق مع إدارة الخدمات التمريضية في وزارة الصحة بإعداد وتقديم دورات ثقافية عدة مقدمة باللغتين العربية والانكليزية للممرضات من الجاليات الإسلامية حيث تم تقديم دورة اللغة الانكليزية للناطقين بها في سكن مستشفى الولادة والتي بدأت يوم الثلاثاء في ١١/١١/١٩٩٧م الساعة الخامسة والنصف مساء من كل أسبوع، وتستمر لمدة شهرين ونصف الشهر بواقع ١٠ جلسات، وتعتبر هذه الدورة ضمن فعاليات ومحاضرات كثيرة يقدمها القسم كما تم تقديم دورتين ثقافيتين الأولى باللغة العربية في سكن مستشفى مبارك والتي بدأت يوم الأحد في ١٩/١٠/١٩٩٧م ودورة أخرى في سكن مستشفى الولادة والتي بدأت يوم الثلاثاء في ٢١/١٠/١٩٩٧م وتستمر لمدة شهرين ونصف الشهر أسبوعياً وقد تضمنت الدورات سلسلة من المواضيع الثقافية والتربوية والإيمانية واشتملت الدورة أيضاً على بعض الوسائل الإيضاحية وقد وزعت المذكرات الخاصة بمواضيع الدورة.

وفد وزارة الأوقاف الكويتي يجتمع إلى وزير الأوقاف المصري وشيخ الأزهر لبحث تعاون إعلامي مشترك

اختتم وفد كويتي من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية برئاسة وكيل الوزارة المساعد للشؤون الثقافية عبدالعزيز البدر القناعي زيارة إلى القاهرة استمرت أياماً عدة التقى خلالها عددا من المسؤولين عن القطاع الإسلامي في مصر.

وقال الوكيل القناعي إنه اجتمع خلال زيارته إلى وزير الأوقاف المصري الدكتور حمدي زقوق وشيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي ومفتي مصر الدكتور نصر فريد وعدد من أعضاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية والمجلس الأعلى للبحوث الإسلامية.

وبين أن لقاءه الدكتور زقزوق وقيادات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية تناول أوجه التعاون والاتفاق على أن يقوم المجلس بتزويد وزارة الأوقاف الكويتية بالبحوث الخاصة بالوعظ الإسلامي وقيام عدد من العلماء المصريين بزيارة الكويت وبخاصة في المناسبات الدينية كشهر رمضان المبارك.

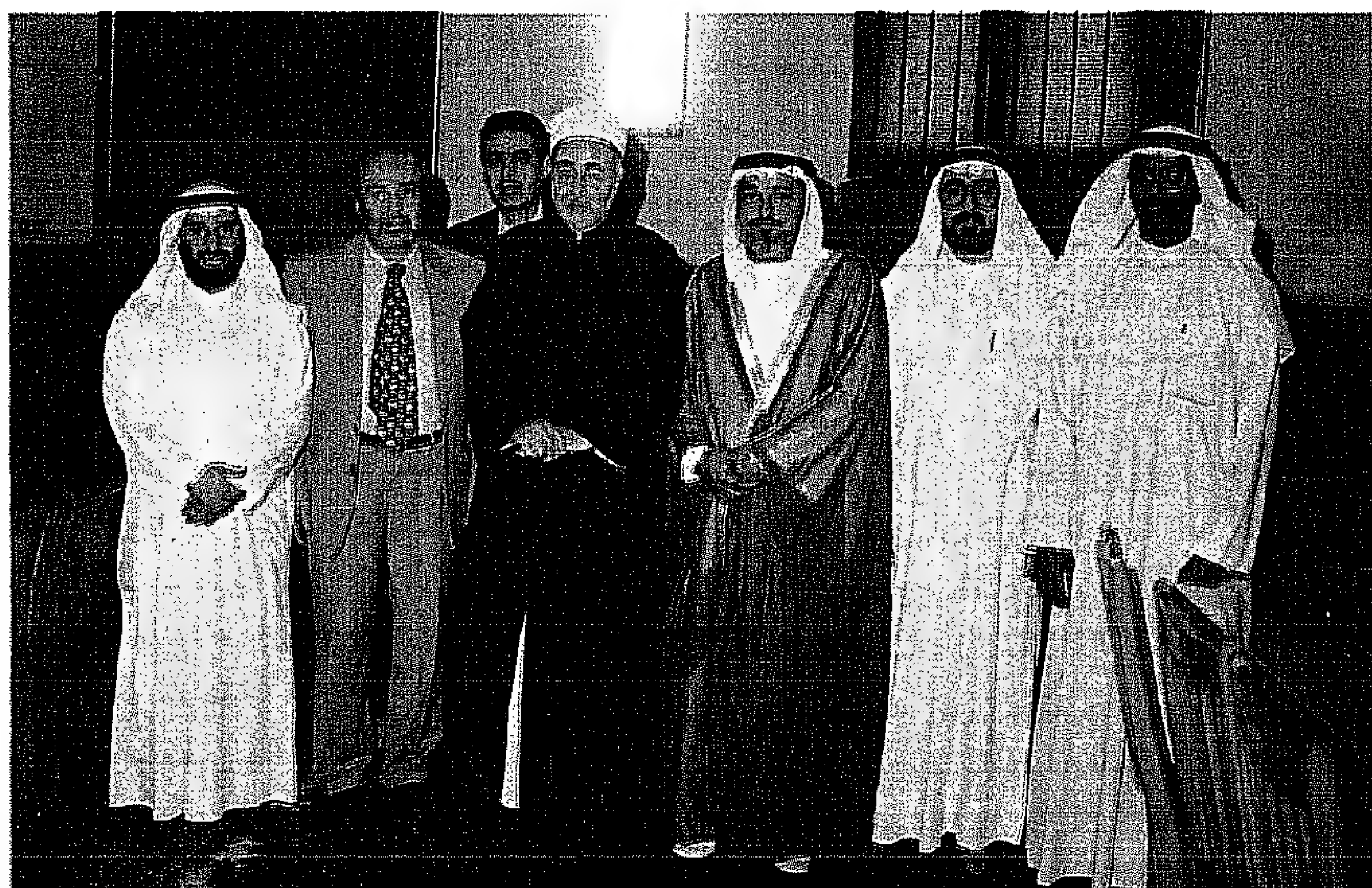
وأشار القناعي إلى أن وزير الأوقاف المصري أهدى وزارة الأوقاف الكويتية مكتبة إسلامية متكاملة تضم مجموعة كبيرة من الكتب والمراجع تعبيراً عن أواصر العلاقة الحميمة المتبادلة بين البلدين.

وقال إنه التقى خلال زيارته أيضاً رئيس اتحاد الإذاعة والتلفاز المصري عبدالرحمن حافظ حيث بحثا التعاون في مجال إعداد برامج إذاعية وتلفازية في مصر لتكون في خدمة نظيرتها في الكويت، والتصور المشترك لهذه البرامج بالإضافة إلى مناقشة قضايا التدريب في معهد التدريب الإذاعي والتلفازي في مصر للعاملين في مجال البرامج الدينية في الكويت.

كما زار الوفد الكوتي مؤسسة الأهرام الصحفية وقام بجولة على مطابعها



■ الوفد الكويتي في ضيافة شيخ الازهر



■ لقطة جماعية للوفد

وشاهد بعض اصداراتها واطلع على تقارير توزيع مجلة الوعي الاسلامي وبحث امكانات طباعة المجلة في المؤسسة.

والجدير بالذكر ان الوفد الكويتي ضم الى جانب القناعي كلا من مدير إدارة الإعلام الديني خالد العتيبي ورئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي بدر القصار ومدير إدارة الثقافة الإسلامية إبراهيم العبدلي ومدير مكتب بيت الزكاة الكويتي في القاهرة المستشار عبدالرحمن الهادي. ■

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تكرّم الفائزين في مسابقة الينابيع الثقافية

كتب: تمام أحمد

أقامت إدارة الشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالتعاون مع إدارة مراكز الشباب في الهيئة العامة للشباب والرياضة يوم الثلاثاء ٤ رجب ١٤١٨هـ/الموافق ٤ نوفمبر ١٩٩٧م الحفل الختامي لمسابقات مشروع الينابيع الثقافية للشباب تحت رعاية وزير العدل وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية محمد ضيف الله شرار الذي أناب عنه وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية خالد عبد الله الزير.



■ توزيع الجوائز على الفائزين

تنمية الثقافة الاسلامية لدى الشباب

حضر حفل الافتتاح كل من وكيل الوزارة المساعد بدر القناعي ونائب المدير العام للهيئة العامة للشباب والرياضة صالح مشاري النفيسي وجماهير غفيرة من الشباب. وفي الكلمة التي القاها الوكيل الزير في حفل الافتتاح الذي اقيم في مركز شباب الدعية في الكويت اكد ضرورة الاهتمام بتثقيف الشباب المسلم بالثقافة الاسلامية الواعية من خلال استخدام الأساليب العصرية المتقدمة والافكار النيرة واضاءة مصباح الهداية لطرد خفافيش الظلام من الافكار الهدامة الغازية حتى يسلم لوطننا رجاله ونصون ونحصن حدوده ضد اي عدوى أجنبية مضرة.

واضاف الوكيل الزير ان الوزارة تحتفل بختام مشروع الينابيع الثقافية للشباب فيسعدها ان تكرّم الفائزين من ابنائها المتسابقين الذين تجاوز عددهم الـ ٥٠٠ مشترك. واوضح الوكيل الزير ان برنامج مشروع الينابيع الثقافية للشباب اشتمل على اربع مسابقات تضمنت الاولى حفظ سورة من القرآن الكريم مع الإلمام بتفسيرها والثانية تحت عنوان «خير صديق» والمسابقة الثالثة كانت حول احسن وسيلة تعليمية حائطية اما المسابقة الاخيرة فكانت في التنافس الثقافي والتي تعد الاولى في هذا الميدان. واكد وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية خالد عبد الله الزير نجاح سياسة الوزارة في تحقيق الهدف من المسابقات مشيرا الى ان الهدف من المسابقات تمثل في ربط الشباب بالقرآن الكريم حفظا وفهما وعملا اضافة الى تنمية الثقافة الاسلامية لدى الشباب الكويتي وغرس مفهوم حب الاطلاع والقراءة والتزود بالمعرفة الراشدة وتقوية العلاقات بين شبابنا على اساس من المحبة والمودة والتنافس الشريف في ميادين الخير. واشار الوكيل الزير الى ان هذا المشروع ليس الاول الذي تنجزه وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية متضامنة مع الهيئة العامة للشباب والرياضة حيث سبق لنا ان اعددنا مشاريع سابقة خاصة لمناسبات اسلامية وذات مضامين مهمة.

واضاف الزير لقد عقدنا العزم على انجاز مشاريع مستقبلية تنهض بالمستوى الثقافي لشبابنا، وتجدد فيه الرغبة في التزود بالمعرفة.. وتدعوه الى التمسك بالقيم الفاضلة وتجعل منه عنصرا صالحا في مجتمعه وأمته. ويحدونا الأمل في ان يظل عطاؤنا موصولا من اجل النهوض بأهم عناصر التنمية في المجتمع ألا وهو الإنسان والأخذ بيد الشباب على درب الهداية والرشاد.. حتى نحقق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «الخير في أمتي إلى يوم القيامة».

٥٠٠ مشارك

بعد ذلك القى موجّه النشاط الديني في الهيئة العامة للشباب والرياضة خالد الخراز كلمة شكر فيها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على تعاونها ومساهماتها لدفع جهود العمل وغرس الثقافة الاسلامية لدى الشباب المسلم.

واكد الخراز حرصه وحرص المسؤولين كافة في الهيئة على الاهتمام بالشباب وبتثقيفه وتوفير الاجواء المناسبة له

واوضح ان مشروع الينابيع الثقافية وماتضمنه من مسابقات كان من اجل تنمية شبابية تحقق الطموحات وتبني الانسان وتدرب السواعد وتغذي الروح والجسد وتخطط للمستقبل. واشار الى ان العمل الذي تم كان من أجل الشباب وليس من اجل الشهرة او الحصول على رتبة مشيرا الى ان المشروع حاز على جانب كبير من الاهتمام الإعلامي. وقال الخراز لايمكن ان ننسى كل من ساهم في المسابقة الثقافية المنبثقة عن مشروع الينابيع الثقافية والذي شارك فيه مايزيد على ٥٠٠ مشارك. وفي نهاية كلمته طالب موجه النشاط الديني الخراز الشباب بأن يستمر في الوفاء للوطن وخدمته.

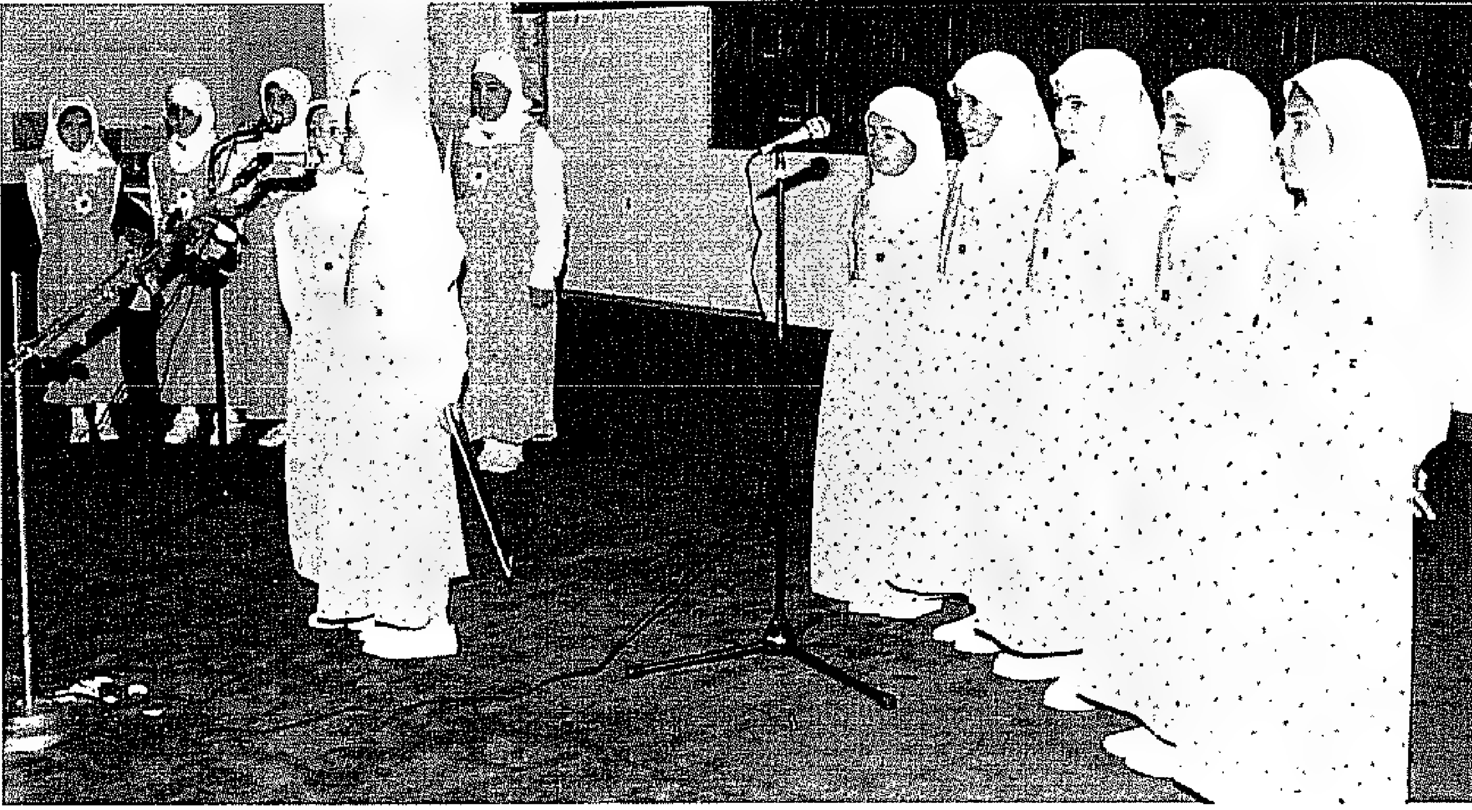
مشروع رائد

بعد ذلك القى عضو مركز شباب العارضية محمد عبد المنعم كلمة للاعضاء شكر فيها كلا من وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والهيئة العامة للشباب والرياضة على تنظيمهما للمسابقات الثقافية وتكريمهما لكل من شارك في مشروع الينابيع الثقافية للشباب واشاد عبد المنعم بالمشروع الذي ساعد الشباب على شغل اوقات الفراغ اثناء فصل الصيف بما هو مفيد خصوصا حفظ القرآن الكريم وتفسيره وقراءة القصص المفيدة مثل مسابقة «خير صديق». وفي نهاية كلمته قدّم العضو محمد عبد المنعم الشكر الى راعي الحفل وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية محمد ضيف الله شرار والقائمين على الادارة العامة للشباب والرياضة وكل من ساهم في نجاح مشروع الينابيع الثقافية.

وعقب انتهاء الكلمات قام وكيل وزارة الاوقاف خالد عبد الله الزير نيابة عن الوزير شرار راعي الحفل بتكريم وتوزيع الجوائز على المتسابقين الفائزين في المسابقات التي ضمها مشروع الينابيع الثقافية وقد شارك في التوزيع كل من: وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المساعد عبد العزيز بدر القناعي ونائب المدير العام للهيئة العامة للشباب والرياضة صالح مشاري النفيسي حيث تم تكريم ٤٠ متسابقا فائزا. ■

رعت حفل تخريج الدفعة الأولى من حافظات القرآن

الشيخة لطيفة الفهد: حفظكن للقرآن بداية لحياة واسعة



■جانب من الحفل

كتب: أحمد فرغلي:

رعت الشيخة لطيفة الفهد الصباح حرم سمو ولي العهد حفل تخريج الدفعة الأولى من حافظات القرآن الكريم في قسم حلقات تحفيظ القرآن الكريم للسيدات بإدارة الدراسات الإسلامية وذلك في قاعة الاحتفالات بمركز الطب الإسلامي. وأشارت الشيخة لطيفة في كلمتها التي ألقتها بهذه المناسبة في قسم حلقات تحفيظ القرآن الكريم فقالت: «عندما دعاني قسم حلقات تحفيظ القرآن الكريم لحفل تخريج الدفعة الأولى من حافظات كتاب الله كاملاً شحذت الذهن فيما أوجهه لهن من كلمات آمل أن تتقبلها صدورهن وتتقبلها قلوبهن ولا تفارق ذاكرتهن، أبدؤها بالإشارة بإنجازاتهن وتقديري الشخصي لهن فقد اخترن من بين مختلف الطرق أفضلها وأقومها وأقبلن على مسؤولية لها جسامتها وضخامتها، فحفظ القرآن الكريم ليس قطعة من المحفوظات أو مقطوعة شعرية، فحافظ القرآن لابد أن يفهمه ويتدبر معانيه ويعرف أحكامه. وأعربت الشيخة لطيفة الفهد عن سعادتها لوجود فكر ديني واع وثقافة إسلامية بين الأخوات المسلمات اللواتي جسدن نجاح فكرتها في إنشاء مراكز القرآن للنساء حتى تكتمل بذلك صورة المرأة ومشاركتها في كافة الساحات الاجتماعية العلمية والإسلامية.

وأنهت الشيخة لطيفة كلمتها بتوجيه شكرها للحافظات وأوصتهن بضرورة استيعاب كتاب الله وفهمه وتطبيقه مشيرة إلى أن الإيمان بالله يمنعنا من الظن أنا قد بلغنا من العلم شيئاً أو تمكنا من الأمر شيئاً. وألقت رئيسة قسم حلقات البنات «مي عبدالله الفارسي» كلمة نوهت فيها إلى الاعتناء بالبنات باعتبارهن الركيزة الأولى للأسرة المسلمة التي تعد النواة الأساسية لبناء المجتمع الصالح المستقيم على شرع الله. وأضافت الفارسي أن هذا العمل التفاتة جادة من وزارة الأوقاف لرعاية حلقات البنات التي بدأت تأخذ مكانها الحقيقي فانتشرت في كل محافظات الكويت حيث ينتشر شذاها الفواح فيما يربو على ٥٢ مسجداً في محافظات الكويت كافة.

وفي حفل التخرج كانت تحفظ القرآن الكريم كاملاً سبع بنات من الرياحين المتخرجات. ■

ندوات
اسلامية

قطاع الشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف ينظم الندوة التلفزيونية الأولى

«التعايش الحضاري في ظل الإسلام»

تحقيقاً لاستراتيجية قطاع الشؤون الثقافية تم تنظيم الندوة التلفزيونية الأولى تحت عنوان «التعايش الحضاري في ظل الإسلام» شارك فيها الدكتور الأحمدي أبو النور الأستاذ بكلية الشريعة جامعة الكويت ووزير الأوقاف المصري الأسبق، والدكتور السيد نوح الأستاذ بكلية الشريعة جامعة الكويت وتولى السيد عبدالعزيز بدر القناعي وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد إدارة الندوة. وعقدت الندوة بقاعة الاحتفالات الكبرى بالمسجد الكبير وحضرها حشد كبير من الجماهير واستمرت قرابة ثلاث ساعات وتناولت عدة محاور من بينها: مفهوم الحضارة، وأوجه التباين بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية وأسس الحضارة الإسلامية ومرتكزاتها، إسهام المسلمين في الحضارة، صياغة العلوم الإنسانية المعاصرة صياغة إسلامية.



■ القناعي: المسلمون مطالبون بالتجاوب مع العصر تجاوباً انتقائياً، إيجابياً وحذراً

■ د: أبو النور: سر عظمة المسلمين في حضارتهم ووحدة كلمتهم.

■ د. نوح: الإسلام هو: الإسلام الحقيقي الذي احتضن الحضارة وحركها

تابع الندوة : د . عماد الدين عثمان

الهوية العربية الإسلامية

بدأت الندوة بكلمة للسيد عبدالعزيز القناعي وكيل الوزارة المساعد للثقافة الإسلامية أوضح فيها أن الوزارة بإمكاناتها الحديثة وبمؤسساتها أصبحت مشاركة بقدر أو بآخر في مختلف المجالات والأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية وغيرها... ومن هنا كانت استراتيجية قطاع الثقافة الإسلامية تركز على الحفاظ على هوية المجتمع العربية الإسلامية، وعلى وحدة تماسكه مع التجاوب الفاعل مع العصر الذي نعيش فيه وأداء دور إيجابي في حركة نمو المجتمع، ومواجهة مشكلاته الأساسية والنهوض به في المجالات كافة.

اننا مطالبون بأن نسلك مسارات عدة، مطالبون بأن نتجاوب مع هذا العصر الذي نعيشه تجاوباً انتقائياً، إيجابياً وحذراً في الوقت نفسه.

وقد وجه السيد عبدالعزيز القناعي مدير الندوة التساؤل الأول إلى الدكتور الأحمدي أبو النور، «ماذا نعني بالحضارة ومفهومها»؟ سؤال يتردد في الأذهان وقد تخبط في معناه كثيرون فمنهم من جعل الحضارة هي المدنية، ومنهم من جعلها الأفكار وحدها، ومنهم من حصرها في العلم وما ينتج عنه من اختراعات، ومنهم من أطلقها على شمولها، فما رأيكم في مفهوم الحضارة ومعناها؟

وأضاف د. أبو النور:إن الحضارة والحضر والتحضر كلها في منوال واحد، والحضارة عندما تقال فهي تقال على نمط راق للحياة كمجتمع أو لأمة معينة في مقابل البداوة أو الحياة البدائية التي لا يرتقي الناس فيها في مدينة ولا في قرية ولا في عاصمة ولا في دولة.

ويمكن أن نقول إن الحضارة هي التعبير عن مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي والروحي، وبالتالي فنحن نذهب إلى أن الحضارة هي حصاد المنظومة الشمولية للتقدم الفني والروحي في حياة الإنسان.

فالاستجابة للتحدي تكون عبارة عن تفكير الإنسان في أن يحيا حياة متقدمة أو حياة حضارية تليق بتجمعه مع غيره في هذا المجتمع.

والحضارة ماذا تشمل؟... تشمل مقومات أي مجتمع، وإذا أردنا أن نحدث نوعاً من المقارنة ليعطينا توضيحاً لمعنى الحضارة فلنا أن نتصور كيف كانت القبائل العربية تعيش قبل أن تبزغ عليها شمس الإسلام، وعندما بزغت شمس الإسلام. وانتقل المسلمون إلى المدينة كان القائد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان الدستور وكان القانون وكان المنهج وكان هدى الله الذي أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم، ثم كانت القلوب الخصبة التي تربت ثلاثة عشر عاما على الإيمان وترسيخ عقيدة التوحيد وعلى تقبل نهج الله الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم سواء في العقيدة أو العبادة أو المعاملة أو في العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية أو في الإعداد العسكري أو في الإعداد التقني، ويمكن أن نفصل هذا فيما يلي: المجتمع الذي يعيش صورة حضارية أو حياة حضارية لابد له من قائد لابد من دستور أو من منهج لا بد من شعب يتقبل هذا المنهج ليعيش به في حياته سواء صناعياً أو زراعيا أو اجتماعياً أو علميا أو عمليا إلى آخر أنماط الحياة التي يمكن أن ترفع من

شأن هـذا الإنسـان المتحضر الـذي أصبح ذا حضـارة. هكـذا نحن المسلمين نفهـم معنى الحضارة بهذا المفهوم الشمولي.
وبعد ذلك طلب السيد عبدالعزيز القناعي، وكيل الوزارة، مدير الندوة من الدكتـورة سيد نوح أن يعقب أو يضيف إن كان لديه تعقيب أو إضافة.
قال د. نوح: الحقيقة ان تعريف الحضارة ينبغي أن يـرتبط بعقيدة الأمة وبرسـالة الإنسـان في الأرض، فالـذين يفهمون أنه لا إلـه وما تلك إلا أرحـام تدفع وأرض تبلع وما يهلك إلا الدهـر، والحياة إنما تكون للأقـوى والأعز لا يفهمـون الحضارة.... «خـذ لذلك الحاضرة قبل أن تفنى» والذين يؤمنون بالله وباليوم الآخـر ويفهمـون أن رسـالـة الإنسـان في الأرض العبـودية لله عـز وجل وعمارة الأرض والاستعانـة بالله من كل ما يأتون وفي كل ما يدعون، يفهمون أن الحضارة ينبغي أن تقـوم على تربيـة الروح وتـربية العقل وتـربية البدن، وتـربية الخلـق والسلوك وعلى عمارة هذه الأرض، بل العمل للدنيـا والآخرة جميعاً، وهذا هو ما ننشده في حضارتنا.

حضارة إسلامية أم حضارة عربية

ثم انتقل محاور النـدوة وكيل الـوزارة السيـد عبدالعزيز بدر القناعي لدعوة المحاضرين للتركيز على مفهـوم الحضـارة في حضـارتنـا العـربيـة والإسلامية وتوجه بالسؤال إلى الدكتور سيد نوح بأن هنـاك حـوارا مطـروحا حـول تسمية هـذه الحضـارة، هـل هي حضـارة إسـلاميـة أم هي حضـارة عـربيـة؟ ومـا أسس هـذه الحضـارة والمرتكزات التي تقوم عليها؟
قال د. نوح : مـا من شك في أن أداة هذه الحضارة إنما هي اللغـة العـربية ومـا من شك في أن الـذين نهضوا بالأمـر من بعد بعثة رسـول الله صلى الله عليه وسلم إنما هم أولئك العـرب الذين نزل فيهم كتـاب الله عـز وجل وبُعث فيهم محمد صلى اللـه عليه وسلم، لا يمكن أن نقف عند اللون أو الجنس «هذا عربي وهـذا أعجمي» لأن هذه قضية خطيرة فلو نظرنا في نصوص الإسلام من الكتاب والسنة لوجدنا أن الله عز وجل يساوي بين الكل فلا تقدم ولا تأخر إلا بالإيمان وصالح الأعمال.
إذن فقضية ربط العروبة بالجنس نطرحها جانباً، فالذين خدموا الإسـلام كانوا من العرب والعجم، بل أكثرهم من العجم.

حضارة عربية إسلامية

نحن عـرب يمكن أن نسميهـا حضـارة عـربيـة إسلاميـة ـ عربيـة من حيث الآلة وإسـلامية من حيث الوعاء الذي حـرك الناس فجعلهم ينهضون فيؤدون وينتفعون بالحضارات الأخرى بشرط ألا تتعارض هذه مع حضـارة الإسلام أو مع مبادىء الإسـلام من الكتـاب والسنة، وقـد نقل الإسـلام المسلمين نقلة عجيبـة من الحديث في ذاكرة الـدنيا إلى الحديث في ذاكرة الدنيا والآخرة.

الأسس والمرتكزات

أمـا أسـس وأصـول الحضـارة الإسـلاميـة ومرتكـزاتها فأولها: الإيمان بـالله والـرسالات واليوم الآخر.
وثانيهـا: حضـارة أخلاقيـة وهذا شأن الشرائع من لـدن آدم فقال رسـول اللـه صلى الله عليـه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».
وثالثها: أنها حضارة لكل المخلـوقات للإنسان والحيـوان والطير والـوحش ـ لكل المخلـوقـات بغير استثناء.
ورابعها: أنها حضارة ليست منغلقة على نفسها إنما كل نـافع في الحضـارات الأخـرى نأخـذه وننتفع به وما ليس بنافع نرفضه.
ثم طرح مقـدم الندوة القناعي سـؤالا آخر هل هنـاك أوجـه تلاق بين الحضـارة الإسـلاميـة والحضارة الغربية، وفي المقـابل هل هناك أوجه تبايـن؟ هناك طرح آخـر: قد يطـرح البعض أن هناك صراعـاً حضـاريـاً بين الشرق والغرب فما تعليقكم حول هذه الأقوال؟
وهنا بدأ الـدكتور الأحمدي أبو النور بقـوله: لا يحسبن أحد أن الحضارة البشريـة وريثة اليوم أو وريثة القرون الخمسة عشر، بل كانت هناك المنظومـة الإيمانية التي حضرت الإنسـان، منذ كان كتاباً ومنذ كان رسولاً، فالله تعالى يبين أن هناك وحدة بين المرسلين.
إذن مرحباً بالحضارات حينما تعلي أمر الإيمان أو أمـر التوحيـد أو أمـر القيم الروحيـة ولكن نحن المسلمين لنـا شخصيتنـا المستقلـة، وينبغي ان يكون المسلم ـ أنّى صار سواء صار الى الشرق او الى الغرب ـ بـإسلامه قدوة لغيره وعندمـا يذهب ابناؤنـا الى الشرق او الى الغرب ينبغي ان يـذهبوا بشخصيـاتهم العـربيـة الاسـلاميـة المستقلـة المتمسكة بكتاب ربها وسنة نبيها، ثم يتفاعلوا مع حضارة هـذا المجتمع الذي ذهبوا اليـه فيأخذون منـه مـايفيـدهم في دينهـم ودنيـاهم وأخـراهم، ويدعون منه ما يُسألون عنه بين يدي الله.
وانتقل المحاور بعد ذلك الى محور آخر وهو: هل هناك صراع حضاري بين الشرق والغرب؟
وابتدأ الـدكتور الاحمدي ابـو النور في رده على هذا التساؤل بأنـه ليس هناك صراع وانما هناك خـوف من قوة الاسـلام ولو ان الاسـلام هش وضعيف ما اثير حوله ماأثير.
اذن لاصراع عندمـا تكون النـوايا صـافية امـا عندما يكون هناك غـرض وحقد وحسد فسوف تكـون العداوة لـلاسلام مغلفـة بإثارة قضيـة الصراع بين الحضارات.

قضية شائكة

ثم علق الدكتور/سيد نوح على هذا الامر قائلا: قضية الصراع بين الشرق والغرب قضية شائكة لان الغـرب شعوب وحكـومـات، والحكومـات صاحبـة القرار وقـد اعطيت صورة سيئـة عن الاسلام بوساطة نفـر من الكتاب لم يكونوا امناء في النقل لسبب او لآخر شوهـوا صورة الاسلام كنصـوص، وصـورة المسلمين قـديما كمطبقين لهذه النصـوص. اذن فتشـويـه صـورة العلماء وتشويه صورة الاسـلام كذلك هذه التي جعلت النخبة من هـؤلاء يكرهون الاسـلام ويُـكرهون شعـوبهم في شيء اسمه الاسـلام ومن هنا كـان الصراع. وانتقل السيد عبد العزيز بدر القناعي الى المحور الاخير من محاور الندوة والذي طرح فيه تساؤلاً كبيراً يـدور حول اهم مـلامح الحضارة الاسـلامية وانها جمعـت بين عالم المادة وعـالم الـروح، فهل هناك اوجـه تـلاقٍ بين حضارتنـا الاسلامية والحضارة الغربية؟
وفي المقابل هل هناك تبـاين؟ وكيف لنا ان نسهم في الحضارة العالمية في ظل واقعنا الذي بيناه؟

إصلاح البيت من داخله

وبدأ الـدكتور سيـد نوح مـؤكدا على انـه لابد من اصـلاح البيت من داخلـه قبل ان نتـوجـه الى الآخريـن، فهناك أشياء تخجل، ولأدنـى اختلاف تقع معارك وخصومات وربما تراق دماء لايعلمها الا الله عـز وجل وبيد مسلـم يقول لا إلـه إلا الله محمـد رسـول اللـه، هـذا هـو الـذي جعل أولئك يخافون منا وجعل أولئك يملأون أدمغة شعوبهم بكراهية الإسلام والعمل بكل مـالديهم من طاقات وامكانـات الا ترفع راية هذا الـدين.. كيف نتلافى هذه التناقضات ونتقدم بهذه الصحوة حتى تصل السفينة الى بر الامان وشـاطىء السلامة، ويمكنّ الله عز وجل لهذه الأمة.
لابد من الفقه في الدين وتصحيح المفاهيم، ولا بد من مراعاة ادب الحوار وادب الخلاف.
ولا بد من التطبيق التدريجي الذي يبدأ من ابسط شيء، وهو تعليم الـولد الف باء الاسـلام تعليمه الصـلاة تعليمـه ذكـر الله عـز وجل في طعـامـه وشرابه وقيامه وقعوده ونـومه ويقظته، ولباسه، .ولابد كذلك من الاعتراف بكل جهد قُدم، من قبل الحكومـات الاسلاميـة ليستمروا في الخير، اذن لابد من الاعتراف بكل جهد حتى ولو كان بسيطاً لنشجع هـؤلاء. ايضا لابـد من التماس الأعـذار: للحاكم والتماس الاعذار من الحاكـم للابن الذي سـاء سلـوكـه او الـذي لم يحسن التعـاون مع اخوانه او مع الحاكم، لابـد ان تكون سعـة صدر لكل واحد وان يلتمس العذر للآخر.
ولابد من الانتفاع بالمؤسسات الموجودة ونحاول ان نطوعها لخير الاسلام والمسلمين.
وبذلك نستطيـع ان نضيق الفجوة او نقضي على الجفـوة الموجـودة بين القيادة والقـاعـدة او بين الـرئيس والمرؤوس في كل مـؤسسـاتنـا وفي كل منظماتنا وفي كل مجتمعاتنا.■

ندوات

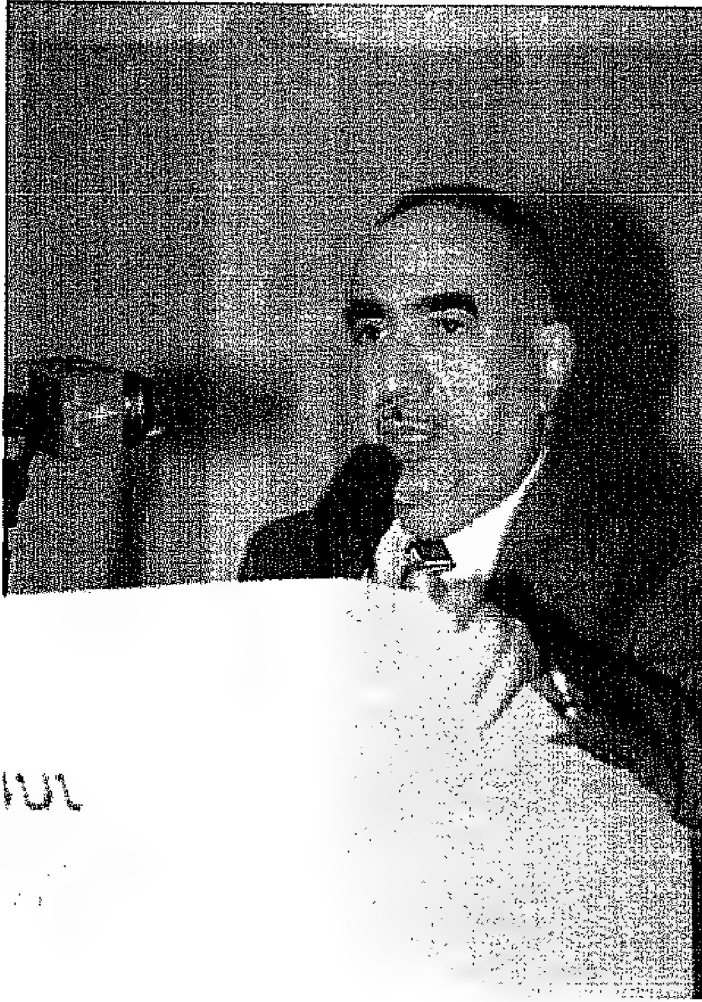
وزير الأوقاف يرعى ندوة: التشافي بالقرآن الكريم

علماء الشريعة والفقه والطب يبحثون التشافي بالقرآن من المنظور الديني والطبي



شرار:

■ أدعو علماء الأمة الإسلامية إلى إيضاح الجوانب الشرعية والعلمية والإيجابية المتعلقة باستخدام القرآن الكريم للعلاج



نظمت الجمعية الكويتية لمكافحة التدخين والسرطان الندوة الفقهية الطبية الأولى حول «التشافي بالقرآن الكريم» تحت رعاية وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية محمد ضيف الله شرار في الفترة من ٢٧ - ٢٩ أكتوبر ١٩٩٧م شارك في فعاليات الندوة كبار العلماء من داخل و خارج الكويت وهدفت الندوة إلى إبعاد الخرافة والشعوذة عن مجتمعنا الإسلامي وتأصيل حقيقة الرقية من النظرة الإسلامية في المنظور الطبي، كما أكدت ضرورة التوسع في العلاج الروحي والحض على التمسك بالمبادىء والقيم الإسلامية الداعية لكل خير والصارفة عن كل شر، وحضت على تفعيل الجهود الرامية إلى إبعاد المحاور الشاذة عن الحقل الإسلامي وتقنين الضوابط الشرعية للرقى سعياً إلى إبعاد المشعوذين عن هذا المجال... وساهمت في هذه الندوة هيئات ومؤسسات عدة من بينها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والأمانة العامة للأوقاف وبيت الزكاة وغيره...

فعاليات الندوة

بدأت الفعاليات بكلمة لراعي الندوة وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية محمد ضيف الله شرار أوضح فيها أن هذه الندوة تعد الأولى من نوعها في الكويت تبرز أمرين أساسيين هما إلقاء الضوء على مسألة التشافي بالقرآن وإبراز المفاهيم الصحيحة للتشافي عبر تجمع نخبة من العلماء لدحض أي افتراء على دين الله عز وجل.

كما دعا علماء الأمة الإسلامية إلى إيضاح الجوانب الشرعية والعلمية والإيجابية المتعلقة باستخدام القرآن الكريم للعلاج، وإلى إيجاد نهج قويم وفهم واضح يتفق مع روح الشريعة الإسلامية في مفهوم التشافي بالقرآن الكريم.

وأشار الوزير شرار إلى أهمية إيضاح المكانة الحقيقية للعلاج والتشافي بالقرآن كما جاء في الكتاب والسنّة .

واختتم الوزير شرار راعي الندوة حديثه موضحاً أن بعض الدجالين والمشعوذين استغلوا عملية التداوي بالقرآن الكريم استغلالاً سيئاً وألحقوا العذر بالإسلام والمسلمين بإدخالهم فيه ما ليس منه... وأكد أن علماء الأمة ورجالها قادرون بإذن الله على أن يدحضوا كل افتراء على دين الله بإيضاح الجوانب الشرعية والعلمية والإيجابية لدرء مفاسد الدجالين وغير المختصين .

ثم ألقى الدكتور عبدالرحمن العوضي رئيس مجلس إدارة الجمعية الكويتية

لمكافحة التدخين والسرطان والمشرف العام على الندوة كلمة جاء فيها:
إن اختفاء الجانب الروحي في حياة الشعوب وتحويلها إلى أرقام داخل الكمبيوتر أدى إلى حالات من الضياع والانهيار الكبيرين، فرغم توافر سبل الرفاه المادي وارتفاع مستوى المعيشة في تلك البلاد إلا أن حالات الانتحار في زيادة مضطردة، ما أدى ذلك إلى ظهور جماعات ذات أفكار شاذة مثل الهيبز وعبدة الشيطان، وخرجت هذه الفئات إلى سطح الأحداث تبحث عن هدف في الحياة وتحاول أن تجد وسيلة تملأ بها هذا الخواء الروحي الذي تعاني منه وأدى ذلك إلى ظهور المشعوذين والسحرة في كل أرجاء المعمورة وتهافت عليهم الضائعون يبحثون عن أمل يخرجهم من هذا الضياع ويبعث في نفوسهم الطمأنينة والاستقرار، وتطالعنا الأخبار صباح مساء عن أحداث كثيرة تقع هنا وهناك ولا يجدون ملجأ ولا مفراً.
والإسلام هو الدين الوحيد المؤهل لملء هذا الخواء، فهو دين وسط بين المادية والرهبانية، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»، فهذا القول دستور كامل للإصلاح والصلاح، فلا طغيان للمادة ولا رهبانية للنفس.
وذكر العوضي ان هناك قيماً كثيرة في الإسلام على رأسها الإيمان الصادق وقد ذكرها القرآن الكريم حتى تكون أساساً لعلاج من أصابهم مكروه وانحرفوا عن الطريق، فالصبر على المكاره والمصائب والاستغفار والدعاء وإغاثة الملهوف، والاعتكاف والصلاة والصوم والحج والزكاة والصدقات كلها قيم لو أحسنا أداءها كانت برداً وسلاماً على من أصابه مكروه في نفسه، أو أسرته أو في مجتمعه.
إن هذه القيم المستمدة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية استطاعت أن تقيم مجتمعاً قوياً معافى نفسياً وبدنياً وابن خزامة رضي الله عنه يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: «يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال: «هي من قدر الله».
إننا في حاجة إلى إعادة نظر في كثير من النظريات الطبية الحديثة في ضوء الشريعة الإسلامية ولعل هذه الندوة هي محاولة جسورة وعسى أن تكون فاتحة خير لهذا الأمر رغم أنها اقتصرت على مجال الرقى وهو مجال مهم تطرقت إليه الأحاديث النبوية في كثير من المواضع، وأتمنى أن تكون الندوات المقبلة عملاً مشتركاً مع أطباء علم النفس لتكون استكمالاً لهذا العمل.
ثم بعد ذلك ألقى الدكتور يوسف يعقوب السلطان رئيس اللجنة التحضيرية للندوة كلمة قال فيها: إن مفهوم ممارسة الاستشفاء بالقرآن هو أحد الأمور التي انتشرت في أروقة المجتمعات الإسلامية في الآونة الأخيرة، مما يتطلب دراستها وتمحيصها والتحقق من صحة ممارستها وفق الأسس الشرعية ليمكن التمييز بين الخبيث والطيب.
وأكد دور أهل العلم والمحيطين في أمتنا الإسلامية في تنقية مجتمعاتنا من كل شائبة مشيراً إلى زيادة حالات الادعاء بممارسة الاستشفاء بالقرآن الكريم في مجتمعاتنا الإسلامية في الآونة الأخيرة.

شرعية الرقية وتاريخها

وبدأت بعد ذلك فعاليات الجلسات العلمية للندوة بالجلسة الأولى تحت عنوان: «شرعية الرقية وتاريخها» وحاضر فيها فضيلة الأستاذ الدكتور عجيل النشمي العميد السابق لكلية الشريعة «جامعة الكويت» وتولى رئاسة الجلسة الأستاذ الدكتور عبدالله النجار الأستاذ في كلية الشريعة والقانون «جامعة الأزهر» وممثل شيخ الأزهر، والشيخ عبدالله الحداد مقرراً - ثم تحدث بعد ذلك الدكتور فلاح إسماعيل الأستاذ في كلية الشريعة «جامعة الكويت» في الموضوع ذاته.
وفي الجلسة المسائية تحدث الدكتور الأحمدي أبو النور الأستاذ في كلية الشريعة «جامعة الكويت» حول «المفهوم الشرعي للرقية وأدلة استخدامها» وتناول الدكتور بسام الشطي موضوع: «تاريخ الرقية».
واستمرت الجلسات خلال اليوم الثاني تحت عنوان: «ضوابط الرقية الشرعية» تحدث فيها الدكتور عبدالله النجار الأستاذ في «جامعة الأزهر» وحول: «ضوابط التداوي بالرقية الشرعية» تحدث الدكتور محمد عثمان اشبير ثم بعد ذلك تحدث الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق حول التداوي بالقرآن الكريم، وأخيراً تحدث الدكتور علي ناصر فقيهي حول: «النظرة العامة لشرعية الرقية».

ندوتان جماهيريتان

وعقدت خلال اليوم الثاني وفي الفترة المسائية ندوتان جماهيريتان في مركز الطب الإسلامي كانت الأولى تحت عنوان: «التشافي بالقرآن من المنظور الديني والطبي تحدث فيهما كل من الدكتور عمر الأشقر، والدكتور خالد الصالح، والدكتور أحمد القاضي، والدكتور فلاح إسماعيل، وتولى الدكتور يوسف يعقوب السلطان إدارة الندوة.
وأما الندوة الجماهيرية الثانية فكانت تحت عنوان «أصول وضوابط الرقية الشرعية» حيث تحدث فيها كل من الدكتور عجيل النشمي والشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، ود. محمد عثمان اشبير وأدار الندوة الدكتور عبدالله النجار.
أما اليوم الثالث فقد عقدت فيه جلستان: الأولى كانت تحت عنوان: «التشافي بالقرآن الكريم بين الفقه والطب» حيث تحدث فيها الدكتور أحمد القاضي حول التشافي بالقرآن من الناحية الطبية وتحدث فيها الدكتور خالد أحمد الصالح حول: «الدعم الروحي وتأثيراته الجسدية»، ثم تحدث الدكتور عمر الأشقر حول: كيف كان القرآن شفاء لأمراض الإنسان وقاية وعلاجاً»، كما تحدث الشيخ عبدالله الحداد حول: «تجارب في التشافي بالقرآن الكريم».
واستمرت الجلسات في الفترة المسائية بالجلسة الثانية التي تناولت مناقشات وتوصيات حول: «ضوابط الرقية الشرعية» ثم بعد ذلك كانت مناقشات وتوصيات حول التشافي بالقرآن الكريم من الناحية الطبية. ■

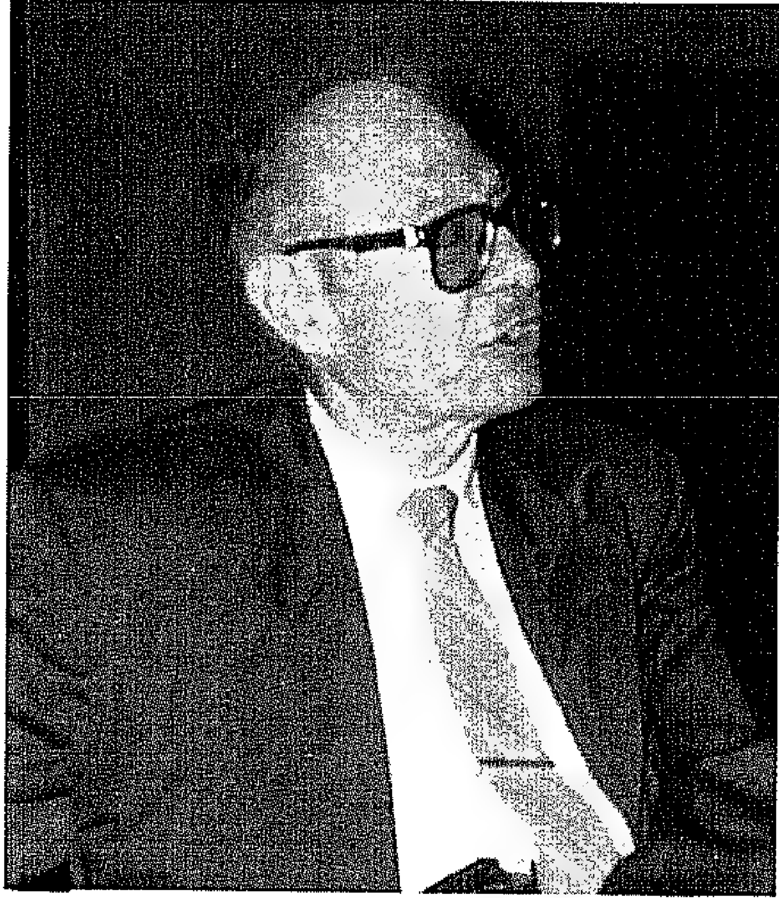
د. عبدالرحمن العوضي:

■ الإسلام هو الدين الوحيد المؤهل لملء الخواء الروحي، فهو دين وسط بين المادية والرهبانية

برز المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة في السنوات الأخيرة بصورة إيجابية ورائدة في دعم الدعوة الإسلامية وتصحيح الأفكار المغلوطة عن الإسلام، وكذلك نجدة اللاجئين والمنكوبين المسلمين في أنحاء شتى من العالم، وشارك المجلس الذي يتولى رئاسته شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي في معظم مؤتمرات وندوات الحوار الإسلامي المسيحي الدولية والمحلية بفعالية كبيرة، حيث طرح رؤية واضحة لنجاح هذا الحوار كما شارك في لجنة الاتصال التي شكلها الأزهر للحوار مع الفاتيكان.

والتقت الوعي الإسلامي الدكتور كامل الشريف الأمين العام للمجلس في أثناء زيارة له خاصة للقاهرة وأجرت معه حوارا حول نشاط المجلس ورؤيته للحوار الإسلامي المسيحي.

حوار



الدكتور كامل الشريف أمين عام المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة يتحدث لـ «الوعي الإسلامي»:

أحبطنا مؤامرة قادتها منظمات صهيونية صليبية لتأليب حكامنا علينا

أجرى الحوار: عبدالحي محمد عبدالحي

● نريد إلقاء الضوء على نشاط المجلس الدعوي الإغاثي، على أهم الصعوبات التي تواجهه؟

ـ مهمة عمل مجلسنا تتحدد في تنسيق عمل وجهود منظمات المجلس التي تصل إلى ٦٠ منظمة سواء في الأعمال الدعوية أو الإغاثية، ومجلسنا يرأسه شيخ الأزهر الدكتور سيد طنطاوي، وبرز دوره منذ إنشائه، حيث تصدينا لحملات التشويه الظالمة التي يتعرض لها الإسلام، إضافة إلى تقديم العون للمنكوبين سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وللعلم اننا لا نفرق في عملنا الائتماني بين مسلم وغير مسلم، إلا أنه يجب لفت الأنظار إلى أن عملنا كمجلس إسلامي يصب في صالح الدول والأقليات الإسلامية، ويتحمل مجلسنا عبء فتح قنوات اتصال دائمة مع الحكومات العربية والإسلامية، وأخيراً نجحنا في تخطي مؤامرة أحاكتها ضدنا منظمات صهيونية وصليبية حاولت إقناع حكام البلدان الإسلامية، بأن منظمات المجلس تدعم المتطرفين والإرهابيين في العالم الإسلامي، وأن المتطرفين هم الذين يقودونها، ولقد فندنا تلك الادعاءات الظالمة، وأرسلنا وفودا من أعضاء المجلس وهيئته التأسيسية إلى حكام العالم الإسلامي وأوضحنا لهم الحقائق كاملة، وأكدنا أن المجلس يتحمل عبء الدعوة إلى الله بصدق وإخلاص، وهدفنا تخليص اللاجئين المسلمين من كبوتهم والحمد لله اقتنع الحكام، ونحن نواجه مشكلات ومصاعب عدة أبرزها المناخ غير الصحي الذي نعمل فيه، فالدول الإسلامية بينها خلافات شديدة، وهذه الخلافات تؤثر على حركتنا ونشاطنا كما أن أعداء الإسلام متيقظون لنا، وكما قلت لقد اتهمونا بدعم الإرهاب، ونحن أبرياء من تلك التهمة، فالواقع أن تلك الاتهامات تصدرها جهات صهيونية وصليبية

تهدف إلى لفت انتباه المسلمين عن الجهود الضخمة التي يبذلها المبشرون المسيحيون لتنصير المسلمين، وبالتالي فهم يؤلبون العالم كله ضدنا رغم أن عملنا الدعوي الإغاثي لايقارن بجهود الفاتيكان أو مجلس الكنائس العالمي، ونحن نسعى بكل قوتنا إلى توسيع دائرة عملنا ونشاطنا، والمسلمون اليوم هم أكثر شعوب العالم حاجة إلى الدعم الإغاثي والدعوي، والتبشير لايصل إليهم إلا من خلال منفذين «الفقر والجهل»، فالمسلمون هم ضحايا الحروب الاستعمارية العنصرية الغاشمة وكذلك هم ضحايا الأوبئة والمجاعات.

● لعب المجلس دورا رائدا في الدفاع عن إسلامية القدس.. فما تقويمكم لعمل المجلس إزاء قضية القدس التي تعتبر القضية المركزية للأمة الإسلامية؟

لقد أدينا واجبنا الإغاثي الدعوي في بلاد إسلامية شتى، فوقفنا مع مسلمي البوسنة في محنتهم ماديا ومعنويا، وكذلك مع مسلمي الصرب وكشمير والشيشان، ونعطي لقضية القدس أهمية كبيرة في عملنا، إننا ننظم المؤتمرات والندوات العالمية والمحلية لتوضيح الحقائق للعالم والتأكيد أن القدس عربية وإسلامية، وأنه يجوز لليهود الحياة فيها كمواطنين وليسوا كمستثمرين، وحاليا ننشىء صناديق شعبية في عدد من البلدان العربية والإسلامية لدعم الأوقاف الإسلامية في القدس وكذلك المؤسسات التعليمية الإسلامية فيها، ونتكفل بتعليم بعض أبناء فلسطين والقدس في جامعات العالم الإسلامي الكبرى، ونحن نؤمن أن المتطرف الصهيوني المغتصب نتنياهو وحزبه المتعصب لن يجرا المنطقة إلا إلا حافة الحرب، ونحن لا نرفض السلام مع اليهود، ولكن هذا السلام لابد أن يعترف بحقوقنا كمسلمين في فلسطين والقدس، وأن تكون السيادة في القدس للمسلمين، ونعتقد أن الاستيطان الصهيوني في القدس واستمراره هو أهم خطر يواجه أمتنا وعلينا أن ندعو بعضنا بعضاً إلى الجهاد ضد الصهاينة المتعصبين، وأن يبذل كل مسلم ما في وسعه لتحرير القدس من الدنس الصهيوني.

● برز المجلس كمؤسسة رائدة تجاه تدعيم الحوار الإسلامي المسيحي ـ فما تقويمكم للقاءات ومؤتمرات الحوار التي حضرتموها؟



ليست اللقاءات الإسلامية المسيحية ظاهرة جديدة، فالحقيقة أنها لم تنقطع يوما منذ ظهور الإسلام في جزيرة العرب، فقد حاور المهاجرون المسلمون رجال الكنيسة في الحبشة قبل الهجرة، واستقبل الرسول عليه الصلاة والسلام وفد نصارى نجران في المدينة، وسمح لهم بالصلاة في مسجده، وحاورهم في أمور الدين وأبرم العهود مع القادة المسيحيين في إمارات الأردن بعد غزوة تبوك، ومع أن هذه المحاورات كانت تهدف إلى إقناعهم برسالة الإسلام ودعوتهم للإيمان بها إلا أنها كانت على الأغلب تنتهي إلى اتفاقات أو معاهدات تضمن حسن الجوار وحرية العبادة، كما كان بعضها ينص على دفع الجزية التي كانت أحد أساليب العصر في التعبير عن الولاء للنظام القائم، وأعتقد أن هناك أربع حقائق يمكن أن تشكل منطلقات للحوار الإسلامي المسيحي في العصر الراهن وهي:

أولاً: عدم وجود عقبات عقائدية تمنع المسلمين من الدخول في الحوار، بل نجد القرآن يحث على هذا الحوار، ويضع له إطاره الأخلاقي الذي بينه الله تعالى: بقوله في سورة العنكبوت الآية ٤٦: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن).

ثانياً: ان الحوار من وجهة النظر الإسلامية ينطلق من الاعتراف بالأديان السماوية السابقة وكتبها المقدّسة ورسلها الكرام، ويدعو الطرف الآخر لمثل هذا الاعتراف حتى تكتمل قاعدة الحوار البنّاء.

ثالثاً: ان الحوار يرتفع باللقاء على الحد الأدنى بافتراض أن الاتفاق مهما كان صغيرا في البداية إلا أنه يخلق ديناميكية خاصة ترتاد به آفاقاً جديدة في طريق الوفاق (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) الأعراف ـ ٦٤.

رابعاً: ان الحوار لا يقتصر على أمور الدين، ولا تنتهي عند جدار مسدود حين يتعذر النجاح فيها كسبب أو آخر، ولكنه يتجه إلى تحقيق التعاون في نصرة الحق والخير وفتح قنوات الاتصال للإفادة من

٨٠٪ من لاجئي العالم مسلمين وهم ضحايا الحروب الاستعمارية والأوبئة والمجاعات وعرضة للتنصير

التجربة الإنسانية في مجالاتها الواسعة، وأعتقد أن أمثال هذه المنطلقات التي حكمت الحوار بين الإسلام والأديان الأخرى لا تزال صحيحة، وخصوصا إذا استمرت البوادر الإيجابية التي ظهرت في الكنيسة أخيرا إزاء الإسلام.

عقبات تواجه الحوار

● هل توجد عقبات دينية تؤدي إلى إفشال الحوار وهل هذه العقبات تأتي من جانب المسلمين؟

أعتقد أنه لا توجد عقبات دينية تمنع الحوار من الجانب الإسلامي، لكن سيكون من التبسيط الشديد أن نقف عند هذه الحقيقة وحدها دون أن نشير إلى العقبات الموضوعية التي تجعل الحوار مصحوبا بالصعاب والتي تحتم جهدا خاصا من الفريقين لفهمهما وتحديد آثارها بهدف التغلب عليها وأبرز تلك العقبات عقبتين:

العقبات الدينية: إذ لا يمكن التقليل من أهمية القضية العقدية أو الأيديولوجية التي تلقي ظلها على مناخ الحوار، ومهما تكن المحاولات لتحاشي الخوض في الخلافات الدينية إلا أنها كثيرا ما تفرض نفسها على النقاش، وخصوصا إذا انتقلت إلى مستوى الجمهور الذي يسهم في تحديد طبيعة العلاقات ويتأثر بها ويؤثر فيها، وليس هناك من سبيل لمنع التساؤلات التي تدور في أذهان المسلمين حول فكرة التثليث وطبيعة المسيح عليه السلام والصلب والقيامة والخطيئة الأولى والخلاص وغيرها، ويوازي ذلك في الأهمية ما اشتمل عليه الإنتاج الأدبي لأكبر العقول في الغرب من طعن على الإسلام وكتابه ورسوله، ولا تعوزنا الأدلة على هذا الاستنتاج، وقد يكفي أن نشير إلى مكانة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما صورها «دانتي في الكوميديا الإلهية» أو أوصافه في كتاب منكر كبير يُنسب إليه عصر كامل في الأدب والفلسفة هو «فولتير» ولا جدال في أن هذا التراث بجوانبه المختلفة قد ألقى ظلالا على مناخ الحوار في مرحلة معينة إلا أن تأثيره يمكن أن يخف في المستقبل، وخصوصا مع ظهور العديد من المؤلفات والأبحاث التي تصدر عن الدوائر المسيحية وتعالج فيها قضايا إسلامية بروح علمية ومنصفة، وهنا لابد أن أشير إلى عقبة مهمة تواجه المسيحيين والمسلمين معا وهي تعدد المصادر التي تكتب في القضايا الدينية سواء بالنسبة للدين الواحد أو علاقته بالأديان الأخرى، وتبعا لهذا التعدد فإن آراء مختلفة وأحيانا متناقضة تصدر عن الجانبين بحيث يصعب تحديد تفسير واحد أو التعامل معه باعتباره الرأي الرسمي، وعلى سبيل المثال فإن قضايا الجزية وأهل الذمة لدينا تتعدد فيها الآراء، ويكتنفها غموض كبير، ولا شك أن تقلص دور الإفتاء الفردي وبروز مجالس الإفتاء يمكن أن يسد هذا النقص، ويجعل المسلمين يواجهون نظراءهم في الحوار بمواقف واضحة محددة في تلك القضايا وغيرها.

الاستعمار الغربي

عقبة الاستعمار الغربي: لايمكن أن نجد ساحة يمكن أن تتأثر بالتاريخ تأثرا سلبيا لمساحة العلاقات الدينية وإذا أخذنا عبارة «توماس جنفرسون» جديا حين قال: «إن التاريخ يعلم الماضي ليكون حكما على المستقبل» فأنت يمكن أن تصاب بإحباط كبير ذلك لأن تاريخ العلاقات الدينية بمجموعه لم يكن تاريخا تحكمه المودة أو التفاهم، ومن سيئات هذا الواقع أن العلاقات المستقبلية يمكن أن تتأثر بسهولة فائقة، وخصوصا إذا لم يكن الاتصال واضحا بين الحاضر والماضي، وكانت المراحل متداخلة كما هو الحال بالنسبة للعلاقات المسيحية الإسلامية، فالحروب الصليبية ليست جزءاً من الماضي كما يظن البعض، والاستعمار الغربي الذي نزل على الأرض الإسلامية منذ القرن الثامن عشر الميلادي كان يحمل شعارات مسيحية لاتزال آثارها قائمة، وإذا كانت الدراسات الجديدة تكشف الآن عن الدوافع السياسية والاقتصادية وراء الحملات العسكرية إلا أن التابع الديني الذي رُسم في أذهان الشعوب الإسلامية له ما يبرره تماما، أقول ذلك لا لكي أهيج عداوات نائمة يمكن تجاوزها، ولكن لنرسم خلفية تاريخية تؤثر في العلاقات الراهنة، وأوضح أننا لا نملك أن نغيّر التاريخ أو نفسره تفسيراً يتفق مع ميولنا وأهوائنا، ولكن من المؤكد أننا نستطيع أن نقلل من تأثيره على الواقع الراهن إذا توافرت النوايا الحسنة وتغلبت الأسباب التي تدعو إلى الحوار على أي اعتبار آخر، كما أن استحضار هذه الخلفية التاريخية يمكن أن يعين على تحديد خطوات تتسم بالحذر والدقة في استقبال الحوار والقناعة بالنتائج العلمية الممكنة في ظل الظروف السائدة والواضح أن قادة الاستعمار الغربي من السياسيين والعسكريين كان يعبر عن دوافع دينية، فالحملة التي افتتح بها الملك البرتغالي «يوحنا الثاني» سلسلة الحملات على أفريقيا الغربية في منتصف القرن الخامس عشر كان هدفها المعلن هو الوصول إلى الحبشة المسيحية، والملك «شارل العاشر» الفرنسي ظفر بتأييد الدول الأوروبية حين أطلق على حملته إلى الجزائر في العام ١٨٣٠م اسم الحملة المسيحية، وقد يزيد الأمر تعقيدا في المرحلة الراهنة سهولة تداول الآراء غير المسؤولة عبر وسائل الإعلام الدينية ما يظهر وكأننا نعيش امتدادا للتاريخ الذي نحاول نسيانه، ومن أمثلة ذلك عنوان ضخم في الصفحة الأولى من جريدة «الهيرالد تربيون» الشهيرة تقدم لرحلة قداسة البابا الأخيرة لأفريقيا باعتبارها حملة صليبية لمحاربة انتشار الإسلام، وكأن انقضاء ثلاثة قرون لم يغير شيئا في الطبيعة، وبقي الشعار الذي أعلنته أوروبا قائما على حد تعبير الكاتب «فنسنت مونتيه» في كتابه الإسلام الأسود «إننا نستطيع القول :إن السياسة الرسمية للحكم الاستعماري في أفريقيا يمكن تلخيصها في عبارة واحدة هي ان الإسلام هو عدونا الأوحد»، ولم يستطع خطاب البابا الودي الرصين في الغرب في

الاستيطان الصهيوني في القدس أهم خطر يواجه أمتنا ولابد من مواجهة المتطرف نتنياهو بكل قوة

ختام الرحلة الأفريقية المذكورة أن يمحو الآثار التي شعرت بها جريدة «التربيون» الوقورة، ومن الأمثلة أيضا تعليق ظهر في مجلة «الايكونومست» البريطانية يعالج فيه تدفق رؤوس الأموال العربية على أوروبا لتنتهي إلى القول: إن هذا الخطر قد يحتاج إلى «شارل مارتل» اقتصادي لأننا في أوروبا على مستوى القائد العسكري الذي واجه المسلمين في بواتييه، وأعتقد أن تاريخ الغزوات الاستعمارية في الشرق هو أحد الميادين المهمة التي تحتاج إلى دراسة جديدة من الجانب المسيحي لمعرفة مدى التناقض بينها وبين روح المسيحية، وتحديد ما إذا كانت أهداف الرسالة المسيحية وأفعالها ضحية من ضحاياها، ويفوق ذلك في الأهمية أن يقع تعاون حقيقي ومخلص لإنهاء النتائج التي ترتبت عليها، والتي لا تزال بعض آثارها ماثلة حتى يومنا هذا

● **كيف تنظرون إلى مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي؟**

■ الحوار الإسلامي المسيحي يتحرك أمام خلفية مثقلة بعوامل الشك والحذر التي لا يجب أن تعطل الحوار، ولكن تفرض عليه أن يمضي بإحتراس وحذر، وأن يحسب لكل خطوة حسابها، وأن يقنع بالنتائج الإيجابية وإن ظهرت في البداية صغيرة متواضعة، ورغم عوامل الشك التي تفرضها تلك الحقبة، فإن هناك ضرورات عملية مهمة تحتم الحوار وتفرضه فرضا، ومن الخطأ الاعتقاد بأن تلك الضرورات تخص فريقا دون الآخر أو أن فوائد الحوار يمكن أن تكون لحساب جانب على الجانب المقابل، يجب أن يكون واضحا أن المسيحيين كما للمسلمين مصلحة في نجاح هذا الحوار، ذلك لأن فكرة الدين نفسها تواجه امتحاناً عسيرا منذ أطلق «نيتشة» شعار «لقد مات الله» وكذلك اتساع دائرة الفكر الإلحادي الذي دمغ باعتباره أفيونا للشعوب حسب التعريف الماركسي المشهور، ولقد وضح أن هذه الأفكار لا تقف عند حدود الأحزاب اللادينية، ولكن تغزو المؤسسات الدينية في عقر دارها بفضل الأساليب الشيطانية التي تنتهجها والتي تعرض وجها زائفا براقا يبرز شعارات السلام والحرية والعدالة، ولقد أثبتت التجارب أن إضعاف أي دين من الأديان لا يعني بالضرورة تقوية الدين الآخر، ولكن يعني دعم الفكر الإلحادي وإعطائه مزيدا من فرص التوسع والانتشار، ويتصل بالإلحاد ويلتقي معه تيار آخر هو ما يمكن تسميته التساهل الأخلاقي، وما يتبعه من الإباحية والفساد وتفكك الأسرة وشيوع المخدرات وازدياد نسبة الجرائم، ولا شك أن التطرف في تطبيق نظرية العلمانية قد أطلق السياسة من الكوابح الروحية والأخلاقية، فلم يعد الحكم وسيلة للخدمة العامة، بل أصبح هدفا لذاته وأسلوبا لتحقيق المغانم والسّلاّبة للهيئات الحاكمة والأحزاب المسيطرة، وهذه الروح الاستعلائية النفعية طغت بدورها على السياسة الدولية وعادت النزعة القديمة فيما يعرف بالاستعمار الجديد، وحين نقول في اجتماعاتنا الدينية إن السبب الرئيسي لما يصيب عالم اليوم من الفوضى والانقلاب يعود إلى عزل الدين عن الحياة العامة فإننا لا نلقي الكلام جزافا أو نختفي وراء غيبية مبهمة، كما يقول الماديون، ولكن نقدّم سببا حقيقيا ملموسا، وهو أن إبعاد الدين بكل ما يجلبه على النفس الإنسانية من الصفاء والطهر والمثل الأخلاقية إنما يصبغ الحياة البشرية بالقسوة والجفاف، ويجعلها ميدانا لصراع مادي لا محل فيه للعواطف السامية أو المشاعر النبيلة التي ينميها الاتصال بالله أو الالتقاء برسله من خلال الكتب المقدسة، وما أصدق قول القرآن في هذا المقام: (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) فإذا توهم الإنسان أنه قوي وقادر، وإذا عزل نفسه عن الله مصدر الرحمة المطلقة، فإن النتيجة المحتومة هي أن تنمو في نفسه نزعات الشر، وأن يفرضها على ما حوله، ومن حوله من البشر، إن كل هذه الميادين وغيرها تكشف الحاجة إلى أن يتعاون أهل الإيمان تعاونا صادقا مخلصا ولا شك أن الإصرار على عقد هذه اللقاءات بين المسلمين والمسيحيين بالرغم مما يكتنفها من الصعوبات يبين إدراك قادة الديانتين لخطوة التحدي والحاجة إلى مواجهته بصف واحد، وإذا جاز لي أن أحدد بعض الميادين التي أتمنى أن تتجه إليها الجهود فأعتقد أنها ما يلي:

لاتوجد عقبات عقيدية تمنع المسلمين من الحوار مع الآخرين

- بالرغم من اقتناعي بوجوب الابتعاد عن الجدل وخصوصا في اللقاءات المعلنة في هذه المرحلة إلا أنني أرى تشجيع حركة الكتابة والتأليف التي تتجه للبحث في القواعد المشتركة للديانتين، أو تعمل على تحقيق الاعتراف المتبادل بينهما، وتبني نشر ما يصدر عنها من إنتاج.
- إن تركيز الحوار على القضايا الحياتية يجب أن تصدر فيه بيانات مشتركة تحدد فهمنا الموحد لطبيعة هذه المشكلات التي نواجهها، ورأينا في رسائل علاجها وحتى يتكون رأي عام على الجانبين يتبنى هذا الفهم.
- يجب أن ننتقل إلى مرحلة التعاون العملي، ولو في حده الأدنى حتى يقع الإحساس لدى الجماهير بجدوى الحوار، ونشكل الثقة المطلوبة وقد يكون التعاون مبدئيا في الحقول الإعلامية لمكافحة أسباب الفساد والتحلل وانتشار المخدرات وضعف الروابط الأسرية واستنكار العدوان والتبشير بالإسلام القائم على الحق والعدل.
- لابد أن يتضح موقف الكنائس المسيحية من المشكلات التي يواجهها العالم والمسلمون وخصوصا ما يتعلق بمشكلة إسرائيل وحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة في وطنه.
- الأفكار التي تصدر عن بعض رجال الدين المسيحي لإعادة النظر في مفهوم التبشير وممارساته بين المسلمين أفكار جديرة بالاهتمام، ولا شك أن الالتزام بها يزيل إحدى العقبات المهمة أمام الحوار أو يفتح السبيل واسعا للتعاون والتنسيق. ■

فكر
اسلامي

الفكر الإسلامي بين.. الواحدية والتعددية

بقلم د :محمد عمارة

في الفكـر الإســلامي انحيـاز للتعـدديـة وحق الاختـلاف بـاعتبـارهما مـن سنن الله الفطـريـة التـي لا تبـديل لها ولاتحويل.. ومع ذلك فلقـد ظهر في تـاريخنا الفكـري نزوع نحو «الواحدية الفكرية» التي تضيق بحق الاختلاف وبسنة التعددية في المذاهب والاجتهادات..

ولقد غالبت هذه التعددية، في الفكر الاسلامي، تلك المحاولات التي أرادت اعتماد احد الاجتهـادات والاستغناء بـه عن بقية الاجتهادات.. وهي محاولات وفدت على الحياة الاسلامية من تراث الفرس، الذي عـرفت «كسرويته» الحكم بالحق الإلهي، وقـدسية قـانـون كسرى، باعتبـاره قـانون السماء، الـذي لاجتهاد معه لبشر.

وفـدت هذه المحـاولات الى الحياة الإسـلاميـة إبان صعـود النفـوذ الفـارسي في البـلاط العبـاسي، على عهـد أبي جعفـر المنصور (٩٥-١٥٨هـ-٧١٤-٧٧٥م) فلقد اشار عبد الله بن المقفع(١٠٩-١٤٥هـ-٧٢٧-٧٦٢م) على المنصـور باعتماد الدولـة لاجتهاد فقهي واحد، في كل الأمصار، بـدلاً من تعدد الاجتهادات الفقهيـة بتعدد مـدارس الفقه الإسـلامي في تلك الأمصار.. فكتـب الى الخليفة يقـول:.. فلو رأى أمير المؤمنين ان يأمر بهذه الأقضية والسنن المختلفة، فترفع إليه في كتاب، ويرفع معها مـايحتج به كل قوم من سنّـة او قياس، ثم نظر أمير المؤمنين في ذلك، وأمر في كل قضية رأيه الذي يلهمه الله ويعزم عليه، وينهى عـن القضاء بخلافة، وكتب بذلـك كتاباً جامعـاً عزماً، لرجـونا ان يجعل الله هذه الاحكـام المختلطة الصـواب بالخطأ حكماً واحـداً صـواباً، ورجـونا ان يكـون اجتماع السير قربـة لاجتماع الأمر بـرأي أمير المؤمنين وعلى لسانه(١).

فنحن امام فكر يـريد المطابقة بين وحدة الـدولة- الخلافة- «اجتماع الأمـر»- وبين واحديـة الاجتهاد والقـانون وفقـه المعامـلات في الدولـة الاسلاميـة، المترامية الاطـراف، والتي تضم أقـاليمها وولايـاتها المتمايـز من الأعراف والعـادات، والمختلف من الاجتهـادات، والمتعدد مـن مـذاهب الفقــه الإسلامي.

ويبدو ان المنصور قد مال الى ماأشار به ابن المقفع.. فأشار بهذا الـــرأي على الإمـــام مـــالـك بـن انس(٩٣-١٧٩هـ-٧١٢-٧٩٥م) مقترحـاً اعتماد اجتهـاد مـالك، وكتاب «الموطأ» قـانـوناً واحـداً يحل محل التعدديـة الاجتهـادية في امصـار ديـار الإسلام.. لكـن الإمام مـالك- انطلاقا من مكانة التعدديـة في الرؤية الإسلامية، ودورها في تزكية وتنمية الاجتهاد في الاسلام- رفض هذا الاقتراح- رغم مافيه من اختيار لاجتهاداته، وسيادة لمذهبه- فعندما قال له المنصور:

قد عزمت أن آمـر بكتبك هذه التي صنعتها فتنسخ، ثم أبعث في كل مصر من أمصـار المسلمين منهـا نسخة، وآمـرهم ان يعملوا بما فيها، ولايتعدوه الى غيره.

كـان جـواب الإمـام مـالك، الـــرفض.. والنهي عن تـوحيـد الاجتهادات في فقـه المعامـلات- وهو علم الفـروع-.. فقال للمنصـور:- يـاأمير المؤمنين، لاتفعل هـذا، فإن النـاس قـد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا احاديث ،وروَوا روايات، وأخذ كل قـوم بما سبق إليهم وأتوا بـه من اختـلاف الناس، فـدع الناس وماختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم.

ويبدو أن هارون الرشيد (١٤٩-١٩٣هـ-٧٦٦-٨٠٩م) قد أعاد الكرة مع مـالك.. فشاوره في ان يعلق الموطأ على الكعبة، ويحمل الناس على مافيـه.. فأعاد مالك الرفـض لذلك، وقال للـرشيد: لاتفعل، فإن اصحـاب رسول اللـه صلى الله عليـه وسلم اختلفـوا في الفـروع، وتفرقـوا في البلـدان، وكل سنـة مضت.. فاقتنع الرشيد برأي مالك، وأثنى عليه، فقال: وفقك الله يا أبا عبد الله(٢).

فانتصرت التعددية في فروع فقه المعاملات، المستظلة بجامع مبادىء الشريعـة وقواعدها.. وطـويت محاولة الدولـة إلغاء التعـدديـة في الاجتهـادات.. وظلت الدولـة الإسـلاميـة، عبر تـاريخهـا الحضـاري، تفسـح الميـادين لاجتهـادات علماء الأمصار وقضـاة الأقاليم في فقـه الفروع.. ولم تعـرف هذه الدولة القانون الموحد الا بعد ذبول وضمور وتوقف الاجتهاد في فقه المعـامـلات، عنـدما وضعت الـدولة العثمانيـة «مجلة الأحكام العدلية» سنـة ١٢٨٦هـ- سنة ١٨٦٩ والتي وقف تقنينها، غـالبـاً، عنـد جمع القواعد وتبـويبها، مبقيـاً الأبواب مفتـوحة امـام تمايز القـوانين، المستمدة من هـذه القواعـد، بتمايـز العـادات والأعـراف والمصـالـح في مختلف الأقـاليم والولايات.

بل إن مـالك بن انس، إمام دار الهجـرة، الذي أعلا مـن مقام «عمل أهل المدينـة» حتى رأى ضرورة التزامه في كـل أمصار المسلمين، باعتبـاره «السنة العملية» الموروثـة عن تطبيقات عصر النبـــوة.. نجـــد الليـث بن سعـــد (٩٤-١٧٥هـ-٧١٣-٧٩١م) وهو من هـو بين عباقرة فقهاء الإسلام- يراجعـه في هذا الرأي، ويكتب اليـه صفحة مشرقة في الدفاع عن حق علماء الأمصار في تعددية الاجتهادات، حتى

في الاختلاف مع «عمل أهل المدينة».

يكتب الليث الى مالك فيقول:

واما ذكرت من مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، ونزول القرآن بها عليه بين ظهري اصحابه، وما علّمهم الله منه، وأن الناس صاروا به تبعاً لهم فيه، فكما ذكرت.

واما ماذكرت من قول الله تعالى:﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين ابتعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾[التوبة/١٠٠].

فإن كثيراً من السابقين الأولين خرجوا الى الجهاد في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله، فجندوا الأجناد، واجتمع اليهم الناس، فاظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه، ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن والسنة.. فإذا جاء أمر عمل فيه اصحاب رسول الله بمصر والشام والعراق على عهد ابي بكر وعمر وعثمان، ولم يزالوا عليه حتى قبضوا، لم يأمروهم بغيره، فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين ان يحدثوا اليوم امرا لم يعمل به سلفهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم، مع أن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختلفوا في الفتيا في اشياء كثيرة.. ثم اختلف التابعون في اشياء بعد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سعيد بن المسيب ونظراؤه، اشد الاختلاف ثم اختلف الذين كانوا بعدهم، فحضرتهم بالمدينة وغيرها، ورأسهم يومئذ ابن شهاب، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وكان من خلاف ربيعة لبعض ماقد مضى ماقد عرفت وحضرت.. ومن ذلك: القضاء بشهادة شاهد ويمين صاحب الحق، وقد عرفت انه لم يزل يقضي بالمدينة به، ولم يقض به اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشام وبحمص ولابمصر ولا بالعراق، ولم يكتب به إليهم الخلفاء الراشدون، ابو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم ولي عمر بن عبد العزيز، وكان كما قد علمت في إحياء السنن، والجد في إقامة الدين، والإصابة في الرأي والعلم بما مضى من أمر الناس، فكتب اليه رزيق بن الحكم: إنك كنت تقضي بالمدينة بشهادة الشاهد الواحد ويمين صاحب الحق.

فكتب اليه عمر بن عبد العزيز:

إنا كنا نقضي بذلك بالمدينة، فوجدنا أهل الشام على غير ذلك، فلا تقض إلا بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين.

ولم يجمع- «عمر بن عبد العزيز»- بين المغرب والعشاء قط ليلة المطر، والمطر يسكب عليه في منزله الذي كان فيه بخناصرة(٣) ساكنا- «واهل المدينة يجمعون»- ومطر الشام اكثر من مطر المدينة بما لايعلمه إلا الله، لم يجمع منهم إمام قط في ليلة مطر، وفيهم أبو عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص ،ومعاذ بن جبل(٤).

فدافع الليث بن سعد عن حق علماء الأمصار في تعددية الاجتهادات في الفروع، دون التزام منهم بعمل اهل المدينة.. بل ساق الشواهد على تغير اجتهادت المجتهد في غير المدينة عن اجتهاداته فيها، فعمر بن عبد العزيز وهو وال على المدينة كان يلتزم الاجتهاد الغالب لأهلها فلما ولي الخلافة، بالشام، التزم اجتهادات اهل الشام.. فكان اسبق، في هذه التجربة مما صنعه الشافعي(١٥٠-٢٠٤هـ٧٦٧-٨٢٠م) عندما اصبح له بمصر مذهب جديد متميز عن المذهب القديم الذي سبق إليه اجتهاده عندما كان في العراق!..

فهذه التعددية في الاجتهادات، هي التعبير عن الاختلاف الطبيعي والمشروع في الفروع، استجابة لتعدد المرويات التي تؤسس عليها الاجتهادات، وللمصالح والأعراف المتميزة بتمايز واقع الأمصار والأقاليم، ولاختلاف نظر المجتهدين في علل الاحكام(٥).

وهذه التعددية في الاجتهادات، بميدان الفروع، لاتمثل خلافاً في ثوابت الدين وأصوله ولافرقة بين المسلمين في الدين.. ولقد ميز الشافعي بين الاختلاف الجائز- في الفروع- وفيما يجوز في التأويل- وبين الاختلاف المحرّم فيما حسمت أمره بينات آيات القرآن الكريم.. فقال: إني أجد أهل العلم، قديماً وحديثاً، مختلفين لم يحل الاختلاف في بعض أمورهم. فهل يسعهم ذلك؟.. ثم اجاب على هذا التساؤل، فقال: الاختلاف من وجهين: أحدهما محرّم، ولا اقول ذلك في الآخر. فالاختلاف المحرّم كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصا بيناً لم يحلّ الاختلاف فيه لمن علمه. وما كان من ذلك يحتمل التأويل، ويدرك قياساً، فذهب المتأول أو القايس الى معنى يحتمله الخبر أو القياس، وان خالفه فيه غيره، لم اقل انه يضيّق عليه ضيق الخلاف في المنصوص، ويبين فرق مابين الاختلافين.. قول الله في ذم التفرق:﴿وماتفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءتهم البينة﴾[البينة/٤].

﴿ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءتهم البينات﴾[آل عمران/١٠٥]. فذم الاختلاف فيما جاءتهم به البينات(٦).

ويزيد الشاطبي (٧٩٠هـ-١٣٨٨م) هذا التمييز تحديداً، عندما يميز بين (الافتراق في الدين) وهو المحرّم والمذموم- وبين (الاختلاف في احكام الدين) وهو تعدد الاجتهادات، الذي لايؤدي الى الافتراق في الدين فالأول هو الذي اشار اليه القرآن الكريم بقوله:﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾[الأنعام/١٥٩] وهو اختلاف الذين في قلوبهم زيغ، الذين اشار اليهم القرآن الكريم في الآية:﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا

الله والـراسخون في العلم يقـولون آمنـا به كل من عنـد ربنا ومايذّكر إلا أولوا الألباب﴾[آل عمران/٧].
أما الاختـلاف المشروع- الذي لايمثل فرقـة في الدين.. وانما هو تعددية الاجتهادات في احكام الدين- فلقد وجدنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده قد اختلفوا في احكام الـدين، ولم يفترقـوا، ولم يصيروا شيعـاً، لأنهم لم يفـارقـوا الـــدين، وانما اختلفـــوا فيما أذن لهم مـــن اجتهـــاد الـــرأي والاستنبـاط من الكتـاب والسنة، فيما لم يجدوا فيـه نصـاً، واختلفت في ذلك أقوالهم، فصـاروا محمودين لانهم اجتهدوا فيما أمروا بـه.. وكانوا، مع هـذا، أهل مودة وتنـاصح، أخوة الإسلام فيما بينهم قائمة (٧).
فالتعـددية والاختلاف والتنـوع في اطار الجامع الموحـد، هو الطبيعي، بل الضروري لتلبية حاجات الواقع، المتنوع والمتغير والعادات والأعراف والمصـالح المتميزة، الى الملائم من احكام الدين..
وإذا كـان ذلك جـائزاً في احكـام الدين وفقـه الفـروع، فإنـه جـائز- من بـاب أولى- في السيـاسيـات التي يتم بها تـدبير شؤون الاجتماع والعمـران.. واذا كانت وحدة الأمـة وأخوة العقيـدة قد وسعت حتى البغـاة الذين احتكمـوا إلى العنف في تحقيق بغيهم، فتحدّث عنهم القرآن باعتبارهم جزءاً من الأمة المؤمنة، ولم يجردهم من الإيمان ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلـوا فأصلحـوا بينهما فـإن بغت إحـداهما على الأخـرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء الى امر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بــــالعــــدل وأقسطـــــوا إن اللـــــه يحب المقسطين﴾[الحجرات/٩]. فلقد وجدنا تطبيق هذه المباديء في كلمات الإمام علي بن أبي طـالب، وهو يقوّم مكانـة الفرقاء المتحـاربين في الفتنـة الكبرى.. فلقـد سئل عن خصـومـه في «موقعة الجمل»:
-أمشركون هم؟!
-فقال: من الشرك فروا!
فسئل:
-أمنافقون هم؟!
-فقال: إن المنافقين لايذكرون الله إلا قليلا!
فسئل:
-فمن هم إذن؟!
- فقال: إخواننا، بغوا علينا(٨).
وكذلك كان تقويم الإمام علي للـذين بغوا عليه فقاتلوه- خلف معاويـة بن أبي سفيان- من اهل الشـام في «صفين» فتحدث عنهم فقال:لقد التقينا، وربنا واحـد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحـدة، ولانستزيـدهم في الايمان باللـه والتصديق برسوله ولايستزيدوننا، والأمر واحد، إلا مااختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه بـراء(٩).. إننا، والله، ماقاتلنـا أهل الشام على ماتوهم هؤلاء- «الخوارج» من التكفير والفراق في الدين، ومـاقاتلنـاهم إلا لنـردهم إلى الجماعـة.. وانهم لأخواننـا في الدين، قبلتنا واحدة، ورأينا أننا على الحق دونهم(١٠).
فالتعددية والاختلاف والتنوع، لاتمثل افتراقا في الدين، طالما ظلت تحت جامع الإســلام، المتمثل في أصولـه الثوابت، التي هي وضع إلهي، معلـوم بالفطـرة والضرورة.. سواء أكـانت هذه التعدديـة في فروع الاحكام الدينيـة، من فقه الفروع، أم كانت من السياسات.
فما علم من الـدين بالضرورة، فأجمعت عليـه الأمة، لامجال فيه للاختلاف.. وذلك من مثل ماضرب الشـافعي به المثل على ذلك، فقـال: لست أقول ولا أحـد من أهل العلم: هـذا مُجْتَمَعُ عليه إلا لما لاتلقى عـالماً أبداً إلا قاله لك، وحكـاه عن من قبله، كالظهر أربعُ، وكتحريم الخمر، وما أشبه هذا (١١).
أما ما عـدا ذلك، من احكام الدين، وفروع الفقـه، وسياسات العمـران، فإن التعــدديــة والاختــلاف بين الاجتهـادات في ميادينها، قـد استقر الإسلام على اعتبارها سنـة فطرية من سنن الله في الفكـر الإنساني، لاتبـديل لها ولاتحويل.. حتى لقـد غدا هـذا الاختـلاف «فناً» من فنـون العلم الإسـلامي، قصده العلماء بالتأليف والتصنيف! ■

الهوامش:

١- رسالة الصحابـة في «جمهرة رسائل العرب» لأحمد زكي صفـوت- رسـالة رقـم(٢٦) والنقل عن النظـرية العـامـة للشريعة الاسلامية ص٢٠٠.
٢- الدهلوي حجة الله البالغـة جـ١ ص١٤٥ طبعة القاهرة سنة ١٣٥٢م.
٣-خنـاصرة- بضم الخاء- بلـدة صغيرة من اعمال حلب، باتجاه البادية.
٤-ابن القيم [أعــــلام الموقعين عن ربّ العـــالمين] جــــ٣ ص٨٣-٨٦ طبعة بيروت سنة١٩٧٣م.
٥-حجـة اللـه البـالغـة جــ١ ص١٤٠-١٤٣ والشـاطبي «الموافقات في اصول الاحكام- جـ٤ ص١٥١,١٥٢.تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. طبعة مكتبة محمد علي صبيح القاهرة، من دون تاريخ.
٦-الرسالة ص٥٦٠,٥٦١تحقيق: احمد محمد شاكر. طبعة بيروت-المكتبة العلمية- مصورة عن طبعة القاهرة. الاولى.
٧-الشاطبي الموافقات جـ٤ ص١٢١-١٢٤ طبعة القاهرة.
٨-ابن ابي الحديد «شرح نهج البلاغة» ج١٧-١٤١.
٩-الباقلاني «التمهيد» ص٢٣٧,٢٣٨.
١٠-الرسـالة ص٥٣٤
١١-انظر في عنـاوين بعض المؤلفات في «فـن الاختلاف» د. جمال الـدين عطية «آلتنظير الفقهي» ص١٣٦-١٤١ طبعـة القاهرة سنة ١٤٠٧هـ وسنة ١٩٨٧م.

«الجزم بالراجح من الأقوال الفقهية»

بقلم د. عطية فياض

إن الإفتـاء عظيم الخطـر، كبير الموقـع، كثير الفضل، لأن المفتي وارث الأنبياء ـ صلـوات الله وسلامه عليهم ـ وقائم بفـرض الكفاية، والموقع عن اللـه تعـالى ولذلك تـورع عنـه كثير من سلف الأمـة لا لجهل منهم بالحكم الشرعي ولكن خشيـة الزلل والخطأ، روي عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: «أدركت عشرين ومئة من الأنصار من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ يسأل أحدهم عن المسألة فيردهـا هذا إلى هذا وهـذا إلى هـذا حتى تـرجع إلى الأول «وفي روايـة» مـا منهم من يحدث بحـديث إلا ودّ أن أخاه كفـاه إياه، ولا يستفتى عن شيء إلا ودّ أن أخـاه كفـاه الفتيـا»(١)، ولجلال وظيفة الإفتـاء الشرعي شـدد العلماء فيمن يتولاها، فيـذكر عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ أنـه قال: لا ينبغي للرجل أن ينصّب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال: أولها: أن تكون له نية، فإن لم يكن له نية لم يكن عليه نـور ولا على كلامه نور، الثانية: أن يكون له علم وحلم ووقـار وسكينة، والثالثة: أن يكون قويـا على ما هو فيه وعلى معرفته، الرابعة: الكفاية وإلا مضغه الناس، الخامسة: معرفة الناس.(٢)

ويقول الإمـام النووي ـــ رحمه الله ـ «شرط المفتي: كـونه مكلفـاً، ثقة، مأمونـا، منزهاً عن أسباب الفسق وخـوارم المروءة، فقيه النفس، سليم الذهن، رصين الفكر، صحيح التصرف والاستنباط، متيقظا.(٣)

ويقول ابن القيم: «ولما كان التبليغ عن الله ـــ سبحانه ـ يعتمد العلم بما يبلغ والصدق فيه لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق فيكون عالماً بما يبلغ صادقا فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضي السيرة، عدلاً في أقواله وأفعـاله، متشابه السر والعلانية في مدخلـه ومخرجه وأحـواله.....»(٤)، وقـد وضّح الفقهاء الضـوابط والحدود التي يجب أن يلتزم بها كـل من يتصدر للفتيا ومـن أوجب ما ينبغي أن يلتزم به المفتي أن يوضح للمستفتي الحكم الشرعي الصحيح لأن هذا هو الغرض الأصلي من الاستفتاء.

يقول ابن منظور: «والفتيا: تبيين المشكل من الأحكام، وأصله من الفتي وهو الشبـاب الحدث الذي شب وقـوي فكأنه يقـوى ما أشكل ببيـانه فيشب ويصير فتيا قـويا»(٥)، فتكون الفتوى موضحـة لما أشكل أمره على السائل، مزيلة لكل إبهام، كافية في حصول المقصود، لا يحتاج معه إلى غيره، وكثيراً ما نرى في أبواب الفتاوى في الإعلام المسموع أو المقروء من يفتي للسائلين في المسألة الواحدة بأقوال المذاهب الفقهية كلها دون ترجيح بينها ويترك للسائل حريـة الاختيار بين هذه الأقوال المتعارضة، فعلى أي أساس يختار؟ إنه بذلك يـوقعه في حيرة ولبس يقول النووي ـ رحمه الله ـــ «ينبغي ألا يقتصر في فتواه على قـوله في المسـألـة خلاف أو قولان أو وجهـان أو روايتان أو يـرجع إلى رأي القاضي ونحـو ذلك فهذا ليس بجواب ومقصود المستفتي بيان مـا يعمل به، فينبغي أن يجزم له بما هو الراجح فإن لم يعرفه تـوقف حتى يظهر أو يترك الإفتاء كما كان جماعـة من كبار أصحـابنـا يمتنعون مـن الافتاء في حنث النـاسي(٦)، ويقـول ابن القيـم ـــ رحمه اللـه ـــ «لا يجوز للمفتي الترويج وتخيير السـائل وإلقاؤه في الإشكـال والحيرة، بل عليـه أن يبين بيـانـا مزيـلا للإشكال، مبينـاً لفصل الخطاب، كافيا في حصـول المقصود، لا يحتاج معه إلى غيره، ولا يكون كالمفتي الـذي سئل في مسألة في المواريث فقال: يقسّم بين الورثة على فـرائض الله ـ عز وجل ـــ ...»، ويقول: «إذا اعتدل عند المفتي قولان ولم يترجح له أحدهما على الآخر.... الأظهر أن يتوقف ولا يفتيه بشيء حتى يتبين له الـراجح منهما لأن أحدهما خطأ فليس له أن يفتيـه بما لا يعلم أنـه صـواب، وليـس لـه أن يخيره بين الخطأ والصواب».(٨).

وقد وضح علماء كل مذهب قواعد الترجيح فيه وبيان المعتمد من الأقوال في المذهب ما يجوز أن يفتي بـه وما لا يجوز، يقول ابن عابـدين ـ رحمه الله ـ في حاشيته: «الحكم والفتيا بالقول المرجوح جهل وخرق للإجماع، وأن الحكم الملفق باطل بـالإجماع»، ويقول: «ومـذهب الحنفية المنع عن المرجـوح حتى لنفسـه لكـون المرجـوح صار منسـوخـاً»(٩) ويقـول الـدسوقي في حـاشيتـه على الشرح الكبير: الفتوى إنما تكـون بالقـول المشهور أو الراجح من المذهب وأما القول الشاذ والمرجوح أي الضعيف فلا يفتي بهما وهو كذلك فلا يجوز الإفتاء بواحد منهما ولا الحكم به ولا يجوز العمل بـه في خـاصـة النفس....»(١٠)، ويقـول الجلال المحلي في شرحه على المنهاج: «وحيث أقول النص فهو نص الشافعي ـ رحمه الله ـ ويكون هنـاك» أي مقابلـة «وجه ضعيف أو قـول مخرج» من نص له في نظير المسألة لا يعمل به» ويقول القليوبي في حاشيته: «ولا يجوز نسبته للإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ إلا مقيداً»(١١).

وإذا كان مـا تقدم يفيد أنـه لا يجوز للمفتي أن يعرض الأقـوال الفقهية أمام السائل ليختـار منها، فإنها تفيد أيضاً عدم جواز الفتـوى بالأقوال المرجوحـة أو الشاذة في أي مـذهب طلباً للـرخصة وتيسيراً على العـامة ومجاراة للواقع كمن يفتـي بجواز نكاح المتعـة باعتبـار أن هناك بعض الفرق أجـازته مع أن خلاف هذه الفـرقة في هذه المسـألـة غير معتبر وقد ذكـر الشاطبي في الموافقـات جملة من المفـاسد تترتب على اتبـاع رخص المذاهب منهـا: الانسلاخ من الديـن بترك اتباع الدليـل إلى اتباع الخلاف، ومنها: الاستهانة بالدين إذ يصير بهذا الاعتبار سيالاً لا ينضبط، ومنها: ترك ما هـو معلوم إلى ما ليس بمعلـوم، ومنها: انخرام قانـون السياسة الشرعيـة بترك الانضباط إلى أمـر معـروف، ومنهـا: إفضاؤه إلى القـول بتلفيق المذاهب على وجـه يخرق إجماعهـم.(١٢) فيجب على كل مفتٍ أن يتقي اللـه فيما يقـول حتى لا يكـون ممن يسئلـون فيفتـون بغير علم فيضلون ويُضلون ، أعاذنا الله من ذلك. ■

الهوامش:

١ ـ الإمام النووي ـ المجموع شرح المذهب ـ ١/ ٤٠ دار الفكر.
٢ ـ ابن القيم ـ اعلام الموقعين ـ ٤/ ١٧٣ دار الحديث.
٣ ـ الإمام النووي ـ المرجع المذكور ـ ١/ ٤١.
٤ ـ ابن القيم ـ المرجع المذكور ـ ١/ ٨.
٥ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ـ ١٥/ ١٤٧ دار الفكر.
٦ ـ الإمام النووي ـ المرجع المذكور ـ ١/ ٤٧.
٧، ٨ ـ ابن القيم ـ المرجع المذكور ـ ٤/ ١٥٤، ١٨٤.
٩ ـ حاشية ابن عابدين ـ ١/ ٧٤ دار الفكر.
١٠ ـــ حاشيـة الدسـوقي على الشرح الكبير ـ ١/ ٢٠ دار إحيـاء الكتب العربية.
١١ ـ حاشيـة القليـوبي على شرح المحلى للمنهاج ١/ ١٣ دار إحياء الكتب العربية.
١٢ ـ الشاطبي ـ الموافقات ـ ٤/ ٨٠ دار إحياء الكتب العربية.

فقـه

الإسلام وفقه استيعاب الذكريات التاريخية

بقلم: محمود حسن اسماعيل

الالتفات الى الذكريات يذكرنا بحقيقة وضعنا في هذا الكون العميق ويذكّرنا بالله عز وجل ومايرجى من تصاريف القدر على خلقه في كونه العجيب، فاذا اصغيت الى وحيها وأحسسته يتخلل شعاب نفسك ويرطب جوانبها بحنين الذكرى، واذا اصغيت وأحسست، ثم ترجمته للناس في لباقة وخشوع ألنت القلوب وأحييت المشاعر وأنرت البصائر، واستحضار الذكريات نبلغ به مانريد وانه ليحتاج فطنة وكياسة وطبعاً حياً متأثراً (١).

ان التاريخ مستودع افكار الأمة واحاسيسها وبطولاتها ومفاخرهاوامجادها فهو ذاكرة الأمة التي تحتزن خبراتها مواقف العداء والولاء ،وارتباط المسلم وانتماؤه لتاريخ أمته وحضارتها ليس تقديسا وثنيا كما هو في الغرب ولكن الارتباط بالتاريخ الذي حمل روح الاسلام والانتماء للحضارة التي نبعت من هديه (٢)وامتداد لمعالم الاسلام التي تحمل خصائص الاستمرارية والبقاء الى ان يرث الله الارض ومن عليها.

ونظرة واقعية الى يهود اليوم الذين يحملون في نفوسهم رواسب عنصرية قوية لعدة آلاف من السنين، ومازالت هذه الذكريات تتضاعف مناضلة بشدة– سواء بوعي أو دون وعي– تحت تأثير عقدة الاختيار، واستنادا الى العقيدة المحرّفة ارتبطت الحركة الصهيونية بمطلبين اساسيين لم تتخل عنهما هذه الحركة في يوم من الايام ولن تتخلى عنهما في حال من الاحوال:

أ– الحصول على مايسمى بـ (أرض الميعاد) أو (أرض اسرائيل) على اساس من النيل الى الفرات.

ب– اعادة الشعب اليهودي الى أرضه التاريخية لأن الحياة في (المنفى) اي خارج فلسطين مخالفة للدين اليهودي وللحياة الطبيعية للشعب اليهودي(٣).

ان مهمة الفكر الاسلامي المعاصر ان يركز جهوده في ايجاد البديل الاسلامي لتجاوز الأخطاء السالفة والتصدي للمؤامرات التي تحاك للمسلمين اليوم واحداث التغيير الهادف الذي يمكّن أمة الاسلام من بناء صرح حضاري معاصر يستوعب التجربة الحضارية الاسلامية السابقة ويقف على حقيقة البلاء الثقيل الذي عم العالم بمجافاة الاسلام، ولايتعجب المرء حين يرى الضغوط تتوالى على الأمة الاسلامية والاخطار المتلاحقه تحدق بها من كل جانب فالأمة الاسلامية أعظم من ان ينالها حاقد بسوء او طامع بعدوان وهذه التيارات المتلاحقة تحمل معها بواعث اليقظة والانتباه قال تعالى:﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾[السجدة/٢١].

يقول الشيخ محمد الغزالي:

ولما كانت هذه الأمة حاملة الوحي الخاتم، فإن القدر يؤدبها اذا استرخت او فرطت حتى تلزم الصراط المستقيم، ويتعهدها بالمجددين الذين يغارون على حقائق الوحي وسبل فقهه واساليب حكمة قال تعالى:﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾[الاعراف/١٨١].

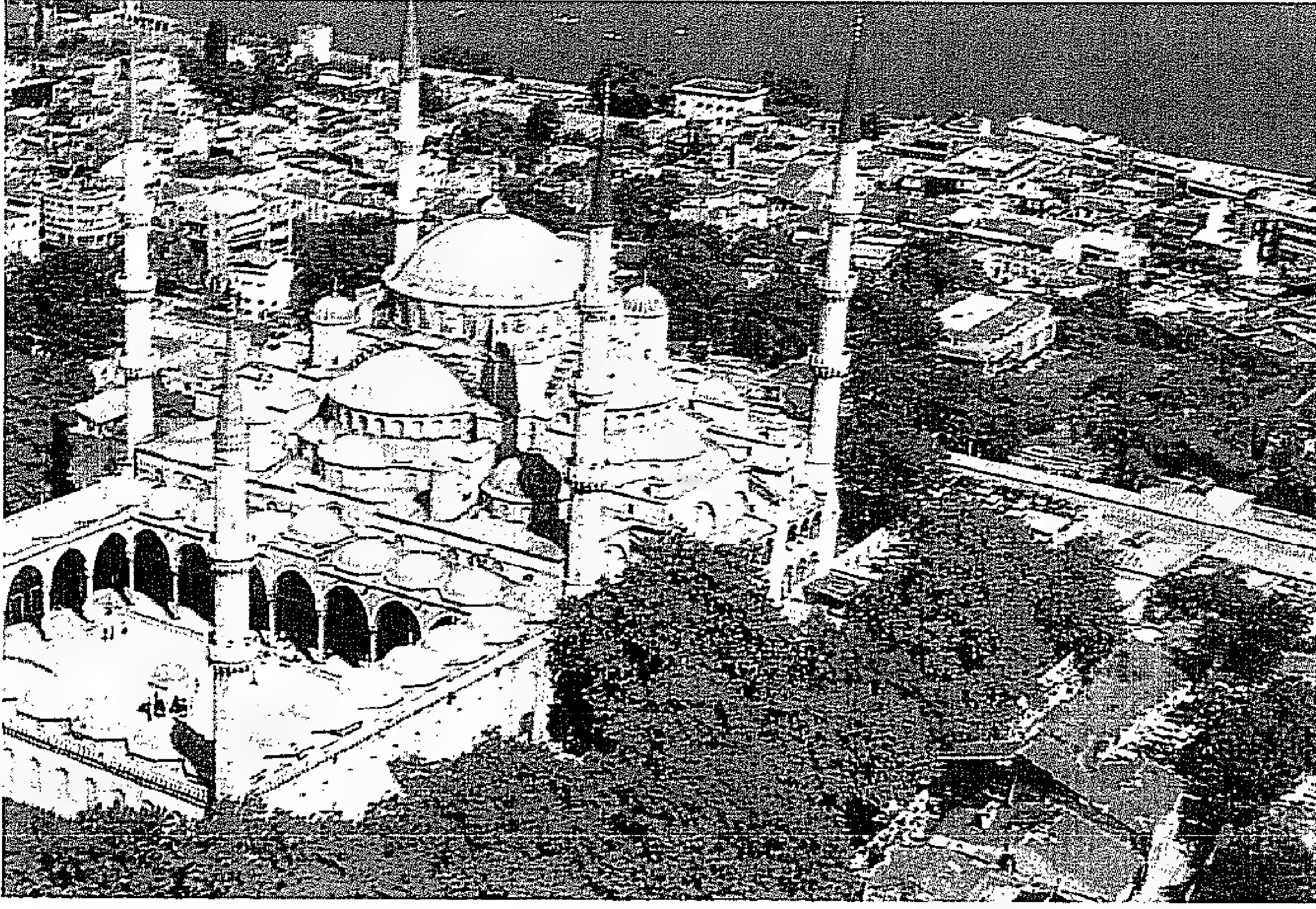
ومن هذا التقديم يظهر انه لاغرابة في وجود أخطاء في تاريخنا الثقافي والسياسي وانما الغرابة في التستر على هذه الأخطاء او الاستحماق في معالجتها والتعفية على آثارها(٤).

ومع ماتعرض له التاريخ الاسلامي من مد وجزر وذبول وازدهار فان الأمة الاسلامية فرضت طابعها المتميز على الفكر البشري وجعلت خصومها يراجعون انفسهم ويمجّدون بعض مواريثهم او يتخلون عنها ومع ان الأمة الاسلامية على خارطة العالم اليوم تشق طريقها في مرحلة من اهم المراحل التي مرت بها الانسانية تصل الى حقد التعقيد، فان استعادة المسلمين لمجدهم وتبوئهم المكانة التي كانوا عليها في الماضي امر طبيعي متى طرحوا اسباب التخلف وتمسكوا بعوامل الرقي والتقدم فالأمة الاسلامية هي الوحيدة القادرة على استمرار العطاء الحضاري لما تحمل من مؤهلات ايجابية تجعلها اصلح الامم للقيادة الجديدة فالحضارة الحديثة نسيت الله عز وجل وألهت الغرائز وتعبدت للشهوات وهي في طريقها للموت والدمار.

وليس هناك اكثر عراقة، واشد وضوحا من التجربة الاسلامية الحضارية عبر التاريخ– رغم تعاسة الظروف التي ألمت بالأمة الاسلامية– فانها أرست قواعد خير كثيرة للناس أجمعين، فما على الراغب في الخير الا ان يستوعب سيرته صلى الله عليه وسلم في الدعوة، ويلم بروح رسالته في القرآن فأحكام الشريعة الاسلامية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان ولم تترك شيئا من احوال البشر الا وفصلت فيه بما يصلح امور الكون ويبعث فيه الأمن ويبث فيه من روح الطمأنينة.

وفي ظل هذه الرؤية العميقة لجذور الفكر الاسلامي الضاربة في عمق التاريخ يصبح من السهل على ابناء

الأمة الاسلامية تحجيم مرجعيتهم بفقه ووعي واستلهام لروح التاريخ الاسلامي في اطار لايسمح بالتخلي عن الثوابت وهم يحاولون اللحاق بعجلات هذا العصر السريعة، والتأفف والتملل من نوعية الحياة في المجتمع المسلم لايعرّفها أجلّ العقيدة فهي امور لن ترقى لمجتمعه الى الاهداف التي ينشدها الآن وفي المستقبل. والطموح والتحمس الزائد عن الحد لاينهض وحده كعامل للتغير والابداع الفكري، وحده لاينهض لصياغة التاريخ الاسلامي ملبيا لحاجات العصر ومن هنا فالمفارقة بين الرؤية المطروحة كوجهات نظر وواقع المسلمين في ظل هذه الرؤى واضحة وحقيقة لاتحتاج الى بيان ويبقى ان نركز على التنفيذ العمل والواقع.



ان المسلمين في عالم اليوم يحتاجون الى معرفة حقه بالاسلام وطبيعته وتحديد معالم الاسلام الرئيسية تحديدا يميز بين الاصول والفروع ويرتب الأولويات ويبين الثوابت والمتغيرات ويحدد الداء الذي اصاب الأمة الاسلامية في فترات الضعف والمخرج من كل الازمات وعلى كل مسلم ان يستشعر المسؤولية الكبرى تجاه دعوة الاسلام ويغير من واقعه وواقع مجتمعه على اساس متين وصحيح من العقيدة الاسلامية.

ومن البدهي ان قيام المشروع الحضاري الاسلامي على يد دعاة الاسلام في هذا العصر لن ينفك عن الثوابت الاسلامية التي رجحت كفة الاسلام في أزهى عصوره وأعلت حجة المسلمين وانتقلت بالحياة البشرية نقلة حاسمة في مجالات عدةمنها:

١- تنقية عقيدة الوحدانية من كل شوائب الشرك.

٢-رفض أي عنصر في الايمان يناقض العقل.

٣-تقرير المساواة في الحقوق والواجبات على اختلاف الألوان والأديان.

٤-كما أنها خففت من ويلات الحروب وحرمت الدمار الشامل(٥).

ان منابع الثقافة الاسلامية والعقيدة الاسلامية لايمكن ان تجف او تزول لانها مرتبطة بالاسلام الذي اقام منهج الحياة في الارض وسيقيمه حتى تقوم الساعة وستنهار كل هذه الاركان التي تحتضن الإلحاد والإباحية والفساد الخلقي لانها لاتملك القدرة على المقاومة والمواجهة وسيخطو المجتمع الاسلامي خطواته في الاتجاه الصحيح من خلال الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومن خلال المراحل والصبر وعدم تعجيل الثمرة وسيبقى الحق ويذهب الباطل قال تعالى: ﴿مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها...﴾[إبراهيم/ ٢٥].

وستنهار الحضارة الغربية المعاصرة كما انهارت حضارة الرومان واليونان وفارس لانها تسير على منهج الترف نفسه (٦).

وكما خرج أجدادنا الى العالم يوم ان تلقوا الضوء والاشارة كي يخرجوا العالم من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ومن عبادة العباد الى عبادة رب العباد فإن على الأحفاد ان يخرجوا مرة أخرى الى العالم، بالصيغ والاساليب الموازية لمطالب ومعادلات العصر الذي يعيشه كي يقولوا للانسان هذا هو الطريق قال تعالى:﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾[الروم/ ٣٠]. ■

الهوامش:

١-تذكرة الدعاة: البهي الخولي- دار التراث- ط٨ سنة ١٤٠٨هـ، ١١٩.

٢- منار الإسلام: العدد الخامس. السنة الثامنة عشرة

٣-أهداف اسرائيل في البلاد العربية: اللواء الركن/ محمود شيت خطاب دار الاعتصام ط ٣ سنة ١٩٧٠.

٤-مئة سؤال عند الاسلام: محمد الغزالي- دار ثابت ط٥ رجب سنة١٤١٧هـ

٥-المصدر نفسه:ص٥٠١

٦- منار الإسلام العدد الثاني عشر- السنة الثامنة عشرة

فقه

الحيازة في الفقه الإسلامي

بقلم :ادريس محمد

أولاً: تعريف الحيازة (١)

الحيازة لغة من حاز الشيء يحوزه حوزاً وحيازة، إذا جمعه وضمه إليه، وحصل عليه، والحوز الجمع وضم الشيء، وكل من ضم شيئاً إلى نفسه من مال أو غيره، فقد حازه حوزا وحيازة، واحتازه احتيازاً(٢).

اما الحيازة اصطلاحاً فقد عرفها الفقهاء بانها:وضع اليد على الشيء والاستيلاء عليه(٣) وفي القوانين الفقهية لابن جزي(٤) القبض هو الحوز، وقال صاحب شرح التحفة: الحوز وضع اليد على الشيء الحوز(٥).

وفي القانون الحيازة هي ان يستولى الانسان على مال ويبقى تحت يده وتصرفه(٦) او هي السلطة الواقعية او السيطرة الفعلية على شيء منقول أو عقارأو على حق عيني..(٧).

ثانيا: أنواع الحيازة

الحيازة نوعان الاول :حيازة مع جهل اصل الملك لمن هو، وذلك كمن استولى على شيء مباح، أو عقار غير مملوك لاحد، وهذه يكفي فيها عشرة اشهر فاكثر يقول الشيخ خليل: وصحة الملك بالتصرف وعدم منازع وحوز طال كعشرة اشهر وانها لم تخرج عن ملكه في علمهم..(٨) وهذه الحيازة هي التي يذكر العلماء انها سبب من اسباب كسب الملكية.

الثاني: حيازة مع علم اصل الملك لمن هو وهذه لابد فيها من توافر شروط معينة – سترد فيما بعد- حتى تعتبر قرينة على ان ذلك الملك او الشيء هو للحائز عليه.

ففي العقار لابد من مرور عشر سنين فأكثر، وفي الثياب والدواب.. عامين فأكثر(٩) وتسمى هذه الحيازة بالحيازة القاطعة لحق الغير، كما تسمى بالحيازة التي تعتبر قرينة على الملكية(١٠) ويمكن تسميتها حسب الاصطلاح القانوني الحديث بالتقادم، أي التقادم المكسب (١١) اي للملكية.

ثالثا: مراتب الحيازة:

يقول الإمام ابن رشد الجد في كتابه البيان والتحصيل(١٢) ان الحيازة على ست مراتب:

أ- اضعفها حيازة الأب على ابنه، وحيازة الابن على ابيه.

ب- حيازة الأقارب الشركاء في الميراث أو في غير الميراث بعضهم على بعض.

ج- حيازة القرابة بعضهم على بعض فيما لاشركة بينهم فيه، كالاختين(١٣) والموالي الأشراك(١٤) بمنزلتهم.

د- حيازة الموالي والأختان بعضهم على بعض فيما لاشرك بينهم فيه.

هـ- حيازة الاجنبيين الأشراك بعضهم على بعض فيما لاشركة بينهم فيه.

و-حيازة الأجنبيين الذين لاشركة بينهم فيه.

رابعاً: النصوص الواردة في الحيازة:

هناك حديثان مرويان في كتب المالكية يتعلقان بالحيازة، الاول اخرجه ابن القاسم في المدونة(١٥) عن عبد الجبار بن عمر عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سعيد بن المسيب يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: « من حاز شيئاً عشر سنين فهو له».

قال عبد الجبار وحدثني عبد العزيز بن المطلب عن زيد بن أسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله، ورواه زيد بن أسلم مرفوعاً: « من احتاز شيئا عشر سنين فهو له» اخرجه ابو داود في باب الأقضية في المراسيل(١٦).

ويمكن ان يطعن في هذا الحديث من جهة إرساله، وكذلك من جهة سنده، حيث ذكر الإمام ابن حجرالعسقلاني في التهذيب ان عبد الجبار بن عمر الأيلي المذكور في السند ضعيف (١٧). وعلى الرغم ان من كل هذا ففقهاء المذهب المالكي يستدلون بالحديث في مسألة المدة في الحيازة قال الشيخ خليل في التوضيح(١٨) وبالعشر سنين أخذ ابن القاسم وابن عبد الحكم واصبغ بل ان ابن القاسم اخذ بأقل مماورد في الحديث السابق ذكره كما جاء في الموازية(١٩) عن ابن القاسم ان السبع والثماني وماقارب العشر مثل العشرة.

الحديث الثاني الذي يذكره فقهاء المذهب المالكي في شأن الحيازة هو :لايبطل حق امرىء مسلم وان قدم وهو غير وارد في كتب الحديث كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين (٢٠).

وذهب آخرون الى ان الحديث متفق على صحته(٢١) وقد يبدو بعض التعارض بين الحديثين السالفين لكن يمكن الجمع بينهما بحيث يؤخذ بالحديث الأول عند توافر جميع الشروط لكن لاتعتبر الحيازة مكسبة للملكية اخذاًبالحديث الثاني عند وجود سبب من الاسباب المانعة للمطالب بالحق (المنازع) من المطالبة باسترداد ملكه على الشيء وذلك كالغائب او الصغير او المكره، فان حقه لايبطل، ويمكنه ان يطالب به متى ارتفع ذلك السبب المانع له من المطالبة بحقه.

خامسا: شروط الحيازة:

حتى تنتج الحيازة اثارها، وتكون سببا من اسباب كسب الملكية او قرينة فقط عليها- على خلاف ذلك- فقد نص الفقه الاسلامي على شروط الحيازة الصحيحة(٢٢) وهي سبعة:

١-وضع اليد أي حيازة الحائز للشيء المحوز ووضع يده عليه.

٢-تصرف الحائز في الشيء المحوز.

٣-ادعاء الحائز ملكية الشيء المحوز.

٤-حضور المحوز عليه بالبلد الذي يوجد فيه الشيء المحوز.

٥- ان يكون المحوز عليه عالما بحيازة الشيء وبان المحوز ملك له.

٦-سكوت المحوز عليه بلا مانع ولاإكراه دون ان يعترض على

الحائز او يطالبه بحقه.
٧-مرور المدة المحددة للحيازة.
اما بالنسبة للقانون، فلا يعتد بالحيازة ولايكون لها أثر قانوني إلا اذا استجمعت الصفات التالية:
أ- الهدوء أي من غير عنف أو اكراه
ب- العلنية أي ان تكون على مرأى ومسمع من الناس.
ج-الاستمرار وعدم الانقطاع
د-الخلو من الالتباس بحيث يتصرف الحائز وكأنه مالك للشيء أومالك للحق الذي يحوزه(٢٣).
وهذه الشروط المنصوص عليها في القانون اغلبها مأخوذة من الفقه الإسلامي لكن القانون أغفل بعض الشروط المهمة كوضع اليد مثلا وكادعاء الحائز ملكية الشيء المحوز. فالقانون اكتفى فقط بالعلنية، لكن يمكن ان نعتبر شروط الخلو من الالتباس يضمن هذا الادعاء وكذلك وضع اليد وهي كالتالي :

١- وضع اليد على الحيازة:

وهذا هو العنصر المادي لقيام الحيازة فهو يعتبر السيطرة الفعلية او السلطة الواقعية على الشيء او على الحق العيني كزراعة الارض او غرسها او حرثها او الرعي او الحفر فيها، او سكنى دار او تأجيرها او ممارسة حق المرور من عقار(٢٤).
ويوضح الإمام القرافي معنى وضع اليد بقوله:اليد عبارة عن القرب والاتصال فاعظمها ثياب الانسان التي عليه، ونعله ويليه البساط الذي هو جالس عليه والدابة التي هو راكبها، و الدابة التي هو سائقها أو قائدها والدار التي هو ساكنها(٢٥).

٢- تصرف الحائز في المحوز:

وذلك بجميع أنواع التصرفات التي يمكن إجراؤها على ذلك الشيء، يقول الشيخ خليل في مختصره في هذا الشأن «وصحة الملك بالتصرف»(٢٦) يقول الإمام الدردير شارحا قول خليل: لابالاشتراء من سوق مثلا ،فان اقام بينة انه اشتراها، وأقام آخر بينة انها له، قدمت على بينة من اشتراها، لانه قد باعها من لايملكها. وقد يشتريها وكيل لغيره، ومثل الشراء الهبة والصدقة والارث لاحتمال عدم ملك الواهب والمورث وهذا مالم تشهد -أي البينة- انه اشتراها من الخصم او من غانمها(٢٧).
ويضيف الدردير ان الاستيلاء على الشيء ووضع اليد عليه والتصرف فيه يكون بواحد من امور: سكنى او اسكان او زرع أو غرس او استغلال او هبة او صدقة او بيع او هدم او بناء او قطع شجر اوعتق او كتابة او وطء في رقيق(٢٨).
والهدف من محاولة الفقهاء هذه هي حصر هذه التصرفات ونفي الغرر وعدم الوضوح اذ يجب ان يكون تصرف الحائز في المحوز دالاً بوضوح ،قام على أنه مالك له ومما لايفعله الرجل إلا في ماله.. والتصرف المجمع عليه هو ماكان كالهدم والبناء فيما لاضرورة داعية اليه. اما السكنى ونحوها فقد اختلف فيها والمشهور انه حيازة يقول الإمام ابن رشد في كتاب البيان والتحصيل(٢٩) واما حيازة الاجنبيين بعضهم على بعض فيما لاشركة بينهم فيه، فالمشهور في المذهب ان الحيازة تكون بينهم في العشرة أعوام، وان لم يكن هدم ولابنيان، وفي كتاب الجدار لابن القاسم أنها لاتكون حيازة إلا مع الهدم والبنيان وهو قول ابن القاسم في رواية حسن بن عاصم عنه(٣٠).

٣-ادعاء الحائز ملكية محوزه:

ويمكن اعتبار هذا الشرط العنصر المعنوي الذي ذكره القانونيون أي هو نية الحائز في ان يحوز الشيء او الحق العيني كمالك للشيء او صاحب للحق العيني(٣١).
ويشترط في كل حائز يضع يده على المحوز ويتصرف فيه تصرف المالك في ملكه ان ينسب الملك الى نفسه وان ينسبه الناس اليه فالحوز وحده لايكفي اذا تجرد عن ادعاء الملكية، يقول الشيخ الدسوقي على الشرح الكبير(٣٢) موضحاً هذا الشرط الثالث:
«وهو ان يدعي الحائز وقت المنازعة ملك الشيء، واما اذا لم يكن له حجة إلا مجرد الحوز فلاينفعه».

٤-حضور المحوز عليه بالبلد الذي فيه المحوز:

و عبر رجال القانون على هذا الشرط كون الحيازة علنية حيث يكون الحائز متمتعا بالشيء او الحق على مرأى ومسمع من الناس لا أن تكون حيازته مستترة ومدار خلاف (٣٣).
اما في الفقه الاسلامي فقد عبّر عن ذلك الشيخ خليل في مختصره بقوله:«ثم ادعى حاضر ساكت بلا مانع عشر سنين لم تسمع (دعواه) ولابينته.. »وكتب الدردير على هذا القول:«... العرف يكذبه لان سكوته تلك المدة دليل على صدق الحائز لجري العادة ان الانسان لايسكت عن ملكه تلك المدة، ولقوله صلى الله عليه وسلم من حاز شيئا عشر سنين فهو له(٣٤). وفي المدونة الكبرى للامام مالك «الحيازة كالبينة القاطعة لايحتاج معها ليمين»(٣٥). (اي من الحائز) فلو كان المدعي غائبا غيبة بعيدة فهو باق على حقه، ويختلف تقدير الغيبة بين الرجل والمرأة والبعد والقرب .وتقدير الغيبة عند فقهاء المالكية بالمراحل(٣٦) .فإذا كان المدعي على سبع مراحل فأكثر فهو باق على حجته، ولو طال أمد غيابه ماطال فالغائب في مثل هذا البعد معذور، سواء أكان رجلا أم امرأة، واذا كان على ثلاث أو اربع مراحل فالمرأة معذورة بلاخلاف، وكذلك الرجل ان ابدى عذره في عدم القيام، وان يبين عذره فقال ابن القاسم: هو على حقه له القيام معللاً بانه كم ممن لايتبين عذره للناس وهو معذور وقال ابن حبيب من كان على ثلاث مراحل لا قيام له بعد الاجل ان لم يتبين عذره فابن القاسم جعله معذوراً وابن حبيب جعله غير معذور حتى يثبت خلاف ذلك (٣٧).
وحدد ابن عرفة موطن الخلاف قائلا: الخلاف في القريب هو اذا علم، وأما اذا لم يعلم فلاحيازة عليه وان كان حاضراً غير انه في الغالب محمول على غير العالم حتى يثبت علمه وفي الحاضر محمول على العلم حتى يتبين انه لم يعلم(٣٨).
واستحب مطرف واصبغ للغائب اذا علم ومنعه مانع من الحضور لطلب حقه ان يشهد انه علم، وان سكوته عن المطالبة، انما هو لاجل العذر مع تأكيدهما على انه إذا علم ولم يشهد لم يوهن ذلك حجته إلا ان يطول الزمان جداً، مثل السبعين والثمانين سنة وما قارب ذلك، ويكون مع ذلك سماع مستفيض بأنها ملك للذين هي بأيديهم

تـداولـوهـا، هم ومن كــان قبلهم بما يحاز بــه الملك، فيكـون ذلك كـالحيازة على الحاضر، وان كـانت الغيبـة بعيدة، قـال ابن حبيب، وبقولهما أقول(٣٩).

فالغائب يكون على حجتـه اذا اجتمع امران: ان يطول ذلك جدا فيما تهلك فيه البينـات وتتعاقب الاجيال كـالسبعين والثمانين وان يتأيد الحوز بشهـادة سماع ان الحائز ومـن سبقـه مـالكـون لما تحت أيديهم.. واذا كـانت الغيبة على مسافة يـوم فالرجل هـو كالحاضر، واما المرأة فهي على حقها قال ابن فرحون(٤٠)فرع ،وفي الطرر لابن عـات ومغيب المرأة على مسيرة اليوم لايقطع حجتهـا، لقـوله عليـه الصلاة والسـلام «لايحل لامرأة تؤمن بـالله واليوم الآخر تسـافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم عليها»(٤١).

والمراد بالعلم هـو العلم الشامل لأمـرين، العلم بأن الحائز يتصرف في ملكه، وان يعلم المحوز عليه، فإذا جهل المحوز عليه ملكه فإن كان وارثا حلف على عـدم علمه، وقضي لـه ببينته واذا قـال علمت بالملك ولكني لم اجد الـوثيقة المثبتة للملك إلا الآن فقـد اختلف فيه ورجح ابن العربي انـه غير معذور بذلك فلا تسمع دعـواه وكذلك اذا ادعى ان سكوته انما كان من اجل عدم وجود البينة التي تشهد له(٤٢).

يقول الشيخ ابن عاصم في تحفته في هذا الشأن:

وقـــائم ذو غيبـــة بعيـــدة
حجتـــه بـــاقيـــة مفيـــدة
والبعـــد كـــالسبـع وكـــالثمان
وفي التـي تـــوسطت قـــولان

أما بـالنسبة للحضور فهو يختلف من الـرجل إلى المرأة يقول ابن عاصم:

وكـــالحضـــور اليـــوم واليـــومـــان
بنسبـــة الـــرجـــال لا النســـوان(٤٣)

٥-أن يكون المحوز عليه عالما بحيازته والمحوز ملك له:

و نقل ابن فرحـون في هذه المسألة قـول أبي الحسن الطنجي ولابد هنا من العلم بشيئين وهما العلم بانه ملكه، والعلم بانه يتصرف فيه، ولايفيد العلم بأحدهما دون الآخر، لانـه اذا علم بالتصرف قد يقول ماعلمت انه ملكي(٤٤).

ولايمنعـه مانـع من المطالبـة بحقـه والموانع كثيرة ومتنـوعة منهـا الخوف من الحائز ومثله اذا كان المدعي سفيها او صغيرا او بكراً لم تعنس.. وفي وثـائق ابن العطـار: لايقطع قيـام البكـر غير العـانس ولاقيام الصغير، ولاقيـام المولىّ عليه في رقاب الأمـلاك ولافي احداث الاعتمار بحضرتهم إلا ان يبلغ الصغير ويملك نفســـه من الـــولي، وتعنس الجارية ويحاز عليهم عشرة اعوام من بعد ذلك وهم عالمون بحقوقهم لايعترضـون من غير عذر، فينقطع حينئذ قيـامهم، ومالم يعرفوا لاينقطع قيامهم(٤٥).

٦-سكوت المحوز عليه طوال المدة وعدم مطالبته بحقه:

بحيث ان نازع في اثناء المدة ولم يزل يخاصم ويطلب فهو على حقه، وان نازع اليوم واليـومين لم يفده، ويكون كمن هو سـاكت قال ابن سحنون عن أبيه فيمن اثبت بينة في ارض انها له، واثبت الذي في يده انه يحوزهـا عشر سنين بمحضر الطالب فأقام الطـالب -اي المنازع -بينة انـه طلبها ونازع فيها هـذا قال: ان قالوا انـه لم يزل يخاصم ويطلب ليس ان يخاصم يوما او يومين ثم. يمسك، نفعه ذلك وإلا، لم ينفعه ولابـد ان يكون الطلب عند الحاكم، قـال أبو الحسن الصغير: الطلب النافع انما يكون عند الحاكم(٤٦).

ومن الموانع التي اعتبرهـا الفقهـاء غير مسقطـة للمطالبـة بـالحق: الاكراه والخوف وصغر السن والقـرابة والمصاهرة وعلاقـة الدائنية (٤٧).

ومتى تحقق سكوت المحـوز عليه بلا مـانع طول مدة الحيـازة فإنه يعتبر إقراراً منه للشخص الحائز بأن لاحق لـه عنده يقول الحطاب: «لا بدليل ان السكـوت في ذلك يعد كالاقـرار المنطوق بـه من الطالب للمطلوب وانه لاحق له عليه ولااتباعه»(٤٨).

٧-مرور المدة المحددة للحيازة:

و اعتبر الفقهاء المدة الواجب مرورها من الشروط الضرورية لصحة الحيـازة وعلى الرغم من ان فقهـاء المذهب المالكي يحتجون بحـديث «من حاز شيئا عشر سنين فهو له» (٤٩).

فإن الامام مـالك لم يحدد مدة معينة للحيازة، وتـرك فصل المسألة لاجتهاد الحـاكم، ففي المدونـة ماسمعت الامام مـالك يحدد فيه عشر سنين ولاغير ذلك ولكن على قدر مايرى ان هذا قد حازها دون الآخر فيما يكري يهدم ويبني ويسكن(٤٨).

بينما ذهب ربيعـة الى انه اذا كـان الرجـل حاضرا ومـاله في يـد غيره فمضت لـه عشر سنين وهـو على ذلك كـان المال للـذي هـو في يـده بحيـازته ايـاه عشر سنين إلا ان يأتي الآخـر ببينـة على انه اكـره او اسكن او اعار عارية او صنع شيئا من هذا وإلا فلاشيء له(٥١).

ولابن القاسم كما في الموازية ان السبع والثماني وماقارب العشر مثل العشرة(٥٢) وقد قيل: ان ماقرب من العشرة اعـوام بالعام والعامين حيازة(٥٣) قال الحطاب: فتحصل في مدة الحيازة ثلاثة اقوال:

الأول: قول مالك انها لاتحد بسنين مقدّرة بل باجتهاد الإمام.

الثـاني: ان المدة عشر سنين وهـو القول المعتمـد بنـاء على الحديث، ووجهه ايضـا ابن سحنون بأن اللـه تعالى لما أمر نبيـه بالقتـال بعد عشر سنين كان ابلغ من الاعذار.

الثـالث: ان مدة الحيـازة سبع سنين فأكثر وهـو قول ابن القـاسم الثاني.

وإذا كانت الحيازة في إرفاق، ففي المسائل الملقوطة المنسوبة لولدابن فرحون «مسألة» في قناة تجري منذ أربع سنين في ارض رجل والذي تجري عليه ساكت لا تكون السنة حيازة للتغافل عن مثلها،وسكوت اربع سنين طول(٥٤).

اما اذا كـانت الحيازة في منقـول فقال اصبـغ ان السنة والسنتين في الثياب حيازة اذا كانت تلبس وتمتهن وان السنتين والثلاث حيازة في الـدواب اذا كـانت تركب وفي الإمـاء اذا كن يستخـدمن، وفي العبيـد والعـروض فـوق ذلك ولاتبلغ في شيء من ذلك كلـه بين الأجنبيين الى عشرة اعوام كما يصنع في الاصول(٥٥) اي في العقار.

وجاء في المدّونـة ماظاهـره انه لافرق في الاجل بين الثيـاب والعروض والحيـوان وبين الـدور ونص المدونـــة قلت أرأيت الـدواب والثيـاب والعروض كلها والحيوان كله هل كان مالك يرى انها اذا حازها رجل بمحضر من رجل فادعاها الذي حيزت عليه انه لاحق له فيها لان هذا قد حازها دونه وهل كان يقول في هـذه الاشياء مثل مايقوله في الدور والحيازة؟

قـال: أي «ابن القاسـم» لم اسمع من مالك في هـذا شيئـا إلا ان ذلك عنـدي مثل مـاقال مـالك في الـدور اذا كـانت الثيـاب تلبس وتمتهن والدواب تكرى وتركب (٥٦).

ويجب حمل نص المدونة على ان التحديد ليس قاراً. وانما هو لاجتهاد الحاكم -كما سلفت الإشـارة الى ذلك- ينظـر في الظـروف المحيطـة بـالقضية ويعطي لكل حـالة مـايناسبهـا حسب اختلاف الاعـراف والاشخاص.

وتضاف حيازة الوارث الى مدة حيازة المورث فإذا احاز المورث الشيء خمس سنين،وحازه الوارث خمس سنين ضمت مدة هذا الى مدة ذاك وسقط حق القائم في الدعوى(٥٧).

-أما مدة الحيـازة بين الأقارب في العقار ففيها أقـوال مختلفة مابين عشر سنين وستين سنة يقول الدردير في شرحه على قول خليل« وان حـاز اجنبي غير شريك...» فمفهوم قـوله في الاجنبي ان الحيـازة في الاقـارب لاتفرق بين عقـار وغيره، فـلابد مـن الزيـادة في الكل على الأربعين عاما(٥٨).

وغالبيـة الآراء الفقهية والقانـونية تميل الى تحديد مـدة الحيازة بين الاقارب في الاربعين سنة.. هذا إذا لم يكن بين الاقارب تشاجر اما اذا كـان بينهم نزاع وتشـاجر فهنـا تكـون المدة مثل مدة الحيـازة بين الأجـانب عشر سنـوات في العقـارات وثلاث في الـدواب والعـروض والسنتين والواحـدة في الثـياب اذا كانت تلـبس وتمـتهن.. وهناك من الفقهـاء من يـرى انـــه لافـــرق في مـدة الحيـازة بين العـــقار والمنقول.■

الهوامش:

١- الحيازة يعبر عنها فقهاء المشرق العربي بـ «وضع اليد».
٢-تاج العـروس مادة «حوز» لسان العـرب ج٢ ص١٠٤٦، المصباح المنير ص١٠٨.
٣-الشرح الكبير للدردير ج٤ ص ٢٣٣
٤-القوانين الفقهية لابن جزي ص٣٢٨.
٥-البهجة في شرح التحفة للشيخ التسولي ج١ص١٦٨
٦-الشهـادة ووسـائل الاثبـات في الفقـة الاسـلامي للـدكتـور محمـد بن معجوزص٣٨٨.
٧-مأمون الكزبري - التحفيظ العقاري والحقوق العينية في ضوء التشريع المغربي ص١٩٤.
٨- البهجة في شرح التحفة ج٢ ص٣٥٧-٣٥٨
٩- البهجة في شرح التحفة ٢/٣٥٦
١٠-الشهـادة ووسـائل الاثبـات في الفقـة الاسـلامي لحمـد بن معجـوز ص٣٨٨.
١١-الكزبري -مأمون -التحفيظ العقاري والحقوق العينية ص ٢٠٠.
١٢-ابن رشد، البيان والتحصيل ١١/١٤٧.
١٣-الاختـان ج ختن كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ أو هـو زوج البنت «مختار الصحاح مادة ختن ص ١٦٩.
١٤- الاشراك جمع شرك، وهو المشارك.
١٥-المدونة الكبرى ٥/١٩٢ نشر دار صادر
١٦- المراسيل لأبي داود - تحقيق عبـــد العـزيــز عـز الـــدين السيروان ص٢٠٢.
١٧-التهذيب لابن حجر ٦/١٠٣-١٠٤، ط دائرة المعارف العثمانية.
١٨-مواهب الجليل للحطاب ج٦ص ٢٢٣
١٩-المرجع السابق
٢٠-ابن معجوز- وسائل الاثبات في الفقة الاسلامي ص٣٨٩
٢١- محاضرات الدكتور لحسن اليوبي س٢ من كلية الشريعة.
٢٢- الدكتـور لحسن اليوبي- محاضرات في الفقـه- مطبوع السنـة ٢ من السلك ١ كلية الشريعة فاس- المغرب.
٢٣-مأمون الكزبري- التحفيظ والحقوق العينية ص ١٩٥-١٩٧.
٢٤- المرجع السابق ص ١٩٤.
٢٥-مواهب الجليل للحطاب ج ٦ص٢٠٥.
٢٦-الشرح الكبير للدردير على مختصر خليل ج٤ ص ٢٢٢.
٢٧-المرجع السابق ٤/٢٢٢
٢٨- المرجع السابق٤/٢٣٣
٢٩-البيان والتحصيل لابن رشد ج١١ ص ٤٥٢.
٣٠-المرجع السابق ص١٥٢
٣١-مأمون الكزبري -التحفيظ العقاري والحقوق العينية ص١٩٤.
٣٢-حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ج٤ ص٢٣٣.
٣٣-الكزبري المرجع السابق ص١٩٦.
٣٤-الشرح الكبير للدردير ٤/ ٢٣٤-٢٣٥
٣٥-المرجع السابق.
٣٦-الموسوعة الفقهية -دولة الكويت- ص٢٧٨ حيازة ٨-١٠
٣٧- البيان والتحصيل لابن رشد ١١/ ١٨٠.
٣٨- حاشية البناني ٧/ ٢٢٤.
٣٩-التبصرة لابن فرحون ٢/ ٨٥.
٤٠-المرجع السابق.
٤١-اخرجه مسلم عن أبي هريرة ٢/٩٧٧.
٤٢-مواهب الجليل للحطاب٦/ ٢٢٣.
٤٣-البهجة في شرح التحفة ٢/ ٣٦٥.
٤٤- تبصرة الحكام لابن فرحون٢/ ٩٥
٤٥- التبصرة لابن فرحون ٢/ ٨٦.
٤٦- حاشية الرهوني ٧/ ٥١١.
٤٧- احكام الاحكام على تحفة الحكام للكافي ص٢.
٤٨- مواهب الجليل للحطاب ٦/ ٢٢٩.
٤٩- سبق تخريج هذا الحديث في رقم ١٦
٥٠-المدونة الكبرى للامام مالك ٤/ ٩٩
٥١- المرجع السابق ص١٠٠
٥٢-مواهب الجليل للحطاب ٦/٢٢٣
٥٣- البيان والتحصيل لابن رشد ١١/ ١٨٦.
٥٤- مواهب الجليل للحطاب ٦/ ٢٨٤.
٥٥-البيان والتحصيل لابن رشد ١١/ ١٥٠.
٥٦- المدونة الكبرى للامام مالك ٤/ ٩٩
٥٧- مواهب الجليل للحطاب ٦/ ٢٢٥
٥٨- الشرح الكبير للدرديري ٤/ ٢٣٥

فقــه

الأنبياء والمرسلون سادة الشاكرين (٤)

بقلم: محمد يوسف الجاهوش

إذا ذكر الشاكرون فأكرم برسل الله- عليهم الصلاة والسلام- فهم القادة والسادة، الأسوة والمثل الأعلى في المكارم كلها.
وممن وصفهم الله- تعالى- بالشكر، وأثنى عليه بذلك:

سيدنا نوح صلى الله عليه وسلم:
أول المرسلين بعد آدم- عليهما السلام- وشيخ أولي العزم من الرسل، أطولهم في الرسالة عمراً، وأكثرهم في تبليغها جلدا وصبرا. جاهد قومه بالدعوة ألف سنة إلا خمسين عاما، جهادا مضنيا، مقرونا بالصبر الجميل، والشكر الجزيل، لا كلل فيه ولا ملل.
دعا قومه إلى الحق ليلا ونهاراً، إعلانا وإسرارا، فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارا. أعرضوا عن سماع حديثه، وحرصوا ان لايصل اليهم رجع صداه. فما جمعهم به مجلس ولاناد إلا ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا﴾[نوح/٧].
وإذا ماغادروا مجلسه ذهبوا يمكرون السيئات، ويدبرون المكايد، ويتواصون بالصبر على آلهتهم ومكروا مكرا كبارا، وقالوا: ﴿لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ [نوح/٢٣].ولم يزده إعراضهم إلا إصرارا على الحق وتفانيا في سبيله جامعا بين الصبر والشكر، فكان ذلك سبب إنجائه ومن آمن معه من الغرق، واستخلافهم بعد هلاك قومهم﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾[الصافات/٧٧] .
ومن شكره- صلى الله عليه وسلم- أنه كان: يحمد الله - تعالى- ويشكره في شأنه كله، سواء في ذلك مايتعلق بخاصة نفسه ومعاملة ربه- عزّ وجلّ - أو مايلقاه من عنت قومه وإعراضهم. فيا لها من خصلة حميدة ترضي الخالق- عزّ وجلّ- وتستحضر رحماته وتأييده.
روى الإمام مسلم في صحيحه:﴿إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة، أو يشرب الشربة فيحمده عليها﴾.
فكيف بمن لازم الشكر ملازمة تامة ولم يحد عنه في سراء الأمور ولاضرائها.
ولقد عُرف سيدنا نوح- صلى الله عليه وسلم- بخصلة الشكر هذه بين المؤمنين من أمم الأرض جميعا.
ففي حديث الشفاعة الذي رواه البخاري عن أبي هريرة مرفوعا قال: « فيأتون إلى نوح فيقولوا: يانوح إنك أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا فاشفع لنا إلى ربك».
ولقد امتن الله- تعالى على بني إسرائيل- عندما نجّاهم من فرعون وملئه-بأنهم من ذرية من حمل مع هذا النبي الشكور﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا. ذرّية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا﴾[٢-٣ الإسراء].
وإذا ما علمنا كم بين نوح وموسى- عليهما السلام- من قرون، أدركنا أهمية الشكر وفائدته للشاكرين وذراريهم على امتداد الأجيال.

فكم سعدت ذريات بصلاح الآباء والأجداد﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك...﴾[الكهف/٨٢].
فهل يعي هذا من يحرصون على جمع الأرصدة وكنزها لمستقبل ذرياتهم، ولا يبالون من أي مصدر كسبوها، ولا بأي وسيلة حصّلوها؟﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا﴾[النساء/٩].
وهذا- لعمر الحق- هو الرصيد الذي يحرص العقلاء على ادخاره، بل هو الكنز الثمين الذي يزكو على الإنفاق، ولاينفد.
ومامن شك ان الشكر ثمرة من ثمرات التقوى، ومعلم بارز على صدق اليقين، وصدق العبودية الموصلة إلى سعادة الدنيا ونعيم الآخرة. فالسعيد من تمسك منه بسبب، وكان من اصحاب السهام الوافرة في هذا الخير العظيم.

سيدنا ابراهيم صلى الله عليه وسلم:
ويمتد سير الدعوة مع ركب الأنبياء على المنهاج ذاته، فنطالع في سيرة أبي الأنبياء سيدنا ابراهيم -صلى الله عليه وسلم- من مواقف الثبات في البلاء والصبر على الضراء مايأخذ بالألباب ويذهلها. ويلوح شكره لربه في جميع مواقفه وضاحا أغرّ.
لقد أتم- صلى الله عليه وسلم- ما ابتلى به من كلمات ربه ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾[١٢٤/ البقرة].
كما وفى بما عهد إليه الله- وكان وفاؤه مثلا يحتذى، حكى الله- تعالى - ذلك في كتابه﴿وإبراهيم الذي وفّى﴾[النجم/٣٧].
فتبوأ- صلى الله عليه وسلم- المنزلة الرفيعة بين أولي العزم من الرسل: اتخذه الله خليلا، وحصر في ذريته النبوة والكتاب، وهذه ميزة ماحازها سواه، ولانالها بعده أحد ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾[٢٧/العنكبوت].
ومع جميع هذا الفضل العظيم كان الشكر أبرز سماته وأعلاها. وكان من شكره لنعمة ربه: إغداقها على المحتاجين، وبذلها للطالبين، واستقباله للأضياف الطارقين. بل التماسه من يشاركه رزقه وطعامه. فما تناول غداء- قط- إلا مع ضيف أو زائر، ولا ترك مجالا من مجالات البر إلا كان سباقا لبلوغه.
﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين. شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم. وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾[النحل/١٢٠-١٢٢].
أرأيت كيف جاء الشكر بين هذه الخلال الحميدة، والصفات الكريمة، يميز صاحبه، ويعلي منزلته.
فهل نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن الشكر جالب كل نعمة، ودافع لكل نقمة؟

حوار

عضو رابطة علماء المغرب د. أحمد الريسوني لـ «الوعي الإسلامي»:

المجامع الفقهية طريقنا للخروج من فوضى الإفتاء



وصف الدكتور أحمد الريسوني - أستاذ الفقه والشريعة في جامعة محمد الخامس وعضو رابطة علماء المغرب — الخلاف الفكري الموجود على الساحة الإسلامية بأنه طبيعة فطرية، مشيراً إلى أن الخلاف بين الناس لا يمكن القضاء عليه، وبالتالي لا ينبغي أن نشغل أنفسنا في طلب المستحيل لأن من يطلب المستحيل كمن يحطم نفسه وجهده وعقله، وقال: الذي يجب أن نسعى إليه هو إزالة المفاسد والآفات التي ترافق المبالغة في الاختلاف والتعصب الممقوت لهذا الفريق أو ذاك، أما الخلاف نفسه فسوف يظل باقياً مدى الحياة.

وأكد د. الريسوني أن العداء الغربي للإسلام حقيقة لا يمكن إنكارها، لافتاً إلى أن الدول الأوروبية ذات التاريخ الطويل المليء بالصراعات مع المسلمين أكثر عداوة للإسلام من غيرها.

وتناول عضو رابطة علماء المغرب - ضمن حوار شامل مع «الوعي الإسلامي» عدداً من الموضوعات المطروحة على الساحة، وفيما يلي نص الحوار:

حوار أجراه سامح هلال

● دعا بعض العلماء أخيراً إلى ضرورة تنقية التراث الإسلامي من الشوائب، كيف تنظر لهذه الدعوة، وما الشوائب التي يجب تنقية التراث منها؟

- بداية يجب أن نتفق ما المقصود من التراث الإسلامي، فالتراث الإسلامي هو مجموعة المعارف والعلوم التي نشأت في أثناء محاولة فهم الإسلام وفهم نصوصه، فهو مجموعة العلوم التي سخرت لخدمة هذا الفهم، والاستنتاجات والاستنباطات التي شكلت هذا الفهم، وما دخل على ذلك من نقاشات وآراء ونظريات، فهذا هو التراث الإسلامي الذي يقصده العلماء، وبالتالي فليس لنا ولا لغيرنا أن يدخل كتاب الله وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم - ضمن هذه العبارة.

وعلى هذا فإن التراث الإسلامي عبارة عن علوم ومعارف أنتجها المسلمون — أي هي نتاج بشري — وهذا يعني أنها ليست معصومة أو خالية من الزلل والخلل والدخن، كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «سيأتي على المسلمين وقت يكون في إسلامهم دخن» إذن هناك دخن وهناك كثير من الأمور الناتجة عن أخطاء غير مقصودة، ومن هنا نستطيع القول إن كلمة «الشوائب» يقصد بها ثلاثة أنواع هي:

- النوع الأول ويسمى بـ «الموضوعات» أي الأحاديث الموضوعة والمكذوبة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكذا بعض المكذوبات على الصحابة - وما أكثرها - وهي نسبة إلى ابن عباس وعمر وعلي وكبار الصحابة شأناً، وهي غير صحيحة وضعها الواضعون وكذبها الكاذبون لأغراض

اجتـماعية أو مذهبية أو سياسية أو عنصرية عرقية.... إلخ.

ـ النوع الثاني ويقصد به «المرويات الضعيفة» التي نسبت أيضاً، أمـا إلى رسول اللـه ـ صلى الله عليه وسلـم ـ وأما إلى صحابتـه ـ رضوان الله عليهم ـ ، حيث يـوجد الكثير من الروايات التي لا تستند إلى السنـد الصحيح، وقد رويت بسند لا نستطيع أن نجـزم بصحته، وهـو ما أشار إليه علماؤنا في السـابق حين صنفوا هذه الأحاديث على أنها ضعيفة ولا يعتد بها.

ـ النـوع الثـالـث ويتمثل في الأفهـام والشروح والتفسيرات والاستنبـاطــات التي نسبت إلى الـدين وهي غير صحيحــة، فنحن نعـرف أن تفسير الـدين ليس حكراً على أحـد وهـذا من فضل الإسـلام وتكريمـه للمسلمين، حيث لم يجعل تفسير الــدين أو التعـامل مـع القـرآن والسنة، وتـدبرهما خاصاً بطبقـة معينة، كما هـو الحال عند اليهـود والنصارى، وكما قـال الإمام مالـك «كل واحد يؤخذ من كـلامه ويرد إلا صـاحب هذا القبر» ويقصـد رسـول اللـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وإذا كنـــا نعتقـد أن كبـار علمائنـا ليســوا معصومين من الخطأ فما بـالنا بمن هم دونهم في مراتب العلم، فمن الوارد أن تصدر من الذي يخوض في علوم الدين أفهام غير صحيحة، إما متأثـرة بتكـوينـه العلمي أو انتمائه المذهبي، وكل هذه المؤثرات قـد تفرض على الشخص أن يفهم فهما غير سديد سـواء قصد أو لم يقصد وهذا بـاب كبير من الشوائب ونحن كمسلمين لسنـا ملزمين بمثل هـذه الأمور، بل علينـا أن نتعامل معها بعقلية فاحصة ونافذة.

جهود جماعية

● **هل يعني ذلك أن الدعوة إلى تنقية التراث من الشـوائب دعــوة إلى إلغـاء اجتهـادات العلماء الســابقين، وإلا فكيف يتم تحقيق هذه الدعوة، وكيف تكون البداية؟**

ـ هذه الـدعوة لا تعني إطلاقـاً إلغاء اجتهادات العلماء السـابقين،بل إننـــا لا نقبل التقليل من قيمة هذه الاجتهـادات، فهؤلاء العلماء محصوا الأصـول الشرعيــة وكشفـوا عن الأحــاديث والمرويـات الضعيفـة، ولا ينكـر جهـدهم إلا جاحـد، ولكن تحقيق هـذه الدعوة يكـون من حيث انتهى إليه هـؤلاء العلماء وذلك بمراجعة ما يتعلـق بفهم بعض النصوص، ســواء أكان ذلك من نوع الفهم الخطأ الذي فرضته ظروف معينة، أو كـان من نوع الفهم الصحيـح الذي كان صحيحاً في حينه.

طلب المستحيل

● **كيف تنظر إلى قضية التعددية الفكرية على السـاحـة الإســلاميــة، وكيف يمكن التقاء هذه التيارات حول كلمة سواء؟**

ـــ الحقيقـة أن الخلاف بين النـاس لا يمكن القضــاء عليه، وبـالتـالي لا ينبغي أن نشغل ونجهد أنفسنا في طلب المستحيل، فمن يطلب المستحيل يحطم نفســه وجهده وعقلــه، فقد خلق اللـه تعـالى النــاس وخلق فيهم هــذه الظاهرة الفطرية ـ الاختلاف أحيانا والاتفاق أحيـانا أخـرى ـ ووقع الاختــلاف حتى بين الأنبيـاء فكـان داود وولـده سليمان عليهما السلام يختلفان في كثير مــن الأمور، وهناك الاختلاف بين الصحابة، فالاختلاف حقيقة فطرية، وليس من مقـاصد الإسلام أن يرفع الاختلاف ويزيلـه، ولكن الاختلاف في وسط الوحدة، وحـدة المسلمين ووحدة الانتماء إلى الـدين، وأنهم أمـة واحدة يجب أن يكـونـوا متحابين متنـاصرين على الأقل فيما يتفقون عليه، ثم بعد ذلـك يعذر بعضهم بعضا فيما اختلفـوا فيـــه، ولا نتهم النيـات، ولا نقصي الاجتهــادات، لأن التنــــوع والاختـــلاف سيظـلان موجـودين، ولكن الــذي يجب أن نطـالب به هـو أن يقع الاختلاف في حـدود الوحدة والأخوة وفي حدود الآداب الإسلامية للاختلاف الذي لا يعني التنافس ولا الاتهام ولا الاقتتال ولا التضــارب ولا القطيعة، فكل هذه الأمــور مرفوضـــة تماما ولا عــذر فيها، فإذا انتفت هــذه الأمور واختلفنـا وعمل كل باجتهاده فيما نحن مختلفون فيه، وتلاقينا وتجمعت جهـودنا فيما نحن متفقـون عليه فهذا هو المطلوب لا غيره.

إذن فالذي يجب أن نسعى إليه هو إزالة هذه المفاسد وهذه الآفـات التي ترافق المبالغة في الاختــلاف وتـرافق التعصب في الاختلاف والتحزب في الاختلاف، أمـا الاختلاف نفسه فسوف يظل ويبقى مدى الحياة.

اتهام خاطىء

● **ثمة من يتهم شبـاب الصحوة بأنهم انشغلوا بـالفروع عـن الأصول وعـزلوا أنفسهم عن الـواقـع الـذي نعيشــه، مـا الصحيح في هذا الاتهام؟**

ـــ أنا دائما أحـارب التعميم، وأعتقـد أن من يعمم الأحكـام لديـه قصور عقلي، وعمـوماً فمن يلجأ إلى التعميم إما قاصـد علمياً وإما يسعى لتحقيق غـرض في نفسه، فهـو يعمم إما جهلاً وإما تحاملاً.

ونحن حين نميـز ونفـــرق ونـدقق وننصف سنقول فعلاً إن بعض شباب الصحوة بحكم نشأتهم انشغلـوا بأمور كـانوا في غنى عنهـا والأمـة في غنى عنها، ولكننـا في الوقت نفســه نجـد الأغلبية من شبـاب الصحــوة في جميع المجـالات لهم مـواقف وآراء مشرقـة، ونجـد الفقهـاء لهم كلمـة في السياســة والاقتصــاد وشؤون العصر ومشاكله، فإذا كان المقصود من هــذا الاتهام إن بعض الشباب ينحـو هذا المنحى فهو اتهام صحيح، أما التعميم والقول بأن هــذه هي السمـة الغــالبـة لكل شبــاب الصحوة فهو بالتأكيـد اتهام خاطىء ويفتقد كل المقومات الصحيحة.

الرأي الآخر

● **ثمة اتهام آخـر موجه لـلإسلاميين بشكل عـام مفاده أنهم يضيقـون بالـرأي الآخر ولا يرضون به، ما تعليقك؟**

ـــ أعود فأقـول إن هنـاك من يضيق بالـرأي الآخـر وهنـاك من يفسح صـدره لسماعـه، فالتعميم هنـا أيضاً هـو تعميم خاطىء، ففي بعض الأمور الخاصــة بفهم الواقع والمجتمع قـد تجد أن أبسط الناس علماً بفقـه المجتمع أفضل من العــالم الكبير، وأخــلاق العلماء تفـرض عليهم أن يتعلموا مــن تلاميـذهم إذا اقتضت الضرورة لذلك.

نحـــن هـــنا لا ننفـي وجـــود بعـــض المغـرورين الذين ينظـرون لأنفسهم فقط، ويعتقـدون أنهم وصلـوا لمرحلـة من العــالم بحيث يقـولون ولا يُقـال لهم، ويحكمون ولا يحكم عليهم، ينتقـدون ولا ينتقـــدهم أحـد، ولكن هـؤلاء قلة قليلة جـداً ولا يمكن التعميم عليهم.

عداء متبادل

● **هل صحيح أن الغرب يعـادي الإسلام، وما أسباب هذا العداء؟**

ـ نحن بـداية لا نستطيع إنكار وجـود العداء الغـربي لـلإسـلام، ولكن من الإنصــاف أن نقول إنــه عداء متبـادل، وإن كان الفـرق في العـــداء شـاسعــاً، فنحن كمسلمين ننصف أعداءنـا ولا نظلمهم عمـلاً بقولـه تعالى: (ولا يظلمنكم شنآن قوم على ألا تعدلـوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) [المائدة ـ ٨]، فالإسلام يعلمنا أن ننصف أعداءنا ولا نبخسهم حقوقهم (ولا تبخسوا الناس أشيـاءهم) وهذا الذي ينبغي أن يكـون، وهم على العكس من ذلك يعملـون جاهدين لبخس حقوقنا وسلب هويتنا.

أما العداء نفسه فهو موجود وقائم ومتبادل وقديم، وإن كنت لا أميل إلى تفسير كل شيء بهذا العداء، فصحيح أن هذا العداء حاضر ويستشف من السياسات الغربية، وذلك على الرغم من أن الدول الغربية تدعي أنها علمانية ولا تدخل العنصر الديني في الاعتبار، ولكن الوقائع تشهد أن هناك اضطهادا للأقليات المسلمة في كل البلدان، ومن هنا نقول إن الدول الغربية ذات التاريخ الطويل المليء بالصراع والاحتكام مع المسلمين هي أكثر عدوانية تجاه المسلمين من غيرها.

فالعداء الغربي للإسلام موجود ولا نستطيع إنكاره مهما التمسنا من أعذار، ولكن نقول إذا كان الغرب يعاني من كابوس اليقظة فإن العالم الإسلامي يدفع ضريبة هذه اليقظة، فالمسلمون أيضاً يعيشون حالة من اليقظة، وإلا فلماذا يتعرض المسلمون في الشيشان والبوسنة وغيرهما للقتل والتشريد، فهذه هي ضريبة اليقظة التي أخمدت في فترة معينة تحت وطأة السلاح والتقتيل والتهجير وبعد أن استسلموا زمناً طويلاً عادوا يستيقظون ويفتحون أفواههم مطالبين بشخصيتهم فجاءت ضريبة هذه اليقظة، فحينما استيقظ المسلمون وبدأوا يتحدثون عن أنفسهم جاءت حرب الإبادة التي يتعرضون لها، ولو بقي المسلمون مستكينين لبقي الغرب مستكيناً ينظر ولا يفعل شيئاً.

قوة الإسلام

● **هل يعني ذلك أن الغرب يخشى الإسلام؟**

- نعم، فالغرب يخشى الإسلام لأنه يعرف أن للدين الإسلامي قوة ذاتية على الانتشار والنهوض والتأثير وأن التأثير الإسلامي لا يقف عند حد سواء أكان جغرافيا أم موضوعيا، فالغرب كان يمكن أن يتساهل مع الإسلام لو كانت صلاة لا غير، لكنه يعرف أن الإسلام يحتوي الشخص فيملي عليه حياة معينة ونمطاً معيناً وسلوكا في الحياة، ولهذا فإن الغرب يعتبر الإسلام يهدد ثقافته وحضارته ومنظومته الفكرية وبالتالي فهو يخاف الإسلام، ولكنه مع ذلك خوف لا مبرر له، وإذا كان الغرب يعتبر الإسلام خطراً سيزيل حقوقه ويعتدي عليه إذا تولى زمام الأمور، فهذا تفكير خاطىء، فقد انتظم العالم بأكمله في منظومة دولية ولا يمكن للمسلمين أن يتنكروا لهذه العلاقات والمواثيق الدولية، فكل من المسلمين والغربيين يحتاجون لبعضهم البعض، ولن يكون للمسلمين أي نزعة عدوانية تجاه أحد إلا إذا كانت بمثابة رد الفعل على المواقف التي يقوم بها البعض تجاههم.

فالخوف من الإسلام موجود ولكنه مبالغ فيه وينطلق من أنه لا حق لأحد أن يزاحم المنظومة الغربية، وتكشفت هذه الحقيقة من تصريحات قادة الغرب ومفكريه، ونقول مرة أخرى إنه تخوف غير صحيح لأنه ينطلق من اتهام المسلمين بالعدوانية أو من رفض حقهم في أن تكون لهم استقلالية وأن ينشروا فكرهم ودينهم وعقيدتهم، ونحن نسأل الغرب الذين ينادون بحرية الرأي والفكر لماذا لا تعطونا هذه الحقوق، ثم نرى أن الإجابة سهلة وبسيطة وتكمن في قناعة البعض بضرورة بقاء المنظومة الغربية سيدة الدنيا.

تهيئة الأجواء

● **انقسم المطالبون بتطبيق الشريعة في البلاد الإسلامية إلى فريقين أحدهما يرى ضرورة التدرج وتهيئة الأجواء، ويطالب الثاني بالتطبيق الفوري، مع أي الفريقين تقف ولماذا؟**

- بداية فإن التدرج سُنة كونية وشرعية، فكل شيء يأتي خطوة خطوة ودرجة درجة، كما أن الدين كله في وجوده ومعالجاته وعقائده جاء بالتدريج والتبسيط والتمهيد، ومن ثم فإن مخالفة هذه السنة لن تأتي بشيء، وعموما فأنا مع التدرج في تطبيق الشريعة، وأقول إن كل شيء يتوقف نجاحه على شروط معينة يجب توافرها وإيجادها، وحين نشرع في تهيئة تلك الظروف نكون قد شرعنا في التدرج.

فتطبيق الشريعة يمكن أن يحدث في يوم واحد بناء على قرار سياسي، ولكن التطبيق الكامل والفعلي يحتاج إلى سنوات، فلكل حكم شروط يجب أن تتوافر لنجاحه، ولكن إن كانت هذه الشروط تحتاج إلى شهور فيجب ألا تتجاوزها إلى سنوات، كما يجب أن تتخذ هذه الشروط أو تلك التهيئة ذريعة لتعطيل تطبيق الشريعة إلى الآن.

أما إذا كنا عازمين بالفعل على التطبيق فهناك العديد من الأمور التي تحتاج إلى تهيئة وإلى دراسات واجتهادات من الفقهاء والقانونيين والسياسيين والاقتصاديين، حتى الجانب التشريعي الفني يحتاج إلى جهود كبيرة جدا لإقامة الاجتهادات المعاصرة التي تتوافق مع مقتضيات الشرع من جهة وبين متطلبات العصر ومستجداته من جهة أخرى، فهذه إجراءات لابد منها على أن تصدق النية ولا تكون ذريعة للمماطلة والتعطيل.

فوضى الإفتاء

● **هل لدينا أزمة فتوى؟**

- إن كان المقصود بأزمة الفتوى أي لدينا نقص في الفتاوى فأقول إنه على العكس من ذلك ربما يكون لدينا عدد من الفتاوى أكبر مما نحتاج إليه بالفعل، وإن كان المقصود بها ضعف مستوى الفتوى أقول إن الفتاوى الصحيحة والسديدة مغمورة بعض الشيء ولا أقول إنها غير موجودة، بل هي موجودة ولكنها مغمورة، وهناك فتاوى أخرى ليست مستوفية للشروط الشرعية، أكثر انتشاراً من غيرها.

وأقول إنه لا يحل مشكلة الفتوى سوى الفتوى الجماعية، فالفتوى الجماعية هي السبيل الوحيد لنا للخروج من فوضى الإفتاء وللخروج من شيء آخر وهو اللامبالاة التي يقابل بها كثير من الناس الفتاوى الفردية لا سيما إذا وجدوا اختلافاً بين العلماء حول أحد الأمور الشرعية، وقد رأيت بنفسي نفراً من الناس لا يلتزمون بالفتاوى التي اختلف حولها العلماء، فكثير من الناس يتخذون من الاختلاف وتكاثر الفتاوى وتضاربها سببا للتحلل من الدين، ولكي تكون للفتوى هيبتها ومكانتها يجب أن تصدر عن الهيئات والمجامع الفقهية العالمية التي تمثل فيها الأقطار الإسلامية كلها، ثم يجب أن تتبناها الحكومات تبنياً تطبيقياً أو على الأقل تبنياً إعلامياً، وإذا كانت لدينا مجامع للفتوى بدرجة ما متمثلة في مجمع الفقه الإسلامي الذي أقامته منظمة المؤتمر الإسلامي وبعض الهيئات الفقهية القطرية في مصر والسعودية والكويت، فمع ذلك نجد أن هذه الفتاوى تفتقر إلى الشرط الثاني، حيث لا تلتفت إليها الحكومات، ولا تبحث عنها، بل ولا تقيم لها وزناً، ونحن نقول إنه على الأقل حينما تصدر فتوى يجب أن تعمم في الإذاعات والمحطات التلفزيونية والصحف الصادرة في العالم الإسلامي ليعلم المسلمون أن المجمع الفلاني أصدر الفتوى الفلانية، فحينئذ سيتشجع العلماء ويشعرون أن للفتوى صدى ووزناً، وهذا في تقديري السبيل الوحيد لحل ما يسمى بأزمة الفتوى.■

خطاب إلى العقل:

كيف عالج المشروع الإسلامي التخلف وبث الفكر الحضاري؟...

هل ينسب إلى الماء الزلال عيب إذا وجده المريض مراً في فمه؟
وهل يوصف الضوء الساطع بالظلمة والعتمة إذا فقد الإنسان البصر والرؤية؟
وهل توصم الهداية الربانية بالعقم أو الخطأ إذا فقد رجلٌ العقل والتمييز والبصيرة؟ فيترك الناس الماء وهم عليها، ويسيرون عطشى، ويُتجنب الضوء، وتعيش البشرية في ظلام، وتمنع الهداية لمرض إنسان وفقده لعقله وبصيرته، ونرضى بالضياع والضلال!!

هذا لا يتأتى:
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمدٍ
وينكر الفم طعم الماء من سقم
قد يمرض الفرد كما تمرض الأمم، وتسقم النفس كما تسقم الشعوب، فتتبدل الأنظار وتتغير الطبائع وتتهمش الأفكار وتأتي المحن.
ويُقضى على الفرد في أيام محنته
حتى يرى حسناً ما ليس بالحسنِ

الإسلام هو الذي حض على الملاحظة، والبحث في أسرار الأشياء

وكان لابد من علاج وأطباء، ومن دواء ونطّاسي، ومن مرجعية ورواد، وهداية وهداة، فكانت الهداية ربانية، وكان العلاج إلهياً، وكان الأطباء رسلاً، وكان الهداة أنبياء، فاستقامت البشرية بالاتباع كما استقام الكون بالناموس، واهتدت إلى الطريق المستقيم كما اهتدت العوالم بالسنن، وصدق قول الله: (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) [طه - ١٢٣]، ولكن خلف من بعدهم خلف، أضاعوا المنهج ومالوا إلى الضلال، فرجعوا إلى المصير نفسه، وحاق بهم ما حاق بأسلافهم، إلى أن جاء الإسلام، ومرضت الأفراد والأمم من شرقها إلى غربها، بشهادة التاريخ وشهادة الآثار، وشهادة الإسلام وروايات الأمم، وظهر الفساد وطم، ورجع الضلال وعم، قال تعالى: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) [الروم - ٤١]... رجوع في البر والبحر، ورجوع في النفس والفكر، قال تعالى: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد)[البقرة/ ٢٠٤ - ٢٠٥]، ويحسن بنا أن نتبع القول بالمثل، والنظرية بالحقيقة، ونطوف في المشارق والمغارب لنرى ونسمع إلى التاريخ يقص علينا من أنباء الأمم وأحوال الشعوب، ما يكشف الحقائق، ويجلي الوقائع، ويرسم الأزمان، ويصور

بقلم الدكتور: توفيق الواعي

الحياة في العصور، ويمثل الشخوص في الدهور، ويجسد الحياة ويسترجع الماضي ليحضر إلى الواقع المعاش.

الواقع العربي قبل الإسلام

كان الواقع العربي قبل الإسلام لا يختلف على سوئه أحد، حيث كانت الممارسات الجاهلية اللاأخلاقية تعج بها الحياة العربية في المدينة والصحراء، شرباً للخمر، واستمراءً للزني، ولعباً للميسر، وتصعيداً للربا، وتهافتاً على مال اليتيم، ووأداً للبنات، وظلماً للذين لا يقدرون على رد المظالم، واستعباداً محزناً للذين لا يعرفون طعم الحرية، ممارسات شتى لا يحصيها العد، كانت تجري على مسارح الجزيرة العربية، وممثلتها مكة، ليل نهار، ويغدو من تعاقبها ويظهر من تكرارها أنها أصبحت إلفاً وعادة، ثم تتجاوز هذا كي لا تلبث أن تصبح مفاخرة ومكرمات يتبارى العرب في الإتيان بالمزيد منها.
أما عن أحوالهم السياسية فقد كانت أسوأ من الاجتماعية، حيث ينبههم القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: (واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) [الأنفال - ٢٦]، قال قتادة: كان العرب بين الأمم أذل الناس، وأشقاهم

عيشاً، وأجوعهم بطناً، وأعـراهم جسداً، وأبينهم ضلالاً، من عاش منهم عـاش شقياً، ومن مـات منهم تردى في النـار، معكوفين على دولتين مجاورتين شديدتين الفرس والـروم، يُوكلون ولا يأكُلون، وما في بلادهم شيء عليه يُحسـدون، حتى جاء الإسلام فمكَّن لهم في البلاد، ووسَّع لهم في الرزق والغنائم، وجعلهم ملوكاً على رقاب الناس، فبالإسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله على نعمه.

ولم يلهِهم هـذا الضنك عن العصبيـة البغيضـة، ولا عن الحروب المهلكـة فيما بينهم وبين قبـائلهم، بل كـانت الحروب بينهم ممـا طبقت عليـه جبلتهم، وألهمتهم إيـاه بـداوتهم فصـارت الحروب الداخلية مسلاة وملهاة لفاقدي الطموح حتى قال قائلهم:

وأحيـانــــاً على بكـــر أخينـــا

إذا لم نجـــد إلا أخـــانـــا

فهانت عليهم الأخوة والدماء والأعراض لأتفه الأسباب، فقد وقعت الحرب بين قبيلتي بكـر و تغلب العـربيتين ومكثت أربعين سنـة، وأريقت فيهـا دماء غـزيرة بسبب نـاقة رميت بسهم في ضرعهـا. وقـامت حرب داحس والغبراء لسبـاق بين فرسين تغلَّب أحـدهما على الآخـر، وكانت الحياة كلهـا قطيعـة وتنابـذاً يحكمهـا الثأر والأحقاد والاستهانة بأرواح النـاس وأموالهم وأعراضهم، يفتخر فيها بـالسلب والنهب، وارتكاب المظالم، واستعباد النـاس، فجاء الإسلام فألَّف من شتات، وجمع من فرقة، وآخى من عداوة، وعلم من جهالـة، ووجه من ضلالـة، ورفع من خسة، وأعـز من ضعة، وهذَّب من هجنة، كما حرر الفكر، وحث على الأمانة، وصلة الرحم، وحرَّم الأعراض، وصـان الحرمات، ووجَّه القلوب إلى الله سبحانه، وقد عبَّر عن ذلك بصـدق جعفر بن أبي طـالب ـ رضي اللـه عنه ـ أمام النجـاشي ملك الحبشـة، حين قـال: «أيها الملك: كنا قـوماً أهل جـاهليـة وشرك نعبد الأصنـام، ونأكل الميتـة، ونأتي الفـواحش، ونقطع الأرحـام، وتسيء الجوار، ويأكل القـوي منّـا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّـا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبـاؤنـا من دونه من الحجـارة والأوثـان، وأمـرنا بصـدق الحديث، وأداء الأمانـة، وصلة الـرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والـدماء، ونهانـا عن الفواحـش وقول الزور، وأكـل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنـا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بـالصلاة والزكاة والصيام، فصدَّقنـاه وآمنا به..... فعدا علينـا قومنـا فعذبونـا وفتنونـا عن ديننا ليردونـا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث».

فماذا كـان بعـد الإسـلام؟ كـان العـرب أذل الناس فأصبحوا سادة، وكـانوا أخسَّ الناس فصـاروا خير أمـة أُخرجـت للناس، وكـانـوا أضعف الناس وأهونهم، فكـوَّنوا امبراطورية لم يـر التاريخ لها مثيـلاً أو شبيهاً، وحـدثت المعجزة: يقـول تـومـاس كـارل: «خـرجت جيـــوش رعـاة الأمس تقتحم الأرض شرقـاً وغرباً تفتح بالدين الجديد النفوس والعقول، وخـلال قـرن واحـد من الـزمـان قضت على القـــوى العظمى، وملكـت الأرض من تحت أرجلهم، إنها معجزة، ولولا أنها حقيقة تـاريخية لقلت إنها خرافة أو خيال، لقد كـانت صيحة محمد أشبه مـا تكون بشرارة ملتهبة وقعت لا على كثبان كسـولة من رمال الصحـراء، ولكن على جبال من البارود الذي تفجَّر مرة واحـدة فعمَّ نوره الآفاق من هضاب الهند وحتى سهول الأندلس».

فالعرب اليوم الذين تاهوا عن طريق الإسلام، رجعوا إلى سيرتهم الأولى، وفقدوا صفـاتهم الخلقية والنفسيـة الغازيـة، ورجولتهم وعزيمتهم الفاتحة، ووهنوا في مقـابلة أعدائهم وضعفوا عن حفظ حقوقهم وتقطعت مـا بينهم من روابط الأخوة والعقيـدة والتفتوا إلى العداوة والبغضـاء فيما بينهم، ويعدون هذا قوة، ويجعلـونه رجولة، فـالدولة التي تمثل القبيلة يهلـك بعضها بعضاً، ويقضي بعضها على بعض، وكذا الدول يبغي بعضها على بعض ويحارب قـويها ضعيفها، ويستحـل مالـه ودمـه وعرضـه حتى تـوارى الشرف الإيماني، وضـاع التماسك الخلقي، بل صـار يفتخـر بالتحلل والـرذيلة، ويكره المنحـوس الرجولة والفضيلـة، ويخلد العاجز إلى الدعة والسكينـة، فكيف يكون ذلك وهم أمة الإسلام، وفي أيديهم المنهـج الذي أنقذهم وأنقـذ البشرية؟ يجيب عـن هذا «برنـاردشو» إذ يقول: «هذا يـدفع بي إلى سؤال المسلمين لماذا لا ينهضون وفيهم هذا الدين حتى ينتفعوا به وينشروه بين الناس؟ ليست الأمة الإسـلامية إلا كرجـل عنده غطاء من الصـوف لكنه بردان، أو عنده أكل ولكنه جائع، أو عنده ماء لكنه ظمآن».

قد يكون هذا لشلل في اليـد، أو ضياع في العقل، أو وهن في القوى، أو ضـلال عن الجادة، أو ضيـاع للإحسـان ـ كما قـد يكون لكل ذلك، وهذا ما يجب الالتفات إليـه في الأمة، وعلاجه في المجتمعات، وإيقاظه في الفكر، وتركيزه في النخبة، وتوجيهه للقيادة ـ إن كثيراً من المثقفين اليـوم يتولـون سـدة الريـادة في الأمة المسلمـة ولا يعلمـون عن الإسـلام شيئـاً أو يطالعـون شيئـاً من منـاهجـه وتعاليمه، لأنهم تـربوا على مناهج غربية وعلوم بعيـدة عن ثقافة الأمـة وتراثهـا، فتراهم ـ وهم معـذورون أو غير معذورين ـــ لا يستطيعون التناغم مع الفكر الإسـلامي أو التصالح معه فضلاً عن تبليغـه للنـاس والحماس لـه، وبـالتـالي فقـد نقل إلى الأمـة الإسلاميـة الكثير من الصراعات والمذاهب التي كـانت بعيدة كل البعـد عن سـاحـة الأمـة وعن طبيعتهـا، فمثـلاً من خـلال تلك الثقافـات الغربية نقل إلينا الصراع بين الكنيسـة والعلم وبث هذا الفكـر في المجتمع الإسـلامـي، وأصبح بعض المثقفين العـرب ـ لـلأسـف ـــ يـرفع الشعـار المضلـل «إمـا العلم، وإمـا الـدين»، وأصبحت تـرى من يـرفع عقيرتـه وينـادي بتلك المقولة، مع أن الإسلام غير ذلك قطعاً!!، وعكس ذلك تماماً، حيث جعل العلم فـريضة على كل مسلم ومسلمـة، وجعـل الـرفعـة في الحياة الـدنيا والآخـرة بشيئين اثنين ـ العلم والإيمان ـ فقال تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) [المجادلة ـ ١١]، وأصبح البعـض من أصحـــــاب تلك الثقافات يحاول باقتنـاع أن يقرن بين التقدم والعري والانحطاط الخلقي، وهذا لا شأن له

هل نحتاج في تحضرنا إلى فرض إصلاحات على الإسلام، كما يظن بعض المسلمين؟

مطلقاً بالتقدم، بل هو فيروس كل نهضة، وميكروب كل تقدم، كما يحاول أن يزرع فينا العادات الاجتماعية الغربية في الملبس والمأكل والتقاليد، وهذا شيء آخر غير العلم وغير التقدم الفكري، بل هو شيء يمزق الهوية الإسلامية ويمزق النفس والروح، ولا يستطيع المسلمون أن يتمنوه ـ إذا أرادوا أن يظلوا مسلمين ـ وأن يستبدلوا بحضارتهم الإسلامية وهويتهم الروحية أمراض المدنية الحديثة وميكروبات الصراعات المتفلتة، إن ما ينقص المسلمين اليوم، المعرفة والجد في طلبهم والاستفادة منها، والمعرفة نفسها ليست غربية ولا شرقية، إنها عامة بالمعنى الذي يجعل الحقائق الطبيعية عامة، إن علم الحياة، بما هو علم الحياة العلم الطبيعي، وعلم النبات، بما هو كذلك، ليست كلها مادية ولا روحية فيما تقصد إليه، إنها تتعلق بملاحظة الحقائق وبجمعها وتحديدها، ثم استخراج القواعد والقوانين المرادة منها، والنتائج والاستقراءات التي نستخرجها من هذه العلوم تعتبر سنناً كونية، من جدّ فيها استفاد، ومن نام عنها تركته سواء أكان مسلماً أم غير مسلم، ولا شك أن الاستقامة الفكرية والخلقة وتربية النفس وشحذ الهمم هي الوقود الأول، والعامل الأساسي في تلك الملاحظات، لايتصور أن إنساناً ماجناً لا عقل له يستطيع أن يدرك أسرار الأشياء، ولا يعقل كذلك أن إنساناً جاهلاً أو عديم الهمة يستطيع أن يبلغ تلك المنزلة، ولهذا يجب أن يتضح لنا أن إهمال المسلمين وليس النقص في التعاليم الإسلامية سبب الانحلال الحاضر، بل على العكس من ذلك، فإن الإسلام هو الذي حض على الملاحظة، والبحث في أسرار الأشياء، وهو الذي أوصل المسلمين إلى اكتشاف المنهج العلمي التجريبي الذي حضّر العالم، يقول «ديبورا بوتر»: «لقد جاء الإسلام بعصر التنوير الحقيقي في المجالات العلمية والثقافية والفنية، بصورة لم يسبق لها مثيل في عظمتها إلى اليوم... فبين العام ٧٠٠ و العام ١٤٠٠ بعد الميلاد، وفي الوقت الذي كانت فيه أوروبا تغط في سبات عميق في عصور الظلام المسماة بالعصور الوسطى، كان العلماء المسلمون قد وصلوا إلى المنهج التجريبي في البحث عن حل للمشكلات العلمية، وأحلوه محل المنهج المنطقي العقيم الذي كان سائداً عند الإغريق قبل ذلك... لقد أنتجت هذه الحقبة من الزمان للدنيا رجالاً عظماء ساهموا مساهمة عظيمة في تشييد صرح الحضارة الإنسانية وكانوا يستلهمون هديهم من القرآن الكريم في جميع نشاطاتهم، إنه لافضل لـ«روجر بيكون» ولا لمن جاء بعده من الأوروبيين في اختراع الطريقة التجريبية، فلم يكن «روجر بيكون» إلا تلميذاً من الذين نهلوا من العلوم الإسلامية، واقتبسوا طريقتها وكانوا رسلها إلى أوروبا المسيحية، وقد كان لا يفتأ يعلن أن «الإلمام باللغة العربية، والعلوم العربية هو السبيل الوحيد لمعاصريه نحو المعرفة الصحيحة»، والحقيقة أن التخبط الفكري عندنا ـ في هذه الأيام ـ ناشىء عن عدم القدرة الحقيقية في مجال البحث العلمي وعدم وجود العزائم القادرة على التفكير الصحيح وفقدان الكوادر المبدعة في مجالات العلوم المختلفة، وندرة العقول الجادة المخلصة التي تحب العمل الدؤوب، كما يقول المرشال ليوتي: «لايصُنع أمر عظيم دون قطعة من حب» لقد لفت المناخ الآسن المليء بالعفن والجهل والشهوات والضحالة الكثيرين إلى الكسل والدعة واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، فضاعت المواهب في الأمة، وتفلت النبوغ، وجدبت الأرض، وانحطت الغايات، وصعد الغثاء على السطح، وعلا الزبد الفارغ ليفسد على الناس ما تبقى من خير يطمع فيه، ونفع يُتطلع إليه، فصار البعض يهرف بما يحس من كلام، وما يتقن من لهو وعبث، فأصبح التقدم مجون كسالى، وخلاعة منحرفين، وصارت الحرية في الفساد، وهتك الأعراض، لا في التعبير والنقد لهذا العبث، وإزاحة المظالم والانعتاق من العبودية الجسدية والفكرية، وسادت الحيوانية وانطلقت الغرائزية، وصار لها كهّان وسدنة، ومنظرون ومدربون ورواد، وينتظرون بعد ذلك التقدم والقوة والحضارة والمدنية والغلبة والعزة، وأن تمطر السماء على الأغرار ذهباً، وفضة، وسمناً وعسلاً، وفوزاً وعزاً، وعلماً وتكنولوجيا، واختراعات واكتشافات ببركة هذا التيه الراعن، والضياع العابث، ولا يريدون أن يقوظهم أحد من هذا النوم الواعد، ولا هذا الكسل الناعم، ولا هذه الغفلة الجميلة.

ماذا نحتاج لتحضرنا؟

هل نحتاج في تحضرنا إلى فرض إصلاحات على الإسلام، وإلى تغيير معالمه، كما يظن بعض المسلمين؟ لا.... وألف لا، لأن الإسلام كامل بنفسه من قبل، تام بذاته من الصدر الأول، وإن ما يحتاج إليه المسلمون حدده الخبراء والباحثون ولخصه تلخيصاً حسناً الباحث المعروف «ليوبولد فايس» (محمد أسد) فقال: «لا يحتاج المسلمون إلى فرض إصلاح على الإسلام كما يظن بعض المسلمين، لأن الإسلام كامل بنفسه من قبل، أما الذي نحتاج إليه فعلاً إنما هو إصلاح موقفنا من الدين بمعالجة كسلنا وغرورنا وقصر نظرنا، وبكلمة واحدة «معالجة مساوئنا نحن»، لا المساوىء المزعومة التي نظنها في الإسلام، وكي نصل إلى إحياء إسلامي، فإننا لا نحتاج إلى أن نبحث عن مبادىء جديدة في السلوك نأتي بها من الخارج. إننا نحتاج فقط إلى أن نرجع إلى تلك المبادىء القديمة المهجورة فنطبقها من جديد، وما يؤسف له إننا نقبل بلا ريب بواعث جديدة من الثقافات الأجنبية، ولا نستطيع أن نستبدل بالبناء الإسلامي الكامل شيئا ما أجنبيا، سواء أجاءنا من الغرب أم من الشرق، إن الإسلام كمؤسسة روحية واجتماعية غني عن كل تحسين، وإن كل تغيير في مثل هذه الحال يطرأ على مدركاته، وعلى تنظيمه الاجتماعي بافتئات من ثقافة أجنبيةما ـ ولو بإشراق ضئيل ـ سيكون مدعاة إلى الأسف الشديد، وسترجع الخسارة حتما علينا نحن، إن أعظم نواحي حالتنا الحاضرة أهمية والذي يجب أن نلتفت إليه هو نطاق الحياة العقلية والحياة الاجتماعية: إنها فقدان

قوى التوازن التي كانت سبب العظمة في العالم الإسلامي أوشكت اليوم أن تتلاشى

الإيمان، وتفكك التنظيم الاجتماعي عندنا، ولم يبق شيء سوى قليل من التماسك الأصلي الذي كان في المجتمع الإسلامي والذي كان من أخص مميزاته، وإن ما نحن فيه اليوم من فوضى ثقافية واجتماعية يدل بوضوح على أن قوى التوازن التي كانت سبب العظمة في العالم الإسلامي أوشكت اليوم أن تتلاشى، إننا مندفعون في التيار على غير هدى، وما من واحد يعلم إلى أي مصير ثقافي نندفع، ولم يبق لنا شجاعة أدبية، ولا روحاً تقاوم عنا ذلك السيل الجارف من المؤثرات الأجنبية الهدامة لديننا ولمجتمعنا، لقد طرحنا أحسن التعاليم الأدبية التي قيض للعالم أن يعرفها، إننا نجحد إيماننا بينما كان ذلك الإيمان لأسلافنا دفعا عظيما، إننا نخجل بإيماننا، بينما كانوا هم فخورين به، إننا فقراء القلوب أنانيون، بينما كانوا هم يفتحون صدورهم للعالم كله بكرم وسماح، إن قلوبنا خالية خاوية بينما قلوبهم كانت عامرة بالإيمان، إن ما نحتاج إليه هو قوة دافعة وعزيمة قوية، وطهر في ذات اليد، وسلامة في السيرة، وبُعد عن الانحراف، وتخلص من الفساد، وهل نجد ذلك في غير الإسلام؟... وإن ما نطمح إليه وتطمح إليه أي أمة، هو التربية الخلاقة والدافعية الطيبة، والغاية النبيلة، والنفس المستقرة، والعقل النابه، والفكر المستنير، ولا نجد ذلك إلا في الإسلام بأجلّ معانيه وأفضل أساليبه، لا نجده في غيره من المذاهب والنحل، ولا نجده في المدنيات الحديثة أو الضاربة في أعماق التاريخ، إذن كيف يترك منهج بهذا الجلال، وهذا السمو إلا إذا كان التوجه غير سديد، وما أصدق قول العالم الفرنسي «مسمر»: «إن الغربي لا يصير عالماً إلا إذا ترك دينه، بخلاف المسلم فإنه لا يترك دينه إلا إذا صار جاهلاً».

هل نحن قادمون؟

قد يتساءل الإنسان مرات عدة، هل يمكن للأمة الإسلامية أن تستيقظ من جديد وأن تعود لها سيرتها الأولى، ومجدها الأول، وزعامتها للعالمين؟ نقول: نعم.... إذا توارت النفوس المنهزمة، وحلت محلها نفوس محتسبة قوية بالعزم والإيمان والعمل، يقول «سير توماس أرنولد» من خيرة كتاب الغرب وعلمائها المخلصين، - أيرلندي الأصل، - موضحا بعض الحقائق التي تؤدي فعلاً إلى انتشار الإسلام في العالمين، ويرجعها إلى طبيعة الإسلام نفسه ونسيجه الفطري الساحر، وقدرته على الإقناع والأخذ بالألباب، ولكنه يحتاج إلى دعاة، ويوم يجد هؤلاء الدعاة سيتمكن الإسلام من غزو الشعوب مرة أخرى، ويستشهد على ذلك بانتشار الإسلام بوساطة التجار والرحالة، وأسرى الحرب، وقت أن خضع المسلمون في فترات معينة لقوى أجنبية، يقول الرجل: «ومما يثير اهتمامي أن نشر الإسلام لم يكن من عمل الرجال وحدهم، بل كان من عمل النساء أيضاً، حيث يرجع الفضل في إسلام كثير من أمراء المغول إلى تأثير زوجه المسلمة، وحتى المسلم الأسير يغتنم الفرص في المناسبات وهو في سجنه ليدعو إلى دينه، فقد تسرب الإسلام إلى أوروبا الشرقية أول الأمر بفضل ما قام به فقيه مسلم سيق أسيراً وجيء به إلى بلاد «البتشنج» بين الدانوب الأعلى، ونهر الدون، وقد بسط بين يدي كثير من أهل البلاد تعاليم الإسلام، فاعتنقوه في إخلاص، ولم يمض وقت طويل حتى دخل شعب «البتشنج» دين التوحيد، وفي عهد الإمبراطورة «جهانجيز» ١٦٢٨م أدخل عالم سني السجن بتهمة ملفقة، فتمكن وهو في سجنه خلال سنتين من إدخال آلاف عدة من عبدة الأوثان في الإسلام، وحكم الإنكليز على أحد علماء الهند بالسجن ونفوه إلى جزر «أندمان» فأدخل كثيراً من أهل تلك الجزر في الإسلام، وكان السبب في ذلك بساطة تلك العقيدة، ومخالطتها لشغاف القلوب ووجود من يدعو إليها، لأن هذه العقيدة لا تتطلب تجربة كبيرة للإيمان، ولا تثير مصاعب عقلية خاصة، كما أنها تدعو إلى التفتح العقلي والسمو الروحي، فكانت بطبيعتها أقرب طريق إلى التقدم والتحضر والإيمان بالله».

إننا في هذه الأيام نتطلع إلى منقذ يرفع الناس من وهدتهم، وينتشل الأمة من ضعفها وتأخرها ووهنها، ويعطيها حماساً واستعلاءً وقدرة على العطاء والمنافسة وبذل الجهد في سبيل نهضة سامية، وحضارة رفيعة، وتقدم علمي رائد رغم ما بهذه الأمة من أمراض وعلل، فهل نجد غير الإسلام الذي ينادي أتباعه ويحفزهم في أوقات الشدة فيقول تعالى: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين. إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين. وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)[آل عمران١٣٩:١٤١] ،إن هذه الأمة بإسلامها مرشحة اليوم للسيادة والنهوض وللأخذ بزمام الأمور، وقد أدرك الكاتب الإنكليزي «هيليربيلوك» ذلك فقال: «لا يساورني أدنى شك في أن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين وتتماسك أطرافها تماسكاً قوياً وتحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب، بل ستكون خطراً على أعدائها، ومن الممكن أن يعارض المرء هذا الرأي، بأن الإسلام فقد سيطرته على تلك الأشياء المادية خصوصاً فيما يتصل بالحرب، فهو لم يلحق بالتقدم التكنولوجي الحديث، ولا أستطيع أن أدرك: لماذا لم يعوض الشرق الإسلامي ما فاته في هذا الميدان؟ إذ لا يحتاج علوم الهندسة الحديثة إلى طبيعة خاصة، بل يتطلب الإلمام بها والتفوق فيها إلى الخبرة وتوجيه الخبراء، لماذا لا يتعلم العالم الإسلامي ما تعلمناه في مجال التكنولوجيا وهو أمر ميسور؟ وفي مقابل ذلك: سوف يكون من الصعب علينا استعادة التعاليم الروحية وهي من العوامل الأساسية للحضارة ووحدة أوروبا وقد فقدتها المسيحية، بينما لم يزل الإسلام يحافظ عليها».

نتطلع إلى منقذ يرفع الناس من وهدتهم، وينتشل الأمة من ضعفها وتأخرها ووهنها

أقول: ليت الجهلة يسمعون أو يعقلون، وليت كُتّاب الهدم والضياع والهلاك النفسي يفيقون ويعملون إننا إن شاء الله قادمون... قادمون... ■

العالمانية وصدام الحضارات (١ من ٣)

العالمانية وجذور الإعاقة الحضارية

لم يكن بدأً للحركة الإنسانية من قانون إيقاعها، وينظم توجهاتها، ويرشِّد مسيرتها نحو غاية بث الله هذه الحركة في الوجود لأجلها.... قال تعالى: (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) [الملك/٢].

ذلك القانون من الدقة والصواب والمرونة والملاءمة لطبيعة الحياة: بمكان يتناسب وقدر الشارع سبحانه.... وذلك هو التصور المجرد لفلسفة الوجود الإنساني في هذه الحياة.

وغير خاف على كل ذي فطرة سوية: أن الدين هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن للإنسان بها أن يتعاطى الحياة في صورتها النقية وفق قوانين ومرادفات الفطرة... ومن ثم تضحى حاجة الإنسان إلى الدين: ألح من حاجته إلى الماء والغذاء والهواء.... ولعل أي مشروع لعزل الدين عن واقع الحياة ـ ولو نسبياً ـ إنما يمثل في حقيقته انتحاءً بالحياة عن سياقها الطبيعي.

والعالمانية في أدق تعريفها هي: «رؤية للحياة، أو هي أي أمر يعتمد أساساً على أنه يجب استبعاد الدين، وكل الاعتبارات الدينية وتجاهلها، ومن ثم فهي نظام أخلاقي يعتمد على قانون يقول: «بأن المستويات الأخلاقية والسلوكيات الاجتماعية.... يجب أن تحدد من خلال الرجوع إلى الحياة المعاشة، والرفاهية الاجتماعية دون الرجوع إلى الدين»(١).

والعالمانية وفق هذا النسق تعد انحرافاً في التصور الإنساني لمقتضيات الوجود الجوهرية..... بل هي تجريد للإنسانية من معنى وجودها، وإيحاء قوي بعبثية ذلك الوجود، أي هي ـ بتعبير آخر ـ بمثابة تصدعات وتشوهات في البنية الحضارية للأمم على اختلافها.... وهكذا يتبدى لنا أن

بقلم: عطية فتحي الويشي

عيوب ومخاطر العالمانية لا تتوقف عند حدود تلبسها النظام السياسي وحسب ـ كما يتوهم الدهماء ـ إنما هي إخلال بمعايير القيم والمفاهيم، والمناهج والتصورات وشتى الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية التربوية.... على مستوى الأفراد والجماعات، والأصعدة والاتجاهات كافة....! ولعل من أسباب سقوط الحضارات، وتلاشي أثرها نقض أصحابها ناموس الوحي السماوي وخروجهم على قيم السماء...(وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً) [الكهف/٥٩]، فقبل نهاية القرن السادس عشر، وفي ظل الحكم الديني الأخرق الذي رزحت تحت وطأته أوروبا ردحاً طويلاً من الزمان، تعاني إزدراء العلم واضطهاد العلماء، وكبت الحريات والحجر على الآراء وقتل الإبداع وتجريم الاجتهاد، حدثت انفلاتة جامحة مروعة في الفكر الغربي وسلوكه على اثر ذلك الانفصال الرهيب بين القيم الروحية والمادية... تلك الأخيرة التي جاءت نظرياتها وفلسفاتها «لتحطم وحدة القيم وتكامل الإنسان والحضارة، فقد تحولت أوروبا من الفلسفة المثالية التي كانت تصدر عن المسيحية إلى الفلسفة المادية التي تتحدث عن عالم لا خالق له ولا روح فيه، وليست له مسؤولية فردية أو التزام أخلاقي ولا بعث ولا جزاء»(٢).

ولم يتوقف جنوح النظام الأوروبي الجديد ـ إذ ذاك ـ عند هذا الحد، بل أمعن في بث روح الرفض في النفسية الاجتماعية، وترسيخ فلسفة التمرد على كل ما ظهر ويظن مما هو ديني في المجتمع والدولة على السواء. وتجدر في هذا السياق إشارتنا إلى أن الخلفية الأيديولوجية لقرون الحكم الكنسي في أوروبا، كانت في مجملها وضعية...! وإن بدت متسربلة بلباس الدين، إذ إن المرجعية الدينية لغير المسلمين ـ بحق وعلى أي حال ـ معدومة المنهج الشامل الذي ينظم شؤون الحياة كلها ... اللهم إلا طقوس الجنائز ومراسم الزيجات وبقايا قوانين الأخلاق العامة ...!

فقد توعك الشرق المسلم بوباء العالمانية في غمرات الصراع الاستعماري الغربي، الذي مضت أنيابه نهشاً في قيمنا الحضارية الأصيلة حتى أتت على أكثرها... إنها لحظة الاحتكاك المباشر بين القيم الغربية الوضعية الملتهبة، وبين قيم مسلمة تلفظ أنفاسها الأخيرة بفعل الضعف والفتور والتهيؤ للاختراق... فضلاً عن الميول العالمانية لدى بعض ولاة الخلافة العثمانية، كـ «محمد علي» مثلاً، وكان مما ساعد على ترجمة وتحقيق تلك الميول: البعثات التعليمية التي سافرت إلى الغرب... والتي رجعت مبهورة بالنموذج الغربي الحديث... فتشيعت له، وعملت على ترويجه والدعوة إلى تطبيقه في بلادنا دون تنقية أو تهذيب وترشيد، وكان ذلك مؤشر الانكسار، ومحور التحول الجوهري الآبق عن المشروع الإسلامي الحضاري.

وتعالت على اثر ذلك أصوات آفاقنا تجأر بضرورة الالتفات إلى تلك الثورة الغربية الهائلة التي عمت مجالات الحياة المختلفة... وأخذت تلك الطليعة من العملاء في اللمز والتعريض بشريعة الإسلام، قاصدين الربط بينها وبين

الجمـود والتخلف، على غـرار الحال الغربية... متجاهلين ـــ عن خبث وسوء نية ـــ رصـداً ضخماً من التراث الحضـاري الإسلامي، والذي يعد ـــ وفقاً للحقيقة التاريخية ـ من أقوى الأسس والمقومات التي ارتكزت عليها النهضـة الغربية الحديثة.

وواقع الأمر أن ظاهرة العمالة الحضارية أعيت أممـا كثيرة عن النهوض والاستواء وإثبات ذاتها.... وبالنسبة إلينا في العالم الإسلامي فقد عانينا كثيراً من آثارها السرطانية أيما عناء، فيوم أن اجتاحت أفكار الحداثة التغريبية مجتمعنا المسلم: وآلية نقض ثوابتنا تعمل بإمعان ومن خلفها آلية المسخ الفكري والسياسي والعقدي لنظام حياتنا ـــ من يومها ـ تعطلت الإرادة ودانت الهمم واشتـك الطريق بالعوائق والمطبات ... وأوشك الرصيد الروحي على النفاد، فابتلينا بداء الشلل والتوقف الحضاري التام!!

إن أخطر ما في هذا التوجه الخؤون أنه لم يشأ الإلحاد المجرد في الإسلام وحسب، ولكن رموزه ذهبوا إلى تفريغ الدين من محتواه في شتى اطاريحهم الفكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية... فحصروه في ضروب ضيقة من الشعائر الجافة والمعاني السلبية... حتى تفننوا عزلته عن حركة الحياة ولا سيما بعد نجاح الدعوة إلى إحياء الحضارات والعصبيات السابقة على الإسلام، تلك الدعوة التي ظهرت في وقت واحد في كل من تركيا ومصر والشام والعراق وشمال أفريقيا وفارس والهند وأندونيسيا.... وكان مظهرها في كل هذه البلاد واحداً وأساليبها متشابهة.(٣)

وبلغ حد العمالة لحضارة الغرب مبلغاً هائلاً، حين أبدى سلامة موسى تنكره اللئيم لكل مأثورات التراث العربي الإسلامي فقال: «لا أستطيع أن أقول إن الكتب العربية ترتفع إلى مقام يتيح لها تخريج الرجل الناضج الذي يتساءل ويستطلع، وإن كان القليل من الكتب المترجمة يؤدي هذه الخدمة» (٤)، وكتب علي عبدالرزاق يقول: «الخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية، كلا ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم من مرتكز الدولة... وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة، لا شأن للدين بها».(٥)

ويحسن بنا أن نشير في سياق التداعي العربي المسلم أمام ذلك الزحف العالماني المدمر: إلى أن استسلام بلادنا ـ طائعة أو راغمة ـ لذلك المد العالماني لم يكن ابن يومه، ولكنه وليد عقود من الزمان شهدت نقضاً تدريجياً لعرى الإسلام، وإهداراً لقيمه ونواميسه وثوابته الأصيلة.... حتى آلت الحال إلى ذلك الوضع المتردي، فقد كلف الخديوي إسماعيل رفاعة الطهطاوي ذات يوم بترجمة القانون الفرنسي الوضعي عام ١٨٦٣م للعمل في المحاكم بعد إلغاء العمل بالشريعة الإسلامية، وهكذا بفعل ثنائيات الانهيار الذاتي ـــ الضعف والضمور... والعجز والانبهار بالآخر... الإعجاب والتقليد... العماء والتبعية ـ تفلتت القيم الإسلامية من حوزة مجتمعاتنا تترى، وأصبحنا متهيئين للاختراق الحضاري من قبل الجهات الأصلية والفرعية...! بعد ما بات الأمن القومي العربي والإسلامي مبطوناً بعوامل التبدد والزوال...؟!

ولعل العالمانية في أدق توصيف لها: أنها علة غيبوبتنا الحضارية، تلك التي تنساق الأمة في غمراتها نحو فنائها المحتوم الذي لا ملجأ منه إزاء ذلك الزحف الحضاري الكاسح من جانب خصومنا إلا بالفواق من وهمها المضل، وأراجيفها الخدوعة... فكثيراً ما أغرى العلمانيون الغرب بنا... فلقد خلعوا على الدهماء خلع التبعية العمياء فانساقوا كقطعان الدواب إلى حيث لا يعلمون، فلم يكد المسير أن يبلغ شوطاً بهم حتى تهالكوا وتداعوا، وتهاووا في حفرة سحيقة لم يخرجوا منها إلا على صيحات الاستفزاز الحضاري التي تؤزهم أزاً... فتستخرج الأمة راغمة على غير تهيؤ منها أو استعداد مضعضعة القوى ينتابها التثاؤب والخمول..... رافعة يد التسليم والخضوع والانهزام الحضري المهين!! ومن ثم فإن فريضة «الأمة الإسلامية» قال تعالى: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) [المؤمنون ـ ٥٢]... هذه الفريضة لن تقام في ظل فلسفة العالمانية التي أحالت أمر الأمة أشتاتاً متشاكسة.... فدعاوى الوطنية والشعوبية القومية ـــ سواءًاعربية كانت أم طورانية، أم آشورية أم فرعونية أم غيرها ـ تمثل تأبقاً من حمى الإسلام، ونزوعاً إلى أمر الجاهلية وأحقاداً للعصبيات... ولقد تجلى خطر العالمانية على عقيدة الأمة المسلمة في تلك الصراعات الأيديولوجية ـ العربية العربية أو العربية الإسلامية ـــ على مستواها المحلي أو الإقليمي سواء. ولدينا من حروب اليمن الطاحنة مثالاً حياً.... ذلك فضلاً عن ظاهرة البعث العربي المشؤومة، والتي لا يغيب خبرها الأسود عن دائرة شعورنا المثقل بالمصائب والهموم.... فقد شهدنا كيف تجلت القومية العربية المزعومة ذات الفلسفة العالمانية في صورة الحقد المتفجر عند مطلع الفجر الكاذب في الثاني من آب ـــ أغسطس ١٩٩٠م... والتي تمخضت عن نظام عالمي جديد، ولد في أصداء التداعيات العربية الإسلامية... فتكلم في مهده معلناً عن نفسه ـــ بلا مقدمات ـ كتيار حضاري مسطور في أبجدياته: فلسفة الأنا، فكيف نتهيأ لمواجهة هذه التحديات الهائلة في ظروف التثبيط العالماني لتيار حضارتنا قال تعالى: (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتمّ نوره ولو كره الكافرون) [الصف/٨]. ■

الهوامش والمصادر:

١ ـــ معجم وبستر ـــ WEBESTERS THRID NEW INTERMATIANAL DICCTIONARY .U.S.A MERRION CO 1971 - P - 2053

٢ ـــ أنور الجندي ـــ حتى لا تضيع الهوية الإسلامية ـ دار الاعتصام ـ مصر ـ ١٩٨٤ ـ ص ٨٣.

٣ ـ محمد محمد حسين ـ حصوننا مهددة من الداخل ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٩٨٢ ـ ط٧ ـ ص ٥٠.

٤ ـ سلامة موسى ـــ هؤلاء علموني ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٩٥م ـ ص ٢٠.

٥ ـ علي عبدالرزاق ـ الإسلام وأصول الحكم ـــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـــ د. ت ـ ص١٠٣، وقد قيل فيما بعد أن هذه الأفكار كانت شركة بينه وبين الدكتور طه حسين

يسر التعليم في القرآن والسنة

الإسلام يسر في تكاليفه وتشريعه وتعاليمه وأخلاقه، فالدين يسر كله من أجل سعادة الناس في الحياة، وابتغاء رضاء الله، وستتناول جوانب من هذا اليسر بمشيئة الله تكون بدايتها: «اليسر في التعليم في القرآن وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم» القائل: (إن الله تعالى لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلماً ميسراً) رواه مسلم.

بقلم: عبدالحفيظ نصار

خطوات الدرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم

من يسر الإسلام أنه لم ينزل دفعة واحدة كما كان يقول الكافرون: (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا. ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) [الفرقان: ٣٢ و ٣٣]، فرد عليهم حجتهم وما يحاولونه من محاولة عيب في القرآن بأنه لم ينزل جملة واحدة كالتوراة والإنجيل والزبور من الكتب السماوية السابقة ونزل منجماً مفرقا حسب الوقائع والحوادث وما يحتاج إليه الناس من أحكام، وليثبت قلبه وقلوب المؤمنين وليبسر عليهم تعليمه والعمل به، وهذه الطريقة من أحدث ما وصلت إليه التربية الحديثة أن يكون التعليم عن طريق حل المشكلات بعد أن تطرح على التلاميذ أولاً.

قال ابن عباس رضي الله عنه: (ولا يأتونك بمثل) أي بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول (إلا جئناك بالحق) أي إلا نزل جبريل من الله تعالى بجوانبهم، وما هذا إلا مزيد اعتناء وكبير شرف للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث كان يأتيه الوحي من الله عز وجل بالقرآن صباحاً ومساء سفر وحضراً، ويقول ابن كثير مؤيدا قوله بقول ابن عباس: وقد جمع الله للقرآن الصفتين معاً، ففي الملأ الأعلى أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزل بعد ذلك إلى الأرض منجما، أي مفرقا حسب الحوادث ـ

وأقول: ظاهر هذه الآية والآية الأخرى لا يدل على وجود المرحلة الأولى للنزول، والله أعلم، قال تعالى: (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً) [الإسراء: ١٠٦]، بالتخفيف ومعناه فصلناه من اللوح المحفوظ نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة، لصالح المسلمين، وفي قراءة «فرقناه» بالتشديد، أي أنزلناه آية آية مبينا مفسراً (لتقرأه على الناس) أي لتبلغه الناس وتتلوه عليهم (على مكث) على مهل (ونزلناه تنزيلا) شيئاً بعد شيء (عن تفسير ابن كثير، وفي التمهل فضلاً عن زيادة التفكر والحفظ إتاحة الفرصة للتطبيق العملي لما جاء في الآيات الكريمة، قال عبدالله بن حبيب التابعي: قال حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا من الصحابة أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها «من العلم والعمل بها»، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم، «عن الإكليل لابن تيميه» ويؤيد ذلك ما رواه البخاري، قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما العلم بالتعلم» والفقه هو العلم بدقائق الأمور، والتعلم أثر العلم في الإنسان وتكوينه، لا مجرد حفظ المعارف، وهذه هي النظرية الحديثة في التربية، وجملة «إنما العلم بالتعلم» ينسبها البعض للمؤلف وإن كان يقوى أنها من حديث ابي الدرداء مرفوعاً «إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم»

وفي القصص القرآني تربية وتعليم بشخصياته وغاياته ومثله الإيمانية والخلقية

عن إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري.

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثالاً للمعلم الذي يراعي اليسر في التربية والتعليم، وكان أول محفظ ومفسر للقرآن الكريم متبعا نهج الله (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما) [طه: ١١٤]، وأمره الله تعالى أن يدعوه إلى الاستزادة من العلم (وقل رب زدني علما)، وذلك نظير قوله تعالى: (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) [النساء: ١١٣]، فتيسير العلم من الله، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو ربه قائلاً «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال» رواه ابن ماجه والترمذي.

وثبت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يعاني من شدة الوحي، ولنرجع إلى تلاوة وتفسير سورة العلق والمدثر والمزمل، وما جاء من الأحاديث والسيرة النبوية الصحيحة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما كان يعاني من شدة عند نزول الوحي، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هذه الشدة والمعاناة عند نزول الوحي حريصا على حفظ ما يتلقاه، فيسرع بالقراءة، وأرشده الله تعالى إلى ما هو أخف عليه (لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) [القيامة: ١٦ و ١٧]، أي أن الله قادر على أن يجمعه في صدرك، ثم تقرأه بعد ذلك على الناس، فعليك الإنصات لجبريل، فإذا انتهى من قراءته فاقرأه بعده، فإن الله يسر لك حفظه «فإذا قرأناه فاتبع قرآنه» أي إذا تلاه عليك جبريل عن الله تعالى: (فاتبع قرآنه) [القيامة: ١٨]، أي فاستمع إليه وأنصت لقراءته (ثم إن علينا بيانه) [الآية: ١٩]، بما يوحيه إليك من تفسير وتوضيح وتذكرة في أحاديثك، فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه، كما ورد في الأحاديث عن البخاري ومسلم وأحمد.

فالحالات الثلاث المذكورة هي خطوات الدرس لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فـالحالـة الأولى جمعه في صـدره وذاكـرتـه، والثانيـة تلاوتـه، والثالثـة تفسيره وإيضاح معناه والمناسبة التي نـزلت فيها الآيـات هي التمهيد لها ولمعـانيها، وليس مـا ذكرنـاه من خطوات أن الآيات الكريمة هي كالنص الأدبي يجوز عليهـا مـا يجوز على النص الأدبي من نقد كما يقول بعض أدعياء البحث من الكتاب أو الأدباء، (كبرت كلمـة تخرج من أفواههم إن يقولـون إلا كذبـا) ولكننا نشير إلى أن القـرآن الكريم فيه إشـارات وتوجيهات لمن يحسن في الدرس، وتيسير التعليم فضـلاً عن إعجازه في بلاغته وفي أسلوبه ومعانيه.

التيسير في التعليم

ومن الـــدروس المستفـــادة مـن التعليم في الإسـلام التكرار المفيـد مع الإضافـة ليتثبت المتعلمون، وكان الـدرس الأول في ذلك أول ما نزل مـن الوحي على رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ـ (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسـان من علق)، فقـد كـان جبريل يضم صدره عليـه السلام منبهـاً له لنـزول الوحي آمرا بأمـر ربه بالقـراءة مرتين، ثم مرسـلاً له وتالياً الآيات، وفي الثانية (اقرأ وربك الأكرم)، وفي الأمر بالقراءة مرتين مـزيد من العناية بها لأنها إحـدى الوسيلتين الأسـاسيتين للتعليم، وثانيـة الوسيلتين الكتابـة وأداتها القلم، والله الذي (علم بـالقلم. علم الإنسان مـا لم يعلم) وفي رواية ابـن إسحاق عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ: «أتاني جبريل بنمط مـن ديباج فقال «اقرأ» وإنما أتى جبريل به من الله ليلقن الـرسول ــ صلى الله عليـه وسلم ــ ما فيـه ويمليـه عليه لأن الـرسول أمي لا يقـرأ ولكن ليسمع المكتوب، نظـير قـوله تعـالى (رسول من الله يتلو صحفا مطهـرة)، وليـدله علـى أن التعليم بالقـراءة والكتابة، وكون الـرسول أمي لا يكتب معجـزة، لأنه أمي، وقد جـاء من عنـد اللـه بما عجـز عنه المتعلمـون للكتابـة والقراءة وأعجـز أهل الفصـاحة والبـلاغة أن يأتوا بمثلـه ولو اجتمعوا له، قـال تعالى: (وإن كنتم في ريب ممـا نـزلنـا على عـبدنا فأتـوا بسورة من مثله) [البقرة: ٢٣]، وقـال تـعالى (قل لئن اجتمعت الإنـس والجن على أن يأتـوا بمثل هـذا القـرآن لا يأتـون بمثله ولـو كـان بعضهم لبعض ظهيرا) [الإسراء: ٨٨]، قـــال تعالى: (ومـا كنت تتلوا من قبلـه من كتاب ولا تخطـــه بيمينك إذن لارتـــاب المبطلـــون [العنكبوت: ٤٨].

ويرى ابن خلدون في مقـدمته أن أيسر طرق ملكة الفهم فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شـأنها، ويحصل مـــرادهـــا، وأن يـــراعـي التـدرج والتكـرار والشرح والإيضـاح، وحتى تثبت المهارة في الفن أو العلم، وكـان رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ يكرر قوله ليحفظه ويفهمـه السامعـون، فقـد روي عن أنس ـ رضي الله عنـه ـ أن النبـي ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ (كـان إذا تكلم بكلمة أعادها ثـلاثاً حتى تفهم عنـه) من حديث رواه البخـاري عن أنس بن مالك.

وأنه يعتمد على ضرب الأمثلة الحسية، وكان رسول الله ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ يعتني بضرب الأمثلـــة الحسيـــة، ومن الأمثلـــة القصصية في أحاديثه النبوية حديثه ـ صلى اللـه عليه وسلم ــ «مثل الجليس الصـالح والجليس السوء كمثل صـاحب المسك وكير الحداد «أو نـــافخ الكير» لا يعـــدوك من صـــاحب المسك، إمـا أن تشتريـــه أو تجد ريحه، وكير الحداد، إمـــا أن يخرق بيتك أو ثـــوبك أو تجد منـــه ريحاً خبيثـــة» رواه البخاري، وقـوله ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ «مثل العالم الذي يعلّم الناس الخير وينسى نفســه كمثل السراج يضيء للنـاس ويحرق نفســه» رواه الطبراني، وقولـه ـ صلى اللـه عليه وسلم ــ: «مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدّث به كمثل الـذي يكنز الكنز الكثير ولا ينفق منه» رواه الطبراني، وعنه أيضا: «مثل الـذي يتعلم العلم في صغـره كـالنقش على الحجـر، ومثل الـــذي يتعلم العلم في كبره كـــالـــذي يكتب على الماء» رواه الطبراني، وقـولـه ـ صلى اللـه عليـه وسلم ــ: «مثل المؤمنين في تـوادهم وتـراحمهم وتعـاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه مسلم وأحمد، والأمثلة من أحاديثه ـ صلى الله عليه وسلم ــ كثيرة، كما أنـه كان يتجـه كثيراً إلى قصص الســابقين مثل قصة أصحـاب الغار الثلاثة الذين أصابهم المطر فدخلوا في غار في جبل فانحطت عليهم صخـرة، فقال بعضهم ادعـوا الله بأفضل عمل عملتمـوه... «فدعـوا حتى كشف اللـه عنهم» الحديث الـذي رواه مسلم.

أيسر طرق ملكة الفهم فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية

وفي القصص القـــرآني تـــربيـــة وتعليم بشخصياته وغاياته ومثله الإيمانية والخلقية (لقـد كان في قصصهم عبرة لأولي الألبـاب) [يـــوسف: ١١١]، وأحسن القصص في خبر المرسلين عليهم السلام مع قومهم، وقصص الســابقين مثل قصـة نـوح وقومـه، وقـوم إبراهيم، وهود وصالح وغيرهم، وفي كل عبرة وعظة كقصة موسى وفرعون، وقصة قارون في ســورة القصص وقصـة النملـة، وقصـة الهدهـد مع سيدنـا سليمان عليه السـلام في سورة النمل، وقصة أصحاب الكهف، وقصـة أصحاب الجنتين وقصـة سيدنـا موسى مع الخضر وأسئلة سيـدنا مـوسى لـه في سورة الكهف، وغيرها أمثـال وحكمتها، ومنها (ألم تر كيف ضرب الله مثـلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلهـا ثابت وفرعهـا في السماء تؤتي أكلهـــا كل حين بإذن ربها، ويضرب اللـــه الأمثال للنـاس لعلهم يتذكـرون. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٦].

ومن الأمثلة الحسيـة التي تبين أثر التعليم في النـاس وبيان درجـات استفادتهم منـه: عن أبي موسى ـ رضي الله عنـه ـ قال، قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «مثل ما بعثني الله بـــه من الهدى والعلم كمثـل الغيث الكثير أصاب أرضا نقية «أي أرضا طيبة» قبلت الماء فنفع الله بهاالناس فشربـوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبـت كلأ، فذلك مثـل من فقه في دين اللـه ونفعـه مـا بعثني اللـه بـه فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبله هـدى الله الـذي أرسلت به» رواه البخـاري ومسلم.

فتلك الصـورة التشبيهية التمثيليـة الرائعـة التي رسمها بيان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ــ آخذا مـادتها من واقع حياة العـرب وبيئتهم ومثلث العلم يصادف عقـولاً واعية مؤمنة تنتفع به أكبر انتفاع على هدى من الله وتنفع الآخرين بعلمهـم بغيث كثير يصادف

أرضا طيبة أتت بزرع وفير الثمرات والخير للناس، وشبه من كان استعداده العلمي محدودا فنفع به قوما على قدر هدى الله لهم بمطر أصاب أرضاً مجدبة انتفعت بالمطر وأمسكت حتى انتفع به الناس، ومثل الطائفة الثالثة وهم الذين ليس لديهم استعداد لحفظ معرفة أو الانتفاع بهداية تكبرا وجمودا على ما هم عليه من جهل أو كتمانا لعلمهم، شبههم بمطر جاء أرضا رخوة، «قيعانا» لا تمسك ماء فلا ينتفع الناس بها كما لا ينتفع الناس بهم، وهذا الحديث الشريف كما ترى يقسم المستوى العقلي والإيماني لطلاب العلم بالنسبة لاستعدادهم للتعلم والعمل به إلى ثلاثة مستويات:

١ ـ مستوى عقلي وإيماني أول.
٢ ـ مستوى عقلي وإيماني متوسط.
٣ ـ مستوى عقلي وإيماني ضعيف.

ولا ننسى قصة يوسف المذكورة في سورته وقصة آل عمران والسيدة مريم وعيسى عليه السلام في سورة مريم وفي سورة الإسراء والنجم، وقصة الإسراء والمعراج، وزادتها الأحاديث الشريفة تفصيلاً، وفي سورة لقمان حكم ومواعظ للأبناء خاصة، وغيرهم، قصص الغزوات في سورة الأنفال والتوبة والأحزاب وغير ذلك فيض من القصص وأخبار الأولين والمرسلين مما يكون تربية وتعليما وعظة للحاضرين واللاحقين، ويا حبذا لو أحسنا عرضها وقصها على المتعلمين، فتلك القصص أنفع لأولادنا من القصص الغربية، وما يجب على المتخصصين والمسؤولين جعلها من القراءات المقررة في مراحل التعليم والاهتمام بنشرها وعرضها في جميع وسائل الإعلام (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) [الأعراف: ١٧٦].

كما ورد في القرآن الكريم من حوار في القصص مع المنكرين والمسلمين لإقناعهم بالحجة، وقد اهتم الإسلام بتعليم المسلمين أن يسألوا ليتعلموا فالأسئلة والأجوبة من أهم وسائل التعليم، وأحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زاخرة بأسئلة الصحابة وإجاباتها، ومن أوجز الإجابات وأكملها سؤال سفيان بن عبدالله الثقفي قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً بعدك «يريد إجابة جامعة شاملة»، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «قل آمنت بالله ثم استقم» رواه مسلم، ونذكر الحديث الذي أراد به جبريل عليه السلام بأمر من ربه أن يعلّم المسلمين الأسئلة وأن يتقدموا بها في أدب ولطف في مجلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، حديث عمر بن الخطاب الذي رواه عنه ابنه عبدالله وكيف وصف عمر الرجل «أي جبريل» في هيئة رجل غريب «بينما نحن جلوس عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثوب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسند ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت، قال فعجبنا له يسأله ويصدقه «فالسؤال يدل على أنه متعلم والتصديق يدل على أنه عالم، ولكن جبريل أراد أن يعلّم الناس السؤال والمحاورة»، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان»، وهذه الأسئلة تشمل أمور الدين كله، وأنه على العالم إن سئل فيما لا يعلم خاصة في الغيبيات فلا يتجاوز في الإجابة وعليه أن يقول «الله أعلم» وقد روى الحديث الشيخان وغيرهما، وفي رواية مسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سلوني فهابوا أن يسألوه، قال: فجاء رجل، إلى آخر الحديث، وقد نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن التكلف في الكلام، فعلى المعلم أن يكون سهلاً في حديثه حتى يكون محبباً، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة»، رواه أبو داود والترمذي، وقد رأينا حديث جبريل في أسئلته مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك اليسر في الأسئلة والأجوبة وفي حديث آخر يجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك اليسر من حسن الخلق الذي يقرب صاحبه إليه ويبغض المتقعر الثرثار المتكلف فهو بعيد عن مجلسه يوم القيامة قال: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن من أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» رواه الترمذي.

تنظيم أوقات التدريس

اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيم أوقات الدرس وإعطاء وقت لراحة المسلم سواء أكان من الدرس أم من العبادات، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة الآمة علينا» رواه البخاري، وفي العبادات عامة ودروس العلم من العبادات، من حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لربك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط لكل ذي حق حقه» وفي رواية «فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا» رواه البخاري وغيره، وفي حديث لحنظلة بن الربيع الذي ذكر من أمر مجلسه مع غيره من المسلمين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يذكرنا بالجنة والنار كأن رأي عين» فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم «عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات» أي لاعبناهم وانشغلنا بهم وبأمور المعايش، معتبرا أن ذلك مضيعة ونفاقا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في نهاية الحديث: «ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات» رواه مسلم، ومن حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «روحوا القلوب ساعة فساعة» لأبي داود.

فالإسلام يسّر على المسلمين في الدرس والعبادات والأعمال بتنظيم الأوقات، وبما لا يشق على الإنسان، وفي أمور الحياة كلها (لا يُكلف الله نفساً إلا وسعها) [البقرة ٢٨٦].

بالعلم انتشر الإسلام

كان العلم أهم أداة لنشر الإسلام، فهو وسيلة الدعوة الرئيسية، وأظهر مثال لذلك إسلام أهل المدينة، فإن رسول الله صلى الله عليه

وسلم أرسل مصعب بن عمير مع أول فوج أسلم من يثرب في بيعة العقبة الأولى، وكان عددهم اثني عشر رجلاً، قد أسلموا في موسم الحج، لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، وأقام مصعب بن عمير في المدينة وازداد المسلمون عدداً، فجاء مصعب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل موسم الحج التالي، ليخبره بانتشار الإسلام بين الأوس والخزرج، وأن المسلمين صاروا في منعة وقوة، وأن عددا كبيرا منهم سيأتي في موسم الحج هذا العام، وجاءوا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الكبرى على أن يمنعوه مما يمنعون نساءهم وأبناءهم، ومعنى ذلك أن يدافعوا عنه وعن المسلمين إذا أتى إليهم، وأقام بينهم، وبذلك كان التمهيد لهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين إلى المدينة، فانتشر الإسلام بالعلم والدعوة إلى الحق وقيام أول دولة إسلامية بالمدينة المنورة، وانتشر الإسلام في العصور التالية بالعلم بحقيقة الإسلام ويسره ودعوته التي تقوم على التوحيد في العبادة، والوحدة والعدالة بين المسلمين، وغيرهم الذين لم يكرهوا على الإسلام حتى هدوا إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل مع كل وفد يأتيه مسلما يعلمهم الدين، وكان انتشار المسلمين بعلمهم وحسن معاملاتهم وتجارتهم في آسيا سبباً في دخول الإسلام في بلاد مثل الهند والفلبين وأندونيسيا والصين، كما أن مراكز التعليم والدعوة، وما كان يعرف بالخلوات في القرن التاسع عشر سببا في انتشار الإسلام جنوب الصحراء في أفريقيا بعد أن توطد في الشمال وإن كان قد تآمرت عليه جيوش الاحتلال، كذلك بهجرة القبائل العربية من الخليج إلى أفريقيا ومنها زنجبار وبالدعوة إلى الله بالحكمة «وهي قمة العلم» والموعظة الحسنة «اللطيفة الميسرة» والمعاملة الطيبة والسلوك القويم، وكان المسلمون وعوا قوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) [النحل: ١٢٥].

وكما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على إرسال البعوث العلمية إلى القبائل والبلاد التي دخلت الإسلام بسلام أو عهد وميثاق، كان حريصاً كذلك في الحرب على اعداء الإسلام الذين أحاطوا به وأرادوا أن يقضوا عليه فكان كما يعد فرق الجيش يعد فرقة للعلم والتفقه في الدين، يترك بين المسلمين غير المحاربين من يفقههم في الدين ويعلمهم، حتى لا يترك الجبهة الداخلية خالية من العلم والتعلم وليواصل الذين عادوا من الجهاد تعلمهم، فلا تتوقف مسيرة العلم في الحرب والسلم، قال تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) [التوبة: ١٢٢].

وطلاب العلم والمعلمون المخلصون كالمجاهدين في سبيل الله، قال صلى الله عليه وسلم: «من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع» رواه الترمذي، وتدل على ذلك الآية السابقة باستخدام كلمات «نفر» و«فرقة» التي تشير إلى أنهم مثلهم في الأجر.

يسر التعليم لا ينافي التخصص

وليس معنى بياننا ليسر التعليم في الإسلام أنه يدعو إلى الوقوف عندما يتيسر منه، وإنما ذلك خطوة نحو آفاق العلم بالدين والدنيا، وقد دعا القرآن إلى دراسة الكون، وعلوم الحياة في الدنيا والآخرة، إذ فيها الدليل على وجود الله وعظيم قدرته في خلقه، قال تعالى: (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) [العنكبوت: ٢٠].

وقوله (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) [الحج: ٤٦]، وهنا نجد الدعوة لاستعمال الحواس كافة لإنسان مع عقله وبصيرته في سبيل الوصول إلى حقيقة العلم، وبذلك يعلو أصحاب العلم درجات: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات). [المجادلة: ١١]، وقال صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» رواه البخاري ومسلم.

والفقه هو العلم بدقائق الأمور، فليس الأمر قاصراً على الفقه الشرعي وإنما يشمل أيضاً الفقه بعلوم الحياة وهي من الدين أيضاً، كما قال بذلك الإمام الغزالي وغيره من العلماء، وفي ذلك يقول: عباس محمود العقاد في كتابه «التفكير فريضة إسلامية»: (العلم الذي أمر به القرآن الكريم هو جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء، ويشمل الخلق هنا كل موجود في هذا الكون ذي حياة أو غير ذي حياة) انتهى، قال الله تعالى: (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) [الأعراف: ١٨٥]، أليست الآية شاملة في دعوتها إلى علوم الحياة والكون وفيه آيات الله، وحتى يتخصص أعداد من المسلمين في كل قطر بفرع من فروع العلم حتى يكونوا أهل مرجع وذكر بين المسلمين لنفعهم في السلم والحرب: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) [النحل: ٤٣]، ورفع الله قدر العلماء عامة في قوله: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) [فاطر: ٢٨]، وقال صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة» رواه مسلم، وذلك الثواب العظيم والدرجة الرفيعة عند الله لمن لا يكتم علمه عن الناس أو يتخذه بضاعة دنيوية، بل يقصد به وجه الله، فإن قصده كفاه من حيث لا يحتسب، فهؤلاء العلماء أو المعلمون الذين يكتمون العلم على من يحتاجه منهم، كأنهم أهل الكتاب الذين كتموا معرفتهم برسول الله وحقيقة دعوته من أجل ما يأخذونه من أعداء الإسلام، قال تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون) [آل عمران: ١٨٧]، والآية عامة فيها تحذير لعلماء المسلمين الذين يقصرون في الدعوة إلى الله وقول الحق ولو كان مُراً، وتحذير للمعلمين الذين يجعلون للعلم سوقا يرفعون فيه الأسعار، ولا يخشون الله، وفي الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» رواه الترمذي.

وعلى الدولة أن تكفل للعلماء والمعلمين حاجاتهم بما يحفظ للعلم كرامته وللعلماء مهابتهم، وحتى يتحقق فيهم قوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) [فاطر: ٢٨]، وقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم —: «لا ضرر ولا ضرار» رواه أحمد وابن ماجه. ■

تربية

أثـــر الإيمان في العلـم والتعليم

د. خالد سعد النجار

مامن شك في أن قضية العلم من أسمى القضايا في الوجود كله فلقد دانت له كل الحضارات على مر العصور بالفضل. ذلك انها ماقامت الا عليه فلا سبيل لأي رقي ولاتقدم الا بالعلم وعلى مر الأزمان وجدت حضارات ربما خلت من تقدم صناعي او زراعي او معماري ولكنها لم تخل قط من علم ينهض بها وعليه تقوم وفي ذلك يقول الشاعر:

هل علمتم أمـــة في جهلهـــا
ظهـرت في المجد حسنـاء الـرداء

إلا ان بزوغ شمس الاسلام على الدنيا أعطى العلم مذاقاً خاصاً غير مـاعهد في سالف التاريخ وأضفى عليه رونقا لاتجد مثله على مر العصور وذلك أن الاسلام اضاف الى قضية العلم عوامل عـدة حدت بـه الى سمـو قضيتـه فوق سمـوه المعهود فمن هذه العوامل على سبيل المثال :

أولاً: أن الإسـلام جعل شرطين لقبـول أي عمل يراد به وجـه الله تعالى وتكون بـه الزلفى عنده فأول هـذه الشروط هـو ان يكـون هـذا العمل خـالصا لـوجهـه تعـالى لايشوبـه أدنى ريـاء ولاسمعة فلايـؤدى من اجل مدح هذا أو ذاك او لكي يراك هـذا أو ذاك قال تعالى:﴿ومـاأمروا الا ليعبـدوا اللــه مخلصين لــه الــدين حنفـاء﴾[البينـة/ ٥]. وقال تعـالى:﴿فمن كـان يرجـو لقاء ربه فليعمل عمـلا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحـدا﴾[الكهف/ ١١٠] والشرك هو أداء العمل ليس ابتغاء وجه اللـه فأشرك مع الله طلب مدح الناس او ثنـاءهم عليه وفي ذلك يقول رسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسلم قـال اللـه تعـالى:«أنـا أغنى الشركـاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تـركته وشركه» رواه مسلم ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم «من تعلم علما ممـا يبتغي بـه وجـه اللـه عـز وجل لايتعلمه الا ليصيب به عرضـا من الدينا لم يجد عُرف الجنـة يوم القيامة» رواه أبـو داود بسند صحيح وعُرف الجنة يعني ريحها.

هـذه الجرعـة مـن الاخـلاص جعلت المسلمين يقبلون على تعلم العلم بمفهوم جديد وحسبك من عمل خـالطة الاخـلاص فـانه يصل بـه الى تنـاول ذلك العمل بكل حـب وكل لـذة فيفجـر الطاقات ويبدع المرء فيه اروع الابداعات.

ثانيا: ألا وهو الشرط الثاني لقبول الأعمال عند الله سبحانه وتعـالى وهو ان يؤدي هذا العمل وفق مانص الله تعالى عليـه في كتابه او ماورد في سُنة رسـوله صلى الله عليه وسلم فعنـدما علمنا رسـول الله صلى الله عليه وسلم الـذكر عقب الصـلاة بأن نسبّح اللـه تعـالى ثـلاثـا وثلاثين ونحمـده تعالى ثلاثـاً وثلاثين ونكبره تعالى ثـلاثا وثلاثين لايمكن ان يقبل عنـد الله تعالى الا بهذه الكيفيـة فلو كان اربعـاً وثلاثين او اكثر من ذلك بدعوى زيادته محبة في الله او اجتهادا في العبـادة ماكان هـذا مبررا او دافعا مقبولا عند الله تعـالى كي يكون العمل مقبولا عند الله عـز وجل فهو الذي علّم رسـوله هذه الكيفية واحب ان يُعبد بهذه الكيفية ورضي منا ذلك فأي زيادة او نقـص تجعل العمل في عداد المرفوض وهو مايسميه العلماء «البدعة» التي هي عين الضـلالة والشرود عن جادة الصواب.

ذاك الشرط حدا بالمسلمين كافـة رجالا ونسـاءً كباراً وصـغاراً الى الاقبال على تعلم امور دينهم والتحقق من كيفيـــة اداء كل عمل كي ينـــال القبول عند الله عز وجل وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليـه وسلم«طلب العلم فريضة على كل مسلم» رواه ابن مـاجة وهـذا الغرض يختلف من شخص لآخر ولكن عـامة الامر ان من اراد ان يؤدي عمـلا طالبـا فيه رضـا الله تعالى كـان فرضـا عليه تعلم كيفيـة اداء ذلك العمل.

ثـالثا: الكثـرة الكـاثـرة من الآيـات القرآنيـة والأحـاديث النبويـة التي تبين أهميـة قضيـة العلم والتعلم والتي دفعت بـالمسلمين الى الجد والاجتهاد في هذا الأمـر فحققوا حضارة لاتجد لها مثيـلا بين حضارات الأمـم نقاءاً وطهـارة وروعة.

–قـال تعـالى:﴿شهـد الله أنـه لااله الا هـو والملائكة وأولوا العلم قـائما بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم﴾[آل عمران/١٨].

قال ابن القيم وهذا يدل على فضل العلم واهله من وجوه احدهـا انه استشهدهم دون غيرهم من البشر وانـه اقـرن شهـادتهم بشهـادتـه وشهادة الملائكـة وان ضمن في هذا تـزكيتهم وتعـديلهم فـان الله لايستشهـد من خلقـه الا العدول وانه استشهد بهم على أجل مشهود به واعظمـه واكبره هـو شهادة أن لا الــه الا اللـه والعظيم القدر انما يستشهـد على الامر العظيم أكابر الخلق وسادتهم.

–وقال تعالى:﴿قل هل يستـوي الذين يعملون والذين لايعملون﴾[الزمر/ ٩].

–وقـال تعالى: ﴿أفمن يعلم أنما أنـزل اليك من ربك الحق كمن هـو اعمى انما يتـذكـر أولـوا الألباب﴾[الـرعد/ ١٩]. فقد وصف اللـه تعالى أهل الجهل بأخـس صفـة وهي العمى فقـال تعـالى:﴿يسألونك مـاذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبـــات ومـــاعلمتـم من الجوارح مكلبين تعلمـونهن مما علمكم اللـه فكلوا ممـا أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب﴾[المائدة/ ٤].

فالله سبحانه وتعالى جعل صيد الكلب الجاهل ميتة يحّرم اكلها وأباح صيد الكلب المعلم وهذا من شرف العلم كما يقول ابـن القيم رحمه الله تعالى

–وقـال تعـالى:﴿انما يخشى اللـه من عبـاده العلماء﴾[فاطر/ ٢٨].

وعن ابي الـدرداء رضي الله عنـه قـال: سمعت رسول اللـه صلى اللـه عليـه وسلم يقول: «من سلك طـريقـا يلتمس فيـه علما سهل اللـه لـه طريقـا الى الجنة وان الملائكـة لتضـع اجنحتها لطـــالب العلم رضـــا بما يصنع وان العـــالم ليستغفـر لـه من في السمـوات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل العـالم على العابد كفضل القمـر على سائر الكـواكب وان العلماء ورثـة الانبياء، ان الانبيـاء لم يـورثوا دينـارا ولادرهما انما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافـر» رواه ابو داود والترمـذي. و قيل ان من في السموات والارض المستغفرين للعالم حتى الحيـوانـات ناطقهـا وبهيمهـا طيرهـا وغيره ويؤكـد هذا قـوله صلى الله عليـه وسلم «حتى الحيتان في الماء» وفي راوية اخرى وحتى النملة في جحـرها. وسبب هـذا الاستغفار ان العـالم يعلم الخلق مراعـاه هذه الحيوانـات ويعرفهم

مايحل منها ومايحرم ويعلمهم كيفية الرفق بها وتناولها واستخدامها حتى طريقة ذبحها.
وكفى شرفا قوله صلى الله عليه وسلم «ان العلماء ورثة الانبياء».
–وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سلوا الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لاينفع» رواه ابن ماجة عن جابر رضي الله عنه.
–وعن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«خيركم من تعلم القرآن وعلمه» رواه البخاري.
–وعن ابي قتادة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير مايخلّف الرجل من بعده ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقة تجري يبلغه اجرها وعلم يُعمل به من بعده» رواه ابن ماجة.
–وعن ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« من غدا الى المسجد لايريد الا ان يتعلم خيرا ويعلمه كان له اجر حاج تاما حجته» رواه الطبراني في الكبير.
رابعا: هناك العديد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة التي نفرت من الجهل وصورته في أبشع صوره.
فهناك العديد من الآيات اشارت الى جوهر ضلال الأمم السابقة عن جادة الصواب ألا وهو داء الجهل. قال تعالى:﴿وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهه قال انكم قوم تجهلون. ان هؤلاء متّبر ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون﴾ [الاعراف/١٣٨–١٣٩].
وقال تعالى:﴿وياقوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وماأنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون﴾[هود/٢٩].
وقال تعالى:﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون. أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون﴾[النمل٥٤–٥٥].
ومن الآيات من شبهت حال الجاهلين بأسوأ التشبيهات وانكرها كالقتلة والأنعام والدواب التي لاتسمع ولا تعقل.
قال تعالى:﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لايسمعون أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾[الأعراف/١٧٩].
وقال تعالى:﴿ يـاأيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولاتولوا عنه وأنتم تسمعون. ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون. ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون. ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ [الأنفال/٢٠–٢٣].
وقال تعالى:﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون﴾[الأنعام/١٢٢].
–وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» – رواه البخاري.
فبين صلى الله عليه وسلم ان الضلال من تحكيم الجاهل هو الذي يقود الى مافيه العطب والهلاك.
–بل عدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم «الجهل من علامات الساعة».
فعن ابي وائل رضي الله عنه قال كنت جالسا مع عبد الله وابي موسى فقال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان بين يدي الساعة أياما يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل ويكثر فيها الهرج» والهرج القتل» رواه مسلم.
وصدق الامام علي رضي الله عنه اذ قال:
كفى بالعلم مشرقا ان يدعيه من لايحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ذما ان يتبرأ منه من هو فيه.
كل هذه العوامل تظافرت ودفعت المسلمين للعلم بشكل لم يسبق له مثيل فضربوا اروع الامثلة في تحصيل العلوم وجمعها فكان نتاج ذلك ثروة علمية ضخمة قامت على اكتافها حضارة الغرب التي يتشدقون بها الآن.
–يقول عبد الرحمن ابن الإمام ابي حاتم الرزاي «ربما كان يأكل وأقرأ عليه ويمشي وأقرأ عليه ويدخل الخلاء وأقرأ عليه ويدخل البيت في طلب شيء وأقرأ عليه».
فكانت ثمرة هذا المجهود كتاب الجرح والتعديل في تسعة مجلدات وكتاب التفسير في مجلدات عدة وكتاب السند في ألف جزء.
–وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله يقول:«أثقل الساعات عليّ ساعة آكل فيها» يقصد أن وقت الاكل مضيعة من طلب العلم.
–وقيل للشعبي من أين لك هذا العلم كله قال بنفي الاعتماد والسير في البلاد وصبر كصبر الحمار وبكور كبكور الغراب.
– وجاء في ترجمة المجد للغير صاحب القاموس المحيط أنه قرأ صحيح مسلم في ثلاثة أيام بدمشق.
–وهذا يحيى بن معين خلف له ابوه ألف الف درهم فأنفقها كلها على تحصيل الحديث حتى لم يتبق له نعل يلبسه.
وكان محمد بن الحسن الشيباني– رحمه الله – تلميذ الإمام ابو حنيفة لا ينام الليل يحصل العلم وكان عنده الماء يزيل نومه به وكان يقول:
ان النوم من الحرارة فلابد من دفعه بالماء البارد.
قال أبو ذر «كان أحمد ابن حنبل يحفظ ألف ألف حديث فقيل له مايدريك قال ذاكرته واخذت عليه الابواب.
وقال سليمان بن شعبة «كتبوا عن أبي داود أربعين ألف حديث وليس معه كتاب وكان الإمام محمد بن جرير الطبري يكتب كل يوم أربعين ورقة ظل كذلك اربعين عاما.
اي انه كتب مايقارب ٥٨٤٠٠٠ ورقة وما أُثر عنه انه اضاع دقيقة من حياته في غير الافادة والاستفادة.
وبلغ الإمام ابو الوفاء على بن عقيل الحنبلي البغدادي– الذي يقول فيه ابن تيمية انه من أذكياء العالم– في محافظته على الزمان مبلغا اثمر اكبر كتاب عرف في الدنيا لعالم وهو كتاب الفنون في ثمانمئة مجلد (٨٠٠مجلد).
وهذا هو الامام ابن الجوزي يقول
كتبت باصبعي هاتين ألفي مجلد وتاب على يدي مئة الف واسلم على يدي عشرون ألف يهودي ونصراني.
انها همم لم تعرف الشيب ذاك لانها ذاقت طعم الايمان.

المصادر:

١– فضل العلم – محمد بن سعيد بن رسلان– دار العلوم الإسلامية
٢– الاخلاص – حسين العوايشة – المكتبة الاسلامية
٣–صحيح الترغيب والترهيب –للحافظ المنذري تحقيق الالباني –المكتب الاسلامي
٤– ذم الجهل وبيان قبح اثره –محمد بن سعيد بن رسلان –دار العلوم الاسلامية
٥–صحيح مسلم –الامام مسلم – طبعة دار الريان
٦–الفوائد –لابن القيم

رؤية معاصرة في الطب النبوي

أعداد الدكتور / عبد الفتاح محمد العيسوي

اشار القرآن الكريم في آيات عدة الى انواع الطيبات ومنها لحوم الأنعام وصيد البحر واللبن، ومنها النباتات الزيتون والرمان والنخيل والطلع والعنب ولم يقتصر القرآن الكريم على تحريم الخبائث، بل ذهب الى توجيه الناس الى الاغذية التي تنفع ابدانهم وتحفظ عليهم صحتهم، يقول الحق تبارك وتعالى:﴿ يايها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون. إنما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغيرالله به﴾[البقرة/١٧٢و١٧٣].

وكذلك اشارت الاحاديث النبوية الشريفة الى منافع هذه الطيبات وفوائدها.

وورد في الصحيحين من حديث ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال:« عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء الا السام» والسام هو الموت.

ولقد جاء عن الحبة السوداء في كتب بعض الاطباء المسلمين وغيرهم أنهم استخدموها في علاج كثير من الامراض ومنهم على سبيل المثال ابن البيطار، والملك المظفر يوسف بن عمر بن علي «رسول الغساني التركماني» اعظم ملوك الدولة الرسولية التي حكمت اليمن من٦٢٦هـ الى ٨٠٣ هـ وكذلك ابن جزله البغدادي، وداود الانطاكي، واحمد بن الجزار القيرواني، وابن قيم الجوزية.

ويطلق الشيخ الرئيس ابن سينا على الحبة السوداء اسم الشونيز وهو حريف مقطع للبلغم ويحلل الأورام البلغمية والرياح والنفخ وتنقيته بالغة، ويقطع الثآليل المنكوسة والبثور والخيلان والبهق والبرص والجرب المتقرح، وينفع من الزكام والامراض الصدرية والصداع النصفي والأرق والاوجاع المزمنة في الرأس، ويزيل وجع الاسنان، ويقتل الديدان، ويدر الطمث والبول واللبن، ويسقط المشيمة، ويساعد في عملية الولادة، وينفع في امراض الكلى والمثانة، ومفيد في حالات الاسترخاء والضعف، ويستخدم في حالات الاستسقاء وصلابة الطحال ويعالج البواسير، ولدغة العقرب وعضة الكلب، ويفيد في طرد الهوام ويعالج انواع الملاريا التي التي تسمىFerer Tertian يذيب الحصاة التي تكون في الكليتين والمثانة، كما يصنع منه المراهم التي تعالج الامراض الجلدية، و يفيد في علاج الأذن وماء العين.

هذا اهم ماورد في الكتب الطبية القديمة عن الحبة السوداء، وقد ورد في القرآن الكريم من اسماء النباتات مايزيد على العشرين كما ورد في الاحاديث والسيرة النبوية المطهرة من اسماء عقاقير ونباتات مايقرب الستين، لهذه النباتات أهمية بالغة في علاج الكثير من الامراض، ثم جاء في اعلان المؤتمرات الصيدلية الحديثة مايؤكد ان استعمال الكيمياويات التحضيرية في العلاج على مدى سنوات طويلة خلّف الكثير من الامراض كالسرطان وتأسيسا على ذلك اعلنت منظمة الصحة العالمية ضرورة العودة الى العلاج بالحشائش والاعشاب الطبية والحد من تداول الكيماويات المصنعة الا في أضيق الحدود.

ولقد ظهرت في دول اوروبا وامريكا وروسيا مستشفيات لاقت رواجا واثبتت نجاحها بسبب اعتمادها على العلاج بالاعشاب، وكذلك ينتشر هذا العلاج في دول مثل رومانيا واوروبا الشرقية بشكل واسع.

ولاشك في ان تلك الدول قد اخذت باسباب العلم وتقنياته الحديثة وطوعتها فيما يخدم مواطنيها ويحفظ عليهم صحتهم، وهذا الاتجاه العلمي هو مايجب ان نحذو حذوه في المواد والنباتات التي وردت في الكتاب والسنة حتى يكون استخدامها على اساس علمي مدروس يجنبا الاعراض عن أي نبات طبي، طالما ان هناك اجهزة لقياس كمية الدواء في الدم بحيث تستطيع ضبط الجرعة، ولما كان البلح قد ورد في القرآن الكريم والحبة السوداء قد وردت في السنة النبوية المطهرة، يود الباحث ان يكشف النقاب عن فوائدهما واثارهما العلاجية على اعضاء الجسم واجهزته المختلفة.

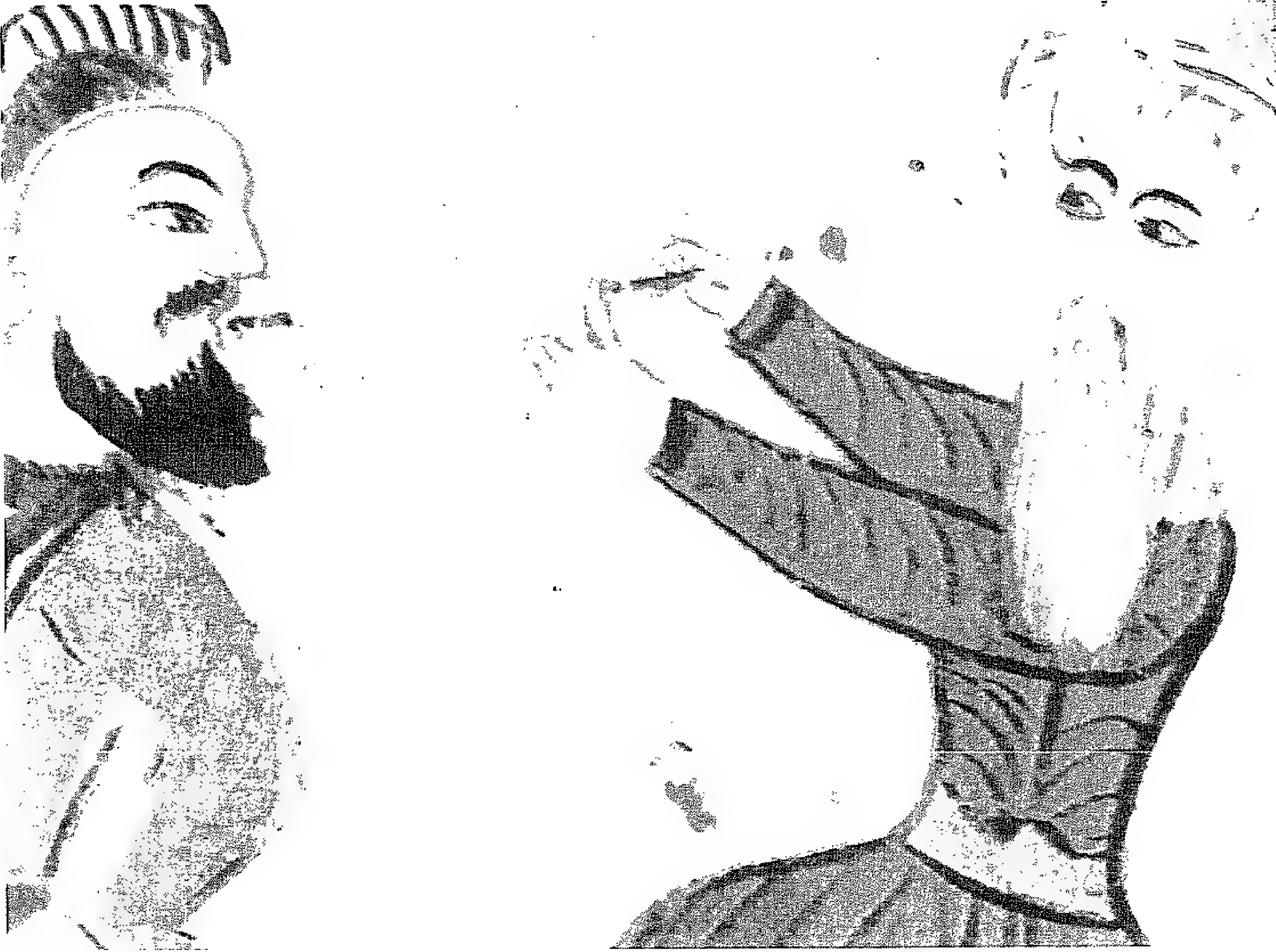
الآثار العلاجية للحبة السوداء «حبة البركة»:

١- آثارها على الجهاز التنفسي:

لقد دلت التجارب على ان البيجيللون المستخلص من حبة البركة تحمي من انقباض الشعب الهوائية الذي يحدث نتيجة لمادة الهستامين، كما انه واق من حساسية الصدر «الربو الشعبي» والنوبات والزكام ونزلات البرد والعطاس المتكرر «حساسية الأنف».

٢-آثارها على الجهاز المناعي:

اكدت الدراسات التي اجريت في مكة المكرمة ان تناول حبة البركة يقوي الجهاز المناعي ويحسن نشاطه الوظيفي وبناء على ذلك يمكن ان تلعب حبة البركة دورا مهماً في علاج السرطان والأيدز ،وبعض الظروف المرضية الاخرى التي ترتبط بنقص المناعة



ورد في القرآن الكريم من اسماء النباتات مايزيد على العشرين كما ورد في الاحاديث والسيرة النبوية المطهرة من اسماء عقاقير ونباتات مايقرب الستين

مثلها مثل الثوم وعسل النحل والبلح.

٣-آثارها على ديدان البطن:

لقد فطن اطباء المسلمين الى قيمة حبة البركة في قتل ديدان البطن كما اظهرت الدراسات التجريبية الحديثة تأثير زيتها القاتل لانواع الديدان المختلفة حيث يسبب شللا للديدان الارضية والشريطية والخطافية، بل يقلتها في زمن اقل مما يحدثه دواء البيرازين فضلا عن انه يقلل عدد البويضات بعد العلاج دون أي آثار جانبية، كما اسفرت التجارب على ان المستخلص الكحولي لزيت حبة البركة يعالج ديدان الهينمولييس نانا وطفيل الجيارديا ومعروف ان هذا الطفيل يصيب الاطفال والكبار ويسبب آلاماً في البطن واسهالاً حاداً وخصوصاً عند الاطفال، كما يؤثر على عملية امتصاص الغذاء في الاثنى عشر مما يؤثر على نمو الاطفال.

هذا ولزيت حبة البركة آثار وقائية من العدوى بالجيارديا نتيجة لتأثيره المنشط للجهاز المناعي كما انه له تأثير على جميع مراحل العدوى بالبلهارسيا وبخاصة اختراق السركاريا للجلد وهي الطور المعدي لديدان البلهارسيا علاوة على انه يقتلها بسرعة كما يقتل طفيل النوكسوبلازم المعروف على أنه أحد الاسباب لحدوث الاجهاض المتكرر عند السيدات.

٤-تأثيرها على الميكروبات والفطريات:

كشفت الدراسة الحديثة ان لزيت حبة البركة نفس تأثير البنسلين والاستربتومايسين على نمو البكتريا. ومن المدهش ان له تأثيراً على مكروب الكوليرا يفوق تأثير الاستربتومايسين، كما أنه يوقف نمو الفطريات وخصوصاً فطر الاسبرجيليس وهو احد الاسباب لحساسية الصدر والالتهابات الشعبية الرئوية كما وجد انه يقتل انواع البكتريا التي تصيب الجهاز التنفسي العلوي والجهاز الهضمي والبولي، ويفيد أيضا في علاج الالتهابات الموضعية والأذن الخارجية والتهاب الجيوب الانفية المزمنة.

٥- تأثيرها على افراز اللبن:

اوضحت البحوث الحديثة ان حبة البركة تدرّ اللبن والطمث والبول فضلا عن انها تزيد من حجم انسجة الثدي للامهات المرضعات، حيث كانت النتائج شبيهة بالتغيرات التي احدثها هرمون الاستروجين مع ملاحظة عدم وجود التأثيرات الانثوية الاخرى التي يحدثها هرمون الاستروجين.

٦-تأثيرها على الكبد والمرارة:

بينت التجارب ان زيت حبة البركة له تأثير على افراز مادة الصفراء من الكبد ودفعها عبر القنوات المرارية، وان مسحوقها يساهم في خفض السكر في الدم.

٧-تأثيرها على الاورام:

اشارت البحوث الى ان حبة البركة تخفّض نسبة الإصابة بسرطان الجلد بمقدار٣٣٪ والاورام لانها تعمل من خلال تأثيرها على مستوى الاحماض النووية، وانها افضل من العلاج الكيماوي الذي يسبب تثبيطا لنخاع العظام وبالتالي ينخفض عدد كريات الدم الحمراء والهميوغلوبين في الدم، بل ان حبة البركة تنمع التأثيرات الجانبية للعلاج الكيماوي.

٨-تأثيرها على الجهاز التناسلي عند الرجل والمرأة:

اسفرت التجارب ان حبة البركة لها تأثير على منع الحمل عند

الإناث اذا اعطيت الحبة قبل الجماع، كما يمكن ان تعالج القذف السريع، علاوة على ذلك من الممكن ان يستخدمها الرجال في عملية الحمل دون ان يؤثر على خصوبتهم اوقدرتهم الجنسية وكذا يستخدم زيتها في شكل جيل CEL كوسيلة موضعية لتنظيم او منع الحمل عند الاناث حيث يزيد الزيت من حركة الرحم نتيجة تأثيره على العضلات اللاارادية في الرحم، لأن مادة الاراكيدونيكس الذي يسمى احيانا ارشيدك، هذا الحمض هو المادة التي تتكون منها بروستاجلاندينات الذي يسبب انقباضات الرحم في اثناء الولادة، وهنا يمكن ان يحدث اجهاض للحمل، لذا يجب الحذر عند استعماله.

وفي دراسات اخرى على تأثير حبة البركة ومشتقاتها تلاحظ انها تخفّض من حمض البوليك الذي يسبب مرض النقرس زد على ذلك زيتها يزيل التهابات المفاصل واذا استعمل كمرهم يدهن به فإنه يزيل الآم المفاصل، كما انه يخفّض ضغط الدم، وهو ايضا مضاد لتقلص العضلات الملساء اللاارادية، ومسحوق حبة البركة يزيد من سيولة الدم لاحتوائه على مادتين من الكوماريبات وهي مجموعة دوائية من اصل نباتي تمنع فيتامين «ك» من تكوين عناصر التجلط في الكبد وهاتان المادتان هما اسكوبوليتين وأمبيليفيرون ولهذا السبب فإنه مفيد في بعض الحالات لمرضى الجلطات الدموية وبخاصة التي تحدث في الاوعية او في القلب اوالصمامات، ولكنه يحتاج الى ضبط دقيق في تعاطي الجرعة حتى لايحدث نزيف عند مرضى الكبد الذين يعانون من نقص عوامل التجلط كالهيموفيليا او الصفائح الدموية او مرض السرطان.

مما سبق يتضح لنا فوائد حبة البركة في علاج الكثير من الامراض باستثناء تأثيرها على انقباضات الرحم، وتجلط الدم وحدوث نزيف، وكذا تأثيرها السام على انزيمات الكبد والكلى.

هذا مالحبة البركة وماعليها وعلينا ان نستخدمها فيما يفيد ونتجنبها فيما يضر ويمتد بناء الحديث الى طيبات اخرى من الاطعمة خلقها الله لنا لتكون غذاء ودواء وهو البلح يقول الله تعالى:﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾[الأعراف/١٦٠]. والبلح على انواع كثيرة فمنه البلح الجاف ونصف الجاف والطري وقد تؤكل كلها رطبة ويستعمل في المربيات، وللبلح قيمة غذائية عظيمة فضلا عن انه من خير الفواكة من الناحية الصحية فهو يحتوى على درجة كبيرة من السكر، الصالح لغذاء خلايا الجسم «غلوكون» ويولد في الجسم الحرارة وغني بالحديد وبه كمية كبيرة من الدهون والبروتين، وقد وجد ان كمية من البلح تضارع في قيمتها الغذائية ضعف ماالأنواع اللحوم من قيمة وثلاثة امثال ماللسمك من قيمة غذائية ويحتوي البلح على النسب المئوية التالية من العناصر المختلفة.

-كوبرهيدرات ٧٠,٦ الى ٧٨٪

-ماء١٣,٨

-بروتين١,٩الى٢٪

-فيتامينات واملاح معدنية١,٢٪

دهون ٢,٥٪ الى ٣٪

-الياف ١٠٪

والبلح يعتبر اغنى انواع الفاكهة بالسكريات الطبيعية ويمكن أن يخزن دون ان تستطيع الجراثيم ان تتكاثر فيه وتفسده، علاوة على ان سكرياته يمتصها الجسم بسرعة وسلهة التمثيل في الجسم، فالتمر يمد الجسم بطاقة قدرها ٣٤٧٠ سعرة حرارية لكل واحد كيلو غرام وذلك اثر تناوله بوقت قصير، كما ان البروتينات والمواد الدهنية الموجودة فيه تزيد عن جميع الفواكة اما الفيتامنات التي يحتويها هي أ،د،ب١،ب٢، والبلح يسمى احيانا بالنجم لكثرة احتوائه على العناصر المعدنية فمئة غرام من البلح تحتوي من ٤٠ الى ٧٢ملغم فوسفور، ومن٦٥-٧١ملغم من الكالسيوم، ١٥٠ملغم ماغنسيوم و٢ الى ٤ملغم حديد و٩ملغم صوديوم، ٧٩٠ملغم بوتاسيوم، و٦٥ ملغم كبريت، و٢٨ ملغم كلورين، و٣ملغم ومن هنا تلاحظ ان البلح غني بعنصر الفوسفور اللازم لتكون العظام والاسنان والانسجة العصبية ونمو الذكاء والماغنسيوم لازم للعضلات الارادية وللوقاية من الاصابة بالسرطان.

والبوتاسيوم ضروري لوظائف خلايا الجسم المختلفة، الا انه يجب الحذر في استخدامه في حال مرض الفشل الكلوي لوجود هذه الكمية من البوتاسيوم.

زد على ذلك ان البلح يحتوي على مادة تنبه تقلصات الرحم وتزيد من عملية انقباضه وخصوصاً في اثناء الولادة، ومن هنا نفهم الحكمة القرآنية في الآية الكريمة﴿وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا. فكلي واشربي وقري عينا﴾مريم/٢٥-٢٦] هذا وقد استخدم مسحوق نوى البلح في علاج النقرس لاحتوائه على نسبة عالية من المواد القلوية التي تساعد على إفراز حمض البوريك.

وصدق الله العظم القائل ﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾[النحل ١١، وقوله ﴿وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾[الاسراء/٨٢]. ■

المراجع:

١-عبد الرحمن النجار، اسرار جديدة في حبة البركة، دار اخبار اليوم القاهرة العدد ١٧٨/١٩٩٧.

٢-ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، تحقيق عبد المعطي أمين، دار التراث القاهرة ١٩٨٠.

٣-ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، طبعة بولاق، القاهرة ١٢٩١.

٤-ابن سينا، القانون في الطب، دار صادر، بيروت، لبنان، من دون تاريخ.

٥-عبد الفتاح محمد العيسوي، تاريخ الطب النفسي عند العلماء المسلمين، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

٦- علي محمود عويضة، المعجم الطبي، الصيدلي الحديث، دار الفكر العربي، ١٩٧٠م.

٧-محمد عبد الحميد البوشي، الاسلام والطب، دار القلم، القاهرة ١٩٦٥.

الإعلام الإسلامي وهوية المجتمع

بقلم: عادل الأنصاري

الإعلام في الأساس إفراز للمجتمع الذي يعيش فيه ويخرج منه وانعكاس لرؤيته الحضارية ونظرته إلى الكون وفلسفته في الحياة.

إلا أننا لانستطيع أن نسلّم بهذا المعنى دون أن نضع له الضوابط والمحددات اللازمة التي تضعه في إطاره وتدفع إلى فهمه بصورة موضوعية.

فإذا كنا نقول: إن الإعلام إفراز للمجتمع فهناك حالات يخرج فيها عن هذه الصورة ليعبّر عن واقع مختلف عن المجتمع الذي يخرج منه.

فربما يتناقض نوع من الإعلام في المجتمع الذي يعيش فيه لمحاولته التبشير بفكر أو أيديولوجية أو نسق قيمي مختلف، وهو في هذه الحال يبذل جهده للتأثير في المحيط الجماهيري الذي يتوجه إليه، وربما يتجه في عملية التأثير هذه فيتمكن من خلق دائرة جماهيرية تتجاوب مع رؤاه الفكرية أو نسقه القيمي أو أيديولوجيته، في هذه الحال يسعى هذا النوع من الإعلام إلى توسيع هذه الدائرة وربما يستهدف على المدى البعيد أن يجعل هذه الدائرة هي الرئيسة في المجتمع ككل وبذلك تتغير الخلفية الثقافية والمعلوماتية لدى المجتمع لتكون مواتية ومتجاوبة مع كل رؤى الإعلام المغاير ونسقه القيمي.

وبذلك ينتقل هذا النوع من الإعلام من مرحلة التناقض مع المجتمع إلى مرحلة التعبير عنه وعكس رؤيته الحضارية التي هي في الأساس رؤية الإعلام الذي تمكّن من التأثير في المجتمع.

نخلص من هذا الى أن هناك شكلين من الإعلام:

الأول: مجتمعي يعبر عن المجتمع الذي يخرج منه وينسجم مع قيمه وعاداته وتقاليده ورؤاه الفكرية وهو بذلك إفراز طبيعي للبيئة التي يخرج منها.

الثاني: مغاير للمجتمع ويسعى إلى صياغته وفقا لرؤى ونسق قيمي خاص به وربما يتحول بعد ذلك إلى إعلام من النوع الأول على المدى البعيد.

وإذا أردنا أن نسقط هذه المعاني على واقعنا المعاصر نجد أن هناك أنواعا متعددة من الإعلام تندرج تحت هذين الشكلين نذكر منها:

- الإعلام الليبرالي في الغرب: ويعد انعكاسا لرؤية المجتمع الغربي وحضارته وتركيبته الفكرية والأخلاقية.

- الإعلام الاشتراكي في المجتمعات الاشتراكية: وقد كان موجودا في المجتمعات التي كانت تؤمن بذلك، والنماذج منه مازالت موجودة في الصين على وجه الخصوص وهذا النوع من الإعلام لم يمر بمرحلة «المغايرة للمجتمع» إنما وصل سريعا إلى صورة الإعلام الأيديولوجي الذي يعبر عن مجتمع اشتراكي تحول إلى الاشتراكية بقرار سياسي أو انقلاب عسكري ولذلك فهو لم يصمد كثيرا لأنه لم يحصل على الحماية أو الشرعية من المجتمع.

الإعلام الدكتاتوري: وهو لايدخل في إطار الإعلام الذي يعكس رؤية المجتمع إنما يعكس رؤى وأفكاراً وتوجهات المجموعة الحاكمة وفي الوقت نفسه يجفف منابع أي إعلام مجتمعي أو مغاير بهدف الانفراد بتوصيل المعلومات والأفكار والتوجهات إلى القاعدة الجماهيرية للتأثير عليها وتشكيل عقليتها بالصورة المطلوبة، وهذا النوع تحديدا الذي قصده القرآن الكريم في قوله تعالى على لسان فرعون: (ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) الآية ٢٩ ـ غافر، فالمجتمع لا يرى إلا من الزاوية التي تعبر عن الرؤية الخاصة للمجموعة الحاكمة أو الفرد الحاكم.

الإعلام الليبرالي في البلدان العربية والإسلامية: وهو وإن كان يصنف تحت الإعلام المجتمعي الذي يعبر عن مجتمعه إلا أن هذا المعنى ينسجم مع المجتمع الليبرالي نفسه «الغرب» أما إذا أراد هذا النوع من الإعلام أن يخرج عن مجتمعه إلى مجتمع آخر يحمل تصورات وقيماً وأفكاراً مختلفة فإنه يتحول في هذه الحال إلى إعلام مغاير، وهذه الصورة التي دخل بها الإعلام الليبرالي الغربي إلى البلدان والمجتمعات العربية والإسلامية واستطاع أن يكوّن من حوله ـ بالتعاون مع روافد التأثير الأخرى كالتعليم والقوة العسكرية ـ بؤرة جماهيرية ضيقة تدور حوله ثم أخذ في توسيع هذه البؤرة إلى أن أصبحت الآن تنازع في كثير من بلداننا العربية والإسلامية الثقافة الأصيلة للمجتمع ورؤاه ونسقه القيمي، وأصبح لها نسبة وفيرة من التابعين، وحسب هذه المكاسب للإعلام الليبرالي في مجتمعاتنا استطاع أن يصبغ إعلامنا المحلي بصورة مناقضة لأصول المجتمع، وهو يسعى جاهدا لأن يصبغ المجتمع ككل بأفكاره وقيمه، ليكون الإعلام جملة وتفصيلا ليبراليا يعبر عن مجتمع ليبرالي.

- الإعلام الإسلامي: يأتي الإعلام الإسلامي بعد أن كان أصيلاً في المجتمعات العربية والإسلامية لينحدر إلى درجة أنه تحول إلى إعلام «مغاير» يسعى لتكوين بؤرة جماهيرية من حوله ويحاول التوسع فيها على حساب معدلات النمو المتزايدة للإعلام الليبرالي في مجتمعاتنا.

وصعوبة الدور الذي يضطلع به الإعلام الإسلامي ليس نابعاً من كونه إعلاماً مغايراً يسعى إلى التأثير في المجتمع وتوسيع دائرته فقط، إنما لوجود إعلام مغاير آخر «ليبرالي» يسعى جهده في المجتمعات المسلمة.

ولأن الصراع غير متكافىء من النواحي المادية والبشرية والتقنية وكذلك السياسة تظهر التحديات أمام هذا النوع من الإعلام لتمنعه من تحقيق هدفه التأثير في المجتمع والتحول إلى إعلام «مجتمعي» يعكس توجهات المجتمع وقيمه، على نحو صحيح. ■

حديقة الوعي

إعــداد/ احمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

(فمال الذين كفـروا قِبلك مهطعين. عن اليمين وعن الشمال عزين. أيطمع كل امرىء منهم أن يُدخل جنـة نعيم. كـلا إنـا خلقناهم ممـا يعلمون). (المعارج: ٣٦ ـ ٣٩).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعـالى فرض فـرائض فـلا تضيعـوهـا، وحـد حـدوداً فـلا تعتـدوهـا، وحـرم أشيـاء فـلا تنتهكـوهـا، وسكت عن أشيـاء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها».

حديث حسن رواه الدارقطني وأخرجه الحاكم والبيهقي

مواساة المؤمنين

مـواسـاة المؤمنين أنـواع: مـواسـاة بـالمال، ومواساة بالجاه، ومواسـاة بالبدن والخدمة، ومـواساة بـالنصيحة والإرشـاد، ومواسـاة بـالتوجـع لهم، «وعلى قدر إيمان المرء تكـون مواساته لأخيه».

سبحان الله

أخرج أبـو القاسم علي بن محمـد بن عبدوس الكافي في كتـاب «التسلي عن الدنيـا» قال: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

الخلافة بعدي ثلاثون ثم يكون الملك، قال: وجدت في بعض التواريخ ما يلي:

ـ أيـام أبي بكر ٣ سنـوات و٣ أشهر و٨ أيام، وأيـام عمر ١٠ سنـوات و٦ أشهر و١٨ يوماً، وأيام عثمان ١١ سنة و١١ شهراً و٢٣ يوماً، وأيام علي أربع سنوات وسبعة أشهر ويوم واحد، وأيام الحسن ٥ أشهر و١٠ أيام، قـال فجمعت ذلك كله فكانت ثلاثين سنة لا تزيد يوماً واحداً ولا تنقص يوماً، سبحان الله ولا إله إلا الله محمد رسول الله.

علامات المتقين

يصف الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه المتقين بقوله: فمن علامة أحدهم أنك تـرى لـه قـوة في دين، وحـزمـاً في لين، وإيماناً في يقين، وطلباً في حـلال ونشاطاً في هدى وتحرجاً في طمـع، قرة عينه فيما لا يـزول، وزهادتـه فيما لا يبقى، الخير منـه مأمول، والشر منـه مأمون، يعفـو عمن ظلمـه، ويعطي من حرمـه، ويصل من قطعـه، بعيداً فحشـه، غائبـاً منكره، حاضراً معروفه، مقبلاً خيره، مدبراً شره، في الزلـل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، يعترف بـالحق قبل أن يشهد عليـه، ولا ينابز بـالألقاب، ولا يضار بالجار، ولا يشمت بالمصائب، ولا يـدخل في البـاطل، ولا يخرج من الحق، ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخدعة.

وقائع وأيام

يوم «عراعر»

يـوم لعبس على كلب وذبيـان وفيـه قتل مسعود بن مصاد الكلبي وكان شريفاً.

يوم الفَروق:

غدر بنو سعد بجوارهم، فأتوا معاوية بن الجون، فـاستجـاشـوا عليهم، وأرادوا أكلهم، فبلغ ذلك بنـو عبس، ففروا ليـلاً، وقـدمـوا ظعنهم، ووقـف فـرسـانهم، بموضـع يقال لـه الفروق، وأغـارت بنو سعـد، ومن معهم من جنـود الملك على محطتهم، فلم يجدوا إلا مـواقـد النيران فاتبعوهم حتى أتوا الفروق، فإذا بالخيل والفـرسـان، وقـد تـوارت الظعن عنهم، فانصرفوا عنهم.

ومضى بنـو عبس، فنـزلوا ببني ضبـة، فأقامـوا فيهم، وكان بنو جـذيمة من بني عبس يسمون بني رواحـة، وبنو بدر بن فزارة يسمون بني سـودة، ثم رجعوا إلى قومهم فصالحوهم.

وكان أول من سعى في الحمالة حرملة بن الأشعر بن صرمـة بن مرة، فمات، فسعى فيها ـ هاشم بن حرملة ـ ابنه.

وهكذا كـان يوم الفـروق بين عبس وبني سعد بن زيد مناة، قاتلوهم فمنعت عبس أنفسها وحريمها، وخابت غارة بني سعد، وقيل لقيس بن زهير ـ ويقـال عنترة ـ كم كنتم يوم الفروق؟

العدل والسلطان

خطب سعيد بن سويـد في حمص فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إن للإسلام حائطاً منيعاً وباباً وثيقاً فحائط الإسـلام الحق وبابه العدل ولا يزال الإسـلام منيعاً مـا اشتد السلطـان، وليست شدة السلطـان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بـالسوط، ولكن قضاء بالحق، وأخذاً بالعدل.

الأيام ثلاثة

قال بعض الحكماء: الأيام ثلاثة فأمس صديق مؤدب، أبقى لك عظة وترك فيك عبرة، واليوم صديق مودع أتاك ولم تأته وكان عنك طويل الغيبة، وهو عنك سريع الظعن «الارتحال» فخذ لنفسك فيه، وغداً لا تدري ما يحدث الله فيه، أمن أهله أنت أم لا؟

عافية

قال والد لولده: يا بني إذا مر بك يوم وليلة وقد سلم فيها دينك وجسمك ومالك، فأكثر الشكر لله تعالى، فكم من مسلوب دينه، ومنزوع ملكه، ومهتوك ستره، ومقصوم ظهره في ذلك اليوم وأنت في عافية.

دهاء القائد

قال معاوية: إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبداً، فقيل له: كيف ذلك؟

قال: كنت إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها، ومن حكم معاوية أيضاً «لا تكن ليناً فتعصر، ولا يابساً فتكسر».

احذر لسانك

قال أبو الدرداء:

أنصف أذنيك من فمك، فإنما جُعل لك أذنان اثنتان وفم واحد لتسمع أكثر مما تقول.

لغويات

الفرق بين الأهل والآل أن الأهل يكون من جهة النسب «كقولك أهل الرجل لأقاربه المقربين» ومن جهة الاختصاص «كقولك: أهل مصر، وأهل العالم»، والآل هم خاصة الرجل من جهة قرابته أو الصحبة تقول: «آل محمد» لأهله وأصحابه ولا تقول «آل الكويت» و«آل العلم» وقالوا: آل فرعون: أتباعه، وكذلك آل لوط، وقال المبرد: إذا صغرت العرب الآل قالت أهل فيدل على أن أصل الآل: الأهل وقال بعضهم: الآل عمد الخيمة، وشبه بذلك آل الرجل لأنه يعتمد عليهم.

«النفر» مأخوذة من الفعل «نفر» بمعنى: هب للقتال وما أشبهه، وتطلق كلمة «النفر» على الجماعة نحو العشرة من الرجال، وبخاصة من ينفرون لقتال أو غيره، أما كلمة «الرهط» فتدل على الجماعة نحو العشرة، ممن يرجعون إلى أب واحد.

علامات السعادة والشقاء

كان ذو النون المصري يقول: علامة السعادة للمرء ثلاث: متى ما زيد في عمره نقص من حرصه، ومتى ما زيد في ماله زيد في سخائه، ومتى ما زيد في قدره زيد في تواضعه. وعلامات الشقاء ثلاث: متى ما زيد في عمره زيد في حرصه، ومتى ما زيد في ماله زيد في بخله، ومتى ما زيد في قدره زيد في تجبره وتكبره.

شهادة

قال الشعبي كنت جالساً عند شريح إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها وهو غائب، وتبكي بكاء شديداً، فقلت: أصلحك الله، ما أراها إلا مظلومة!

قال: وما علمك!

قلت: لبكائها.

قال: لا تفعل، فإن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون وهم له ظالمون. وكان الحسن بن الحسن لا يرد شهادة مسلم، إلا أن يجرحه المشهود عليه، فأقبل إليه رجل، فقال: يا أبا سعيد، إن إياساً رد شهادتي.

فقام معه الحسن إليه، فقال: يا أبا وائلة، لم رددت شهادة هذا المسلم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، فهو المسلم، له ما لنا، وعليه ما علينا»؟

فقال: يا أبا سعيد، إن الله يقول «ممن ترضون من الشهداء» وهذا لا يرضي.

الجبل والحصاة

لا تحقر شيئاً أبداً لصغر جثته، ولا تستصغر قدره لقلة ثمنه، واعلم أن الجبل ليس بأدل على الله من الحصاة، ولا الفلك المشتمل على عالمنا هذا بأدل على الله من بدن الإنسان، وإن صغير ذلك ودقيقه كعظيمه وجليله، ولم تفترق الأمور في حقائقها وإنما افترق المفكرون فيها.

من كتاب الجاحظ «الحيوان»

في القلب شعث

قال ابن القيم: في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه.

حكم وأمثال

الأرض الفتية: تنتج كذلك أعشاباً ضارة!

الإنسان: طفل يولد عند منتصف الليل وعندما يرى الشمس يحسب أن الأمس لم يوجد قط!

السأم: نبتة سوء ولكنه كذلك سنبلة تهضم الكثير من الأشياء!!

كل نعمة محسود عليها إلا التواضع

عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان

عدالة

دخل الأشعث بن قيس على شريح القاضي في مجلس الحكومة، فقال مرحباً وأهلاً بشيخنا وسيدنا وأجلسه معه.

فبينما هو جالس عنده، إذ دخل رجل يتظلم من الأشعث، فقال له شريح: قم فاجلس مجلس الخصم وكلم صاحبك.

قال: بل أكلمه من مجلسي.

فقال له: لتقومن أو لآمرن من يقيمك.

فقال له الأشعث: لشد ما ارتفعت.

قال: فهل رأيت ذلك ضرك؟

قال: لا

قال: فأراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك.

اقتصاد اسلامي

مرجعية هيئة الفتوى والرقابة الشرعية في المؤسسات المالية الإسلامية في دولة الكويت

بقلم: ا.د. احمد الحجي الكردي

قال الله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾ [الكهف/٤٦].
والمال والبنون هما اهم وسائل الانتاج، وقد عني الاسلام بهما مجتمعين ومفترقين اشد العناية.
أما المال فقد نظّم الاسلام موارده ومصارفه، وقد ورد في القرآن الكريم اكثر من تسعين آية في ذلك، بيّنت اهميته في حياة الأمة والأفراد، وبيّنت وظيفته في المجتمع، وانه مال الله تعالى، ولايجوز التصرف فيه إلا وفق نظامه. وقد بيّن التشريع الإسلامي ان موارد المال اربعة هي: إحراز المباحات، والعقود الناقلة للملكية، والتولد من المملوك، والخلفية.
وأما البنون فقد ذكر القرآن الكريم حقوقهم وواجباتهم، آباء وأمهات وأبناء وإخوة وأزواجا وزوجات، وغير ذلك، سواء من النواحي المعنوية او النفسية او الاجتماعية، كصلة الرحم، وبر الوالدين، وحقوق الجوار.. او من النواحي المادية كالزكاة، والخراج، والعشور، والنفقات، وغيرها، وذلك كله بعد ماذكّر بكرامتهم واخوتهم بعضهم لبعض، وحضّ على حسن اختيار أمهم والاهتمام بتربيتهم. ثم ان الاسلام نظّم العلاقة بين المال والبنين، وأقامها على اسس عادلة تتضمن الانتاجية الجيدة والعدالة الحقة، فمنع الغش، والتدليس، ومنع الربا، والغرر، والقمار، وكل أكل لمال الناس بالباطل، وشرع البيع، والشركة، والمضاربة، والإجارة، والإعارة... وكل تجارة عن تراض، وضبط ذلك كله بضوابط تضمن للجميع العدالة والانتاجية.
وبذلك التنظيم الدقيق يكون الإسلام قد ضمن للحضارة الإنسانية استمرارها ورقيها وتقدمها، معنويا وماديا، على افضل مايمكن، وبأيسر الطرق وأقصرها للوصول الى التقدم مع المحافظة على الحق والعدالة.
ولما كانت هذه النظم وهذه الترتيبات وهذه المبادىء وهذه القواعد التي تقدمت الإشارة اليها في العناية بالمال والبنين وبالتالي بالعناية بتقدم الحضارة والرقي، اموراً تحتاج الى فقهاء ومختصين، يستخلصونها من القرآن والسنة، لانها تعتمد على امور فنية تحتاج الى خبرة ومهارة وتفرغ وتخصص لايستطيعه كل انسان، وجّه القرآن الكريم الأمة في ذلك نحو الفقهاء الذين أُهلّوا لذلك وتفرغوا له، فقال سبحانه﴿ فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون﴾[النحل/٤٣] وقد كان المرجع الأول والوحيد للأمة في الصدر الاول من الإسلام سيدنا ونبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان هو المفتي المخبر لهم بالحكم الشرعي، وهو القاضي المطبّق عليهم ذلك الحكم، وكان الجميع يمتثلون لفتواه وحكمه بأمر من الله تعالى، حيث قال سبحانه:﴿وماكان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[الأحزاب/ ٣٦]. وماكان احد من الصحابة ليقدم على الفتيا او القضاء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في حال وجوده، إلا انه ربما استفتي بعضهم في عهده في غيبته فأفتى بما يعلم من حكم الله تعالى عندما يكون بعيدا عن النبي صلى الله عليه وسلم كأن يكون في سفر او غزوة، إلا انه اذا عاد الى النبي صلى الله عليه وسلم سأله عما أفتى به او أفتي به، فإما ان يؤيده في ذلك او يعارضه فيه، ويكون الأمر في النهاية لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم كما حصل لبعض الصحابة عندما كانوا في سفر، والتقوا برجل لسعته عقرب، فرّقوه بالقرآن الكريم، فشفاه الله تعالى بذلك، فأعطاهم أهله عددا من الشياه على ذلك، فقال بعضهم لاتحل لنا، وقال آخرون بل تحل، ولما قدموا إلى المدينة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال للقائلين بالحِل: ﴿أصبتم أقسموا واضربوا لي معكم بسهم﴾ رواه البخاري في كتاب الطب.
ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذ ابن جبل رضي الله تعالى عنه الى اليمن قاضيا واختبره فقال: بم تقضي يامعاذ، قال بكتاب الله تعالى، قال فإن لم تجد، قال فبسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإن لم تجد، قال اجتهد رأيي. فأقرّه الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال: «الحمد الله الذي وفق رسول رسوله لما يرضي رسوله». رواه الترمذي وابو داود واحمد والدرامي.
ثم تتابع الصحابة من بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الفتيا والقضاء بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى على تحرّج منهم في ذلك لصعوبته وشدة مسؤوليته. وظهر منهم أعلام متمرسون في ذلك، منهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وغيرهم، وقد كان هؤلاء يتفقون أحيانا في الفتوى ويختلفون فيها أحيانا اخرى عندما يكون الدليل ظنيا، فإذا اتفقوا أمضوا مااتفقوا عليه، وان اختلفوا أمضى كل منهم ماغلب على ظنه أنه الحكم الشرعي الصحيح، وماكانت هذه الاختلافات بينهم لتنال من تحابهم وتوادّهم وثقتهم بعضهم ببعض، وكان يعذر بعضهم بعضا في ذلك دون ان يتابعه في اجتهاده الذي لم يره هو، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المجتهد في أمر ما- هو محل للاجتهاد- مأجور أصاب فيه أم أخطأ، إلا ان أجر المصيب ضعفا أجر المخطىء مادام مؤهّلا للاجتهاد في هذا الأمر أما اذا لم يكن مؤهّلا للاجتهاد فإن اجتهاده فيه غير مشروع، والواجب عليه استفتاء غيره

فيه من العلماء واتباع مايفتيه به.
وقد عدّ سلفنا الصالح هذه الاختلافات بين العلماء في الاجتهاد المأذون به ثروة فقهية عضّوا عليها بالنواجذ، لما في ذلك من مظاهر التيسير على الناس، وقد سئل سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، فقيل له: هل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟قال نعم، قالوا: هل تتمنى انهم لم يختلفوا؟قال:لا ،لأن في اختلافهم رحمة ويسرا.

وفي القرن الثاني الهجري ومابعده قعد الفقه، ونسّقت الاجتهادات على يد مؤهّلين مختصين، تمتعوا بمستويات عليا من الحصافة والعلم بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ولغة العرب، وزينوا ذلك بالتقوى والعبادة الإخلاص لله تعالى، وظهر من خلال ذلك المذاهب الفقهية، إلا ان هذه المذاهب لم تعش كلها طويلا، بل ان بعضها نقل نقلا دقيقا إلينا الى يومنا هذا، وأُلّفت فيه مؤلفات جمعته من أطرافه بتفاصيله وفروعه وأدلّته، وعلى رأس هؤلاء المذاهب الأربعة المعروفة، وبعضها اندثر وضاع ولم يدوّن لظروف مختلفة، إلا أقوال متفرقة منه نقلت في بطون كتب المذاهب الاخرى، كمذهب الثوري، والأوزاعي، وابن شبرمة، وغيرهم. وقد بقي باب الاجتهاد مفتوحا نظريا امام العلماء المؤهّلين له عصورا متعددة بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم أما من الناحية العملية، فان المذاهب الأربعة المنتشرة بين أفراد الأمة الإسلامية على امتدادها كانت تغني المستفتين والمفتين عن أي اجتهاد، لاستكمالها الفروع والأدلة في جميع المسائل تقريبا، إلا المسائل المستجدة والمستحدثة عبر العصور المتلاحقة، وهي قليلة في الغالب، فكان العلماء المؤهلون يبحثون في هذه المسائل المستجدة وحدها، ويرون فيها رأيهم على ضوء الأدلة في القرآن والسنة، وفي أغلب الأحوال كان هؤلاء العلماء يخرجّون هذه المسائل المستجدة منضبطين بقواعد الأئمة السابقين لوجاهتها، وكانوا يضيفون هذه الاحكام الحديثة الى المذهب الذي خرجوها على قواعده، ولا يعدونها مذهبا جديدا، على ذلك بقي للمذاهب الأربعة في العالم الاسلامي مكانتها وتقديرها الكبيرين، ولم يشاركها في هذه السمعة أي مذهب آخر سوى بعض المذاهب التي لها أتباع محدودون في مواطن محددة من العالم الإسلامي، كالمذهب الزيدي، والمذهب الجعفري، والمذهب الإباضي، على سبيل المثال لا الحصر.

وقد كانت الفتوى في العصور الأولى يقوم بها أئمة مجتهدون يفتون فيها بما وصل اليه اجتهادهم من نصوص القرآن والسنة، إلا أنه مع تقدم العصور وقلة تفرغ العلماء لأمور العلم، وتدني مستوى المفتين، وندرة المجتهدين منهم، اصبح المفتون محكومين بالمذاهب المعتمدة السابقة، يفتي بها المفتي على وفق مذهب إمامه الذي يتبعه في الفقه، ولا يخرج عنه إلا في المسائل التي لم يذكرها المذهب، حيث كان يأخذها من مذهب آخر إن وجد، فإن لم يجد يجتهد فيها رأيه على قدر إمكانه.

وفي العصر الحديث كثرت المسائل الجديدة بسبب تقدم الحضارة والمخترعات، وتواصل العالم، واختلاط الشعوب بعضها مع بعض، وبالنظر لتدني حال اكثر المفتين عن مستوى الاجتهاد المطلوب، فقد نشأت لذلك فكرة الاجتهاد الجماعي، وقامت المجمعات الفقهية التي تضم نخبة ممتازة من أكابر الفقهاء بدراسة المسائل المستجدة، واقتراح الأحكام لها اجتهادا من نصوص القرآن والسنة، وتخريجا على قواعد الفقهاء، وذلك ابتعادا عن الاجتهاد الفردي في هذه الأمور، وتقليلا للاختلاف فيها، وهو منهج أنس إليه وارتضاه عامة المسلمين، وفضلوه عن الاجتهاد الفردي، لأمور كثيرة منها: التقليل من الاختلاف، وقد حبا الله كويتنا الحبيبة، ووزارة الأوقاف بخاصة بلجنة جماعية للفتوى، تضم نخبة ممتازة من فقهاء الأمة، وهي في الحقيقة مجمع فقهي ينظر في المشكلات التي يواجهها المواطنون والمقيمون في حياتهم العملية، من أمور العبادة والمعاملة وغير ذلك، وبالنظر للموضوعية التامة والخبرة الواسعة التي تتمتع بها هذه اللجنة، بدأت الاسئلة تتوجه اليها من كثير من الاقطار العربية والإسلامية الاخرى، وذلك على خلاف الكثير من البلدان الإسلامية التي لازالت الفتوى فيها فردية يقوم بها مفتٍ واحد، وهي ميزة للكويت على كثير من البلدان الأخرى.

وبالنظر الى انتشار المؤسسات المالية الكبرى في الكويت، ورغبتها في ان تكون أعمالها منضبطة بالضوابط الشرعية، فقد احتضن العديدمن هذه المؤسسات لجانا شرعية، تسددها وتوجهها، وترجع اليها في معاملاتها المالية، لتضبطها لها على وفق الأحكام الشرعية، إلا ان هذه اللجان على تخصصها ودقتها يحصل فيما بينها تغاير في الاجتهاد، وهذا التغاير كبير احيانا، وهو ان كان مأذونا به فيما هو محل الاجتهاد من الاحكام، إلا انه قد ينتج منه إرباك في المعاملات بين هذه المؤسسات، حيث تستجيز مؤسسة مالا تستجيزه أخرى، وبالعكس، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى نتج منه تخلخل في الثقة من قبل بعض المستفتين في دقة هذه اللجان، حيث يعزو بعضهم هذا الاختلاف الى الاجتهاد المأذون به شرعا، ويعزوه البعض الآخر– خطأ– إلى جهل هذه اللجان بالأحكام الشرعية وطرق استنباطها، او شذوذها، او تأثرها ببعض المصالح الخاصة، وهذا الأمر وان كان محددا وقليلا، الا انه ذو أثر بيّن والواجب تداركه وتلافيه قبل ان يستفحل.

لهذا كله فإنني ارى ان من الضرورة بمكان– حفاظا على دقة الحكم الشرعي من جهة، وعلى ثقة المواطنين والمقيمين في صلاحية هذا الحكم لمواكبة وتأمين مصالح الناس المشروعة، وعلى سمعة هذه اللجان افرادا ومجموعات في نظر العامة، من جهة أخرى– ان يقوم بين هذه اللجان المختلفة ضمن الكويت نوع تنسيق وتوحيد للفتوى فيها، ومما يساعد على تلبية هذه الرغبة ويسهلها ان عددا من علماء الكويت المشهود لهم بالعلم والتقوى هم اعضاء في العديد من هذه اللجان.

ولهذا التنسيق طرق متعددة منها:

أ– ان تكون لهذه اللجان جميعا جمعية عمومية يجتمعون جميعا فيها في كل عام مرة او مرتين، لاستعراض جميع ماعرض عليهم من استفتاءات، وماأصدروه من فتاوى، للتداول فيها وإقرارها، ثم يلتزمون جميعا بما تقره هذه الجمعية العمومية من فتاوى بالإجماع او بالأكثرية.

ب– ان تجعل هذه اللجان المتعددة لها لجنة مركزية، ترفع اليها فتاواها للنظر والبت فيها، ثم الالتزام بفتاوى هذه اللجنة المركزية، حيث تكون بمثابة محكمة الاستئناف مع المحاكم الابتدائية في القضاء.

ج– ان ينضم اعضاء هذه اللجان كلهم في لجنة واحدة تكون هي المرجع الأول والوحيد للفتوى في الكويت، وتلتزم بها المؤسسات المالية جميعا، ولاتخرج عنها. ■



العالم الإسلامي وتحديات العولمة (٣/١)

بقلم: الحسين عصمة

تمهيد

التغير والتطور سنة من سنن الله في خلقه. والانسان أرقى مخلوقات الله المكرّم بنعمة العقل، لايفتأ يتطلع نحو الجديد ومنذ خلق الله هذا الانسان على وجه البسيطة وهو يسعى الى تطوير ادواته وتحسين سبل عيشه بما يكفل له المزيد من الراحة والمتعة ماديا ومعنويا. وهكذا فلا يكاد يفتح بابا جديداً في مجال من المجالات، حتى تتراءى له من خلاله أبواب اخرى تغريه باقتحامها لاكتشاف اسرارها والانتفاع بما ورائها وأن هذه الحركة، حركة التطور المستمر وبريئة لأن المتحكم فيها هو الانسان المحكوم هو الآخر بمصالحه الذاتية التي تمليها اعتباراته الشخصية او الوطنية او الدينية او العرقية.. ومن ثم فإن حركة التطور والتغيّر لابد ان تكون حركة صراع وتدافع بين قوى تختلف اتجاهاتها وتتضارب مراميها الى هذا الحد او ذاك اذ يترجم هذا الاختلاف وهذا التضارب في اشكال عدة تتراوح بين التنافس الفكري والسياسي والتطاحن العسكري وفي تقديرينا فإن مايسمى اليوم بالعولمة ليس الا مستوى من مستويات هذا التطور الذي بلغته البشرية (١) في صراعها الطويل والمرير بين مختلف القوى الفاعلة فيها. ولاجدال في ان الغلبة في هذا المستوى من التطور هي للغرب بكل مكوناته «اوروبا، امريكيا واليابان» على حساب باقي الاتجاهات الإنسانية الاخرى وبخاصة الإسلامية منها . الامر الذي يجعل المسلمين اليوم امام تحديات مصيرية تفرض عليهم ليس فقط حماية الذات المهددة «حضاريا فكريا واقتصاديا...» ولكن ايضا ان يقتحموا عقبة المواجهة لتأكيد وجودهم الحضاري واسماع صوتهم انسجاما مع روح الإسلام الذي لايرضى بديلا عن العزة والكرامة لأهله. فما طبيعة هذه التحديات التي تثيرها مقتضيات العولمة امام المسلمين اليوم؟ وما شروط الاستجابة الإيجابية والفاعلة التي علينا كمسلمين ان نوفرها حتى تصبح تلك التحديات حوافز تثير فينا هممنا بدل ان تكون مثبطات تكرّس فينا عجزنا؟ هذا المقال محاولة لإعطاء بعض عناصر الاجابة على هذين التساؤلين العريضين. وذلك بعد القاء بعض الضوء على مفهوم العولمة والظروف التي تمخضت عنها.

١.العولمة.

(٢) مرحلة من مراحل تطور الرأسمالية

لعل العولمة هي المصطلح الذي يحتل الصدارة اليوم في التداول ليس فقط على النطاق الفكري الأكاديمي ولكن أيضا على المستوى الثقافي والإعلامي بشكل عام. بل ان العولمة باتت من مفردات الخطاب الشعبي اليومي لكل الشرائح الاجتماعية على اختلاف مستوياتها الثقافية. فما هي اذن هذه العولمة

التي شغلت النـــاس؟ كيف ظهــرت؟ ومـــا تجلياتها ومضاعفاتها؟.

تعريف العولمة

كتعـريف مبسط للعـولمة نقترح مـايلي: تمثل العـولمة هـذا التـداخل الكثيف في العـلاقـات الاقتصـاديـة والاجتماعيــة والثقـافيـة بين مختلف دول العـــالم والـــذي اصبـح من المستحيل ضبـط تأثيراتـــه والتحكم فيـــه بالاجـراءات التقليديـة كأغلاق الحدود وقطع العلاقات الديبلوماسية مثلا.

فالعلاقات الـدولية اليوم لم تعد تقتصر فقط، كما كـان عليـه الامر من قبل، على العـلاقـات التجارية.

(استيراد وتصديـر) والديبلـوماسيـة «تبادل البعثات» أي تلك العلاقات التـي كانت تقررها الـدول بكـامل ارادتها في اطــار ممـارستهـا لسيادتها على شعوبها وبلدانها.. بل اصبحت اليـــوم، بفضل التقـــدم الهائل لـــوســـائل المواصلات وتكنـولوجيـا الاتصالات تتخطى كل الحدود وتحطم كل القيود لتفـرض نفسها على كل المستـويات الحســاسة بعيـدا عن اي مراقبة من اي نوع كانت وهكذا فعلى الصعيد الاقتصادي مثـلا اصبح بإمكـان رجال المال والاعمال في أي دولة ان يتواصلوا مع نظرائهم في الـــدول الأخـــرى وان يصـــدروا لهم ويستوردوا منهم دون مغادرة بلدانهم بل عبر مكاتبهم وذلك نتيجة ماحققته تقنيات الاعلام الحديثـــة من فتـــوحـــات عظيمـــة في مجال الاتصـال. وعلى الصعيد الاجتماعي والثقـافي فإن اجهـــزة الأقمار الصنـــاعيـــة اختصرت المسـافات الشـاسعـة بين شعوب المعمـورة، وأمـــاطت اللثـــام عن الكثير من خصـــائص بلـدانها وتقـاليـدهـا فضـلا عن اوضـاعهـا السياسية وظـروفها الاقتصادية ومنـزلة كل واحدة منها داخل منظومة دول العالم.

كيف جاءت العولمة؟

كما سبقت الاشــــارة الى ذلـك، فإن ثـــورة الاتصالات هــي روح عصر العولمة وعمـودها الفقري. ولايمكـن إدراك أبعاد هـذه الثورة إلا بإدراجها في إطار أشمل هو الثورة التكنلوجية والعلميـة بشكل عـام او يسميــه تـوفلـر ب «الموجة الثـالثـة» والتي يقصـد بها نمطاً حضاريـاً جديـدا قوامـه العلم والمعـرفة(٣) ولاتمثل هـذه الموجة الثـالثة قفـزة نوعيـة في تطوير وسائل الانتـاج فقط، بل هي مرحلة جـديـدة في حيـاة الـرأسماليـة التي يحدد المختصون اطوارها في المراحل التالية(٤):

اولا: الـــرأسماليـــة التجـاريـــة «خـــلال القـرنين١٦و١٧» تميز النشـاط التجـاري فيهـا في اطار مـايسمى بـــ «الاكتشافـات الجغـرافيـة الكبرى» التـي تمكنت خـلالها القـوى الاوروبيـة من دخول بلـدان عـدة استنزفـوا خيراتها الطبيعية لصـالح بلدان اوروبا الصاعدة. فقد استوردوا «الاخشاب الثمينة والعاج والذهب من افريقيا عبر تجار المغـرب العربي واسـتـوردوا من الصين عن طـــريق الحريـــر الشهير وعبر تجار من الايرانين ومـن عرب الشام واسـتـوردوا من الهند وجنوبي آسيا عبر حضر موت واليمن ومصر(٥).

ثـانيـا: الـرأسماليـة الصنـاعيـة «خـلال القرنين١٨و١٩» خـلال هذه المرحلـة لعبت الصناعة دورا حاسما في تطوير المجتمعات الأوروبية. واهم انجـازات هذه المرحلـة هو استبـدال القـوة العضليـــة ســواء أكـانت «انسانية أم حيوانية» بقوة الآلة. وقد أدى اكتشاف واستعمال هذه الطاقة الجديدة الى رفع انتـاج العمل خصـوصـاً في الميـادين الصناعية كانتاج الصلب والنسيج والطاقة.

ثالثا: الـرأسمالية المالية «١٨٥٠-١٩١٤» رغم ان هذه الفترة واكبها المزيـد من التطور الصناعي الا ان المؤسسات الماليـة باعتبارها مصدر التمويل لهذا القطاع ولغيره، اصبحت هي العمـود الفقري للنظـام الرأسمالي. فقـد نشطت بنـوك الاعمال التي كـــانت تحقق ارباحا طائلة من خلال «تأسيس المشروعات واصـــدار الاوراق الماليـة ومنح القـــروض للدولـة ورجال الصنـاعة والاعمال.. وهكـذا صارت الرأسمالية المالية تعيش على جزء من توظيف رأس المال اكثر من استثماره، أي على ريع الأوراق المالية اكثـر من ربح المشروعات الانتاجية(٦).

رابعا: الرأسمالية مابعـد الصناعة او الثورة التكنولوجية: والتي بدأت معـالمها تتاكد اكثر فـاكثر منـذ نهاية الحرب العـالميـة الثانيـة وتتميـز هذه المرحلـة بـالمكانـة التي اصبح يحتلهـا البحث العلمـي التطبيقي في التنميـة الاقتصاديـة فاذا كانت الآلة او «المكننـة» قد جاءت- إبان الثـورة الصناعية- لتحل محل الطـاقة العضليـة فإن الثورة التكنـولوجيـة الحديثـة تسعى لاستبدال الطـاقـة الذهنيـة للانســان باستعمال العقـول الالكترونية في تسيير وتدبير عمليات الانتـاج. وهذا مايفسر تزايد اهمية مايسمى بالقطاع الثالث والقطاع الـرابع بـالنسبـة لـلاقتصـادات في الـدول المتقـدمـة مقارنـة بـالقطـاعات التقليـديـة «الفلاحة، الصناعة» في هــذه المرحلة المتقدمة اذن من تطـور النظـــام الـرأسمالي تتـدرج العولمة باعتبارها مظاهر اقتصادية اجتماعية وسياسية لانجازات علمية وتكنولوجية.

مظاهر العولمة

على المستوى الاقتصادي:

كانت الرأسمالية منذ نشـأتها نظاما ذا نزعة تـوسعيـة وتـزداد حدة هـذه النـزعـة كلما تطورت قـوى الانتاج وتضاعف انتـاجها، اذ تضيق بها الحدود الوطنية ولاتجد متنفسها الا داخل اطار اوسع هـو الإطار الـدولي. وقد ساعد تقدم وسـائل المواصلات والاتصالات على تـدويـل المجـال الاقتصـادي إنتــاجـا وتـوزيعـا واستهلاكـا. كما لعبت الشركـات متعـددة الجنسيات دورا طـلائعيا في عمليـة التـدويل هـذه وبخاصــة من خـلال إعـادة تـوطين الصناعـات التقليـدية على مستـوى بلدان الجنوب وبالاخص تلك التي تجمع بين مستـويـات أجريـة منخفضـة والانضبـاط

تمثل العولمة هذا التداخل الكثيف في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين مختلف دول العالم

ثورة الاتصالات هي روح عصر العولمة وعمودها الفقري

الصارم للعمال مع ارتفاع نسبي لانتاجية العمل(٧) كما هو الحال بالنسبة لدول جنوب شرق آسيا. كما ان التدويل الاقتصادي لم يعد يقتصر فقط على ترحيل المشاريع الانتاجية على نطاق دولي فحسب، بل ان الانجازات التكنلولوجية اصبحت الآن تسمح بنقل جزء فقط او اجزاء من العملية الانتاجية وتوزيعها على فضاءات دولية مختلفة بحسب الامتيازات التي يمنحها كل فضاء وكذا الشروط التي يوفرها.

على المستوى الاجتماعي والثقافي

أدى التواصل المباشر وغير المباشر بين الشعوب الى انفتاحها على بعضها بعضاً ومكّن هذا الانفتاح من التعريف بخصوصيات الثقافات الوطنية والمحلية وقد تمخض عن هذه الحال ميلاد وتطور توجهان ثقافيان، هما في الظاهر متناقضان، غير أنهما في العمق منسجمان:

فمن جهة هناك مايمكن الاصطلاح عليه بتيار «الثقافة العالمية» التي تلتقي في اطارها كل التوجهات والحساسيات القومية واللغوية والدينية دون تمييز وتتأسس هذه الثقافة ذات البعد العالمي على قاعدة من القضايا التي يفترض انها تهم كل الجنس البشري دون استثناء. ويتعلق الامر بقضايا السلام والبيئة وحقوق الإنسان والتنمية.

وموازياً لهذا التوجه او كرد فعل له، بدأت تطفو على السطح تيارات ثقافية تتبنى المحلية في طرحها السياسي وتؤكد الخصوصيات العرقية واللغوية والاثنية. وتتراوح مطالب هذه التيارات بين الاعتراف الرسمي بهذا كمكّون من مكونات الثقافة الوطنية والكفاح السياسي او العسكري من اجل استقلالها وتقرير مصيرها.

على المستوى السياسي

في ظل عولمة العلاقات الاقتصادية والثقافية بدأ سلطان الدولة القطرية يسجل تراجعات مهمة خصوصاً على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي.. فقد اصبح منطق السوق هو الحاكم والحاسم وعادت «اليد الخفية»(٨) لتكون لها الكلمة الفصل في كل القضايا العامة بدل تخطيط السلطات العمومية. ان اهم اعتبارات بات يحسب لها ألف حساب هو المردودية. وهذه لاتقاس إلا داخل السوق باعتباره أداة التوظيف الأمثل للموارد، ان الاعتبارات القومية،فضلاً عن الانسانية والاخلاقية هي آخر اهتمامات الشركات المتعددة الجنسيات التي تخطط من اجل الربح على المستوى العالمي.

في ظل عولمة العلاقات الاقتصادية بدأ سلطان الدولة يتراجع على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي..

وقد اصبحت هذه الشركات شبه مستقلة عن الدولة، إذ لم تعد بحاجة اليها الا باعتبارها شريكاً أو زبوناً لها لاغير. فعلى المستوى الأمني مثلاً، تعتمد الشركات الكبرى على وحداتها الامنية الخاصة بدل الشرطة الرسمية كما بدأت تستغني عن القضاء فيما يخص قضاياها التجارية وذلك بالالتزام سلفاً باجراءات التحكيم فيما بينها، ولم يعد معظمها بحاجة الى مؤسسة البريد باستخدامها للفاكس او اللجوء الى شركات البريد الخاصة(٩).

وجملة القول فإن التصور الليبرالي الكلاسيكي لدور الدولة هو الذي يتأكد يوما بعد يوم. ويقوم هذا التصور كما هو معروف على الاقتصار على دور الدركي «اي حماية الحدود الخارجية وتوفير الأمن الداخلي».. بل حتى هذه الادوار التقليدية للدولة باتت في زمن العولمة اقرب ماتكون الى مظاهر رمزية أقرب للسيادة منها الى ادوار طلائعية وحاسمة كما كان الشأن إبان المراحل الاولى للرأسمالية.

ومن الناحية الاجتماعية فإن زمام الضبط الايديولوجي والتأطير الثقافي بدأ ينفلت من الدولة بعد ان اصبح مواطنوها على اتصال بما يموج به العالم الخارجي من انماط التفكير واساليب الحياة وذلك عبر مختلف وسائل الإعلام وبخاصة القنوات الدولية الفضائية التي باتت في متناول ادنى الطبقات الاجتماعية.

هذه بعض تجليات العولمة وتلك لمحة عن الظروف التي تمخضت عنها فما هي إذن طبيعة التحديات التي تطرحها بالنسبة لنا كمسلمين. ■

الهوامش:

١-لايتعلق الامر في الواقع بكل البشرية، بل بجزء منها فقط المتمثل اساسا في العالم الغربي المتقدم وجزء ضئيل من العالم الثالث فيما بقية اجزاء البشرية تعيش في ظل عصور مختلفة تتراوح بين ماقبل الصناعي وماقبل التاريخ!.

٢-هناك من يرى ان الترجمة الصحيحة لمصطلح Gobalisatin هو كملة «كوكبة» انظر د. اسماعيل صبري عبد الله الكوكبة: الرأسمالية العالمية في مرحلة مابعد الإمبريالية - مجلة المستقبل العربي- عدد ٢٢٢-غشت ١٩٩٧ص:٤

٣- الفن توفلر: حضارة الموجة الثالثة ترجمة عصام الشيخ قاسم- الطبعة الاولى ١٩٩٠ ص١٨ ومابعدها.

٤- فتح الله ولعلوا: الاقتصاد السياسي- الجزء الاول- دار النشر المغربية- البعة الثانية، ص٥٢ ومابعدها.

٥- اسماعيل صبري عبد الله، المرجع السابق ص:٧.

٦-د. فؤاد مرسي: الرأسمالية تجدد نفسها- كتاب سلسلة عالم المعرفة رقم ١٤٧ص:٢٣٤.

٧- د. محمد السيد سعيد: الشركات عابرة القومية ومستقبل الظاهرة القومية- كتاب سلسلة عالم المعرفة عدد ١٠٧ ص١٦٧.

٨-مفهوم «اليد الخفية» وان كان يعزي للاقتصادي الكلاسيكي آدم سيمث، إلا انه يعتبر ركيزة من الركائز الأساسية للنظام الليبرالي. ومفادة ان هناك «قانونا طبيعيا» يعمل في الخفاء على تدبير الحياة الاقتصادية والاجتماعية على نحو يخدم مصالح الجميع الخاصة في اتجاه خدمة المصلحة العامة وذلك في غياب اي تدخل «خارجي» كالدولة مثلا.

٩- د. اسماعيل صبري عبد الله -مرجع سابق ص٢٠

الأسماء الحسنى بين الزيادة والنقصان

بقلم: عمر ابراهيم الراكشي

﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون﴾ [الاعراف/ ١٨٠].

وفي شرح هذه الآية الكريمة قال بعض الشراح ان الإلحاد في أسمائه تبارك وتعالى هو الشرك وقيل إن المشركين اشتقوا(العزى) من (العزيز)،و(اللات) من (الله) واصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد، ثم يستعمل في كل معوج غير مستقيم.(١)

وقال البعض الآخر في شرحها: لله احسن الأسماء الدالة على أحسن المعاني فادعوه بها واتركوا الذين يسمونه بأسماء لاتتناسب العظمة الالهية(٢).

وقيل في شرحها ايضا:ولله -دون غيره- الاسماء الدالة على أكمل الصفات فأجروها عليه دعاء ونداء وتسمية، وابتعدوا عن الذين يميلون فيها إلى مالا يليق بذاته العلية، وأنهم سيجزون جزاء اعمالهم(٣).

وقال ابن كثير في شرحها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال:رسول الله صلى الله عليه وسلم:«إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا ،من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر». اخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عنه، ورواه البخاري عن أبي اليمان عن شعيب عن ابي حمزة عن أبي الزناد . واخرجه الترمذي(٤) في جامعه عن الجوزاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب فذكر بسنده مثله وزاد بعد قوله« يحب الوتر» هو الله الذي لا إلا هوثم قال الترمذي هذا حديث غريب وقد روى من

الرحمن	الرحيم	الملك	القدوس
السلام	المؤمن	المهيمن	العزيز
الجبار	المتكبر	الخالق	الباريء
المصور	الغفار	القهار	الوهاب
الرزاق	الفتاح	العليم	القابض
الباسط	الخافض	الرافع	المعز
المذل	السميع	البصير	الحكم
العدل	اللطيف	الخبير	الحليم
العظيم	الغفور	الشكور	العلي
الكبير	الحفيظ	المقيت	لحسيب
الجليل	الكريم	الرقيب	المجيب
الواسع	الحكيم	الودود	المجيد
الباعث	الشهيد	الحق	الوكيل
القوي	المتين	الولي	الحميد
المحصي	المبدىء	المعيد	المحيي
المميت	الحي	القيوم	الواجد
الماجد	الواحد	الاحد	الفرد
الصمد	القادر	المقتدر	المقدم
المؤخر	الاول	الآخر	الظاهر
الباطن	الوالي	المتعالي	البر
التواب	المنتقم	العفو	الرؤوف
مالك الملك	ذو الجلال والاكرام	المقسط	الجامع
الغني	المغني	المانع	الضار
النافع	النور	الهادي	البديع
الباقي	الوارث	الرشيد	الصبور

غير وجه عن أبي هريرة ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء إلا في هذا الحديث.

ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق صفوان به، وقد رواه ابن ماجه(٥) في سننه من طريق آخر عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعا فسرد الاسماء كنحو ماتقدم بزيادة ونقصان.

والذي عول عليه جماعة من الحفاظ ان سرد الاسماء في هذا الحديث مدرج فيه، وانما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد انه بلغه عن غير واحد من اهل العلم انهم قالوا ذلك، اي أنهم جمعوها من القرآن كما روى عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وابي زيد اللغوي والله اعلم.

ثم ليعلم- والكلام لابن كثير- ان الاسماء الحسني غير منحصرة في تسعة وتسعين بدليل مارواه الإمام احمد في مسنده عن يزيد بن هارون عن فضيل ابن مرزوق عن ابي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابيه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال:« ماأصاب احدا قط هم ولاحزن، فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو انزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحا»، فقيل يارسول الله أفلا نتعلمها؟فقال« بلى ينبغي لكل من سمعها ان يتعلمها»

وقد اخرجه الإمام ابو حاتم بن حبان البستي في صحيحه بمثله، وذكر الفقيه الامام ابو بكر بن العربي احد ائمة المالكية في كتابه تحفة الأحوي في شرح سنن الترمذي ان بعضهم جمع من الكتاب والسنة من اسماء الله ألف اسم فالله اعلم.

وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى:﴿وذروا الذين يلحدون في اسمائه﴾ قال إلحاد الملحدين أن دعوا اللات في اسماء الله، وقال بن جريج عن مجاهد «وذروا الذين يلحدون في أسمائه» قال اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز.

وقال قتادة: يلحدون أي يشركون في أسمائه
وقال علي بن طلحة عن ابـن عباس: الإلحاد التكذيب، وأصل الإلحاد في كـلام العـرب العدول عن القصـد، والميل والجور والانحـراف، ومنـه اللحـد في القبر لانحرافـه إلى جهة القبلـة عن سمت الحفر(٦) إلى هنـا ينتهي كلام ابن كثير.
ونلاحظ من الناحية العـددية لاسماء الله الحسنى الواردة في شرح بن كثير انها مع لفظ الجلالـة ١٠١ اسماء، بينما حـدد الحديث الشريف عددها في تسعة وتسعين فقط.
وقـد ورد حصر لـلأسماء الحسنى في كتـاب «دلائل الخيرات»(٧) في ٩٩اسما بما فيها لفـظ الجلالة وليس من بينهـا «الأحد والفـرد» وهذا الحصر مطابق من الناحية العددية للحصر الوارد في الحديث الشريف.
كما نلاحظ ايضا اننـا لم نجد في الصحيحين للشيخين حصرا للاسماء الحسنى، وكما ينبىء بذلك شرح ابن كثير الذي مر ذكره.
وفي رواية البخاري(٨) يقـول: حدثنا ابو اليمان أخبرنـا شعيب حدثنا ابو الزناد عن الأعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال:«إن للـه تسعة وتسعين اسما مـائة إلا واحدا من احصاها دخل الجنة».
وفي رواية مسلم ورد قوله:(٩)
عن ابي هريـرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليـه وسلم قال:«إن للـه تسعـة وتسعين اسما من حفظهـا دخل الجنـة واللـه وتـر يحب الوتر»:
وفي رواية لمسلم:«مائة إلا واحدا، من احصـاهـا...» والمراد بإحصائها– كما ورد في شرح مسلم– حفظها كما في الرواية الاولى، على ماهو راجح عند المحققين وليس عد التسعة والتسعين لحصر اسماء الله بها، وإنما القصد ان من هذه التسعة والتسعين من احصاها دخل الجنة.
ولهذا جـاء في الحديث الصحيح« أسألك بكـل اسم هـو لك سميت بـه نفسك، او انزلته في كتابك او علمتـه أحدا من خلقك، او استـأثرت به في علم الغيب عندك». وهو مخرج في الأحاديث الصحيحة.
ولايخفى ان المراد بكلمة«حفظهـا» او «احصاهـا» الواردة في الحديث، ليس مجرد حفظ الاسماء عـن ظهـر قلب، وإلا استـوى في ذلك البر والفاجر، ولكن المراد حسن استيعاب معانيها، والعمل ببعض الصفات المتاحة للانسان في دنياه والتي تعين على الخير وتعمير الارض وصلاح العباد.

الاسماء الحسنى بين الزيادة والنقصان

ويثـور التساؤل بعـد هذا السرد، هل وردت اسماء اللـه الحسنى على سبيل الحصر، ام وردت على سبيل المثال؟
والمتأمل في شروح بعض الفقهـاء المتقدم ذكرهـا، يتضح له منهـا ان الاسماء الحسنى وردت على سبيل المثال لا الحصر. وهـو الذي شجع العـامة مـن الناس على اشتقـاق وإضـافـة اسماء اخرى إلى التسعـة والتسعين اسما ، خـاصة عنـدما يقبلـون على تسميـة مواليـدهم من الذكور قصرنا نسمع منها:

المنعم	المتجلي	الراضي	الشافي
الرازق	المولى	المنصف	الحارس
العاطي	المطلب	الجواد	الجيد

المعطي	المغيث	المحسن	المقصود
العال	الستار	المعين	الفضيل
الحافظ	الحارث	الناصر	السند

ومع التسليم جدلا ان اسماء الله الحسنى تربو على التسعة والتسعين اسما، فان الزيـادة عليها بما تنطوي عليه من محاذيـر، ماكان ينبغي ان تترك للاجتهاد من جانب العـامة من الناس، خشية ان يجيء اسم او وصف منها لايليق بجلال الله وعظمتـه، الذي تقدست عن الاشباه ذاتـه، وتنزهت عن مشـابهة الامثال صفـاته، فهـو واحد لا من قلـة، وموجود لا من علـة، بالبر معروف ،و بالاحسان مـوصوف، معروف بلا غـاية، ومـوصوف بـلا نهاية، اول بـلا ابتداء، وآخـر بلا انتهـاء لاينسب اليه البنون، ولايفنيه تداول الاوقـات، ولاتوهنه السنون، كل المخلوقات قهر عظمته، وامره بالكاف والنون.
أنت كما أثنيت على نفسك: ومعلـوم ان الاجتهاد لـه شروطه وادواتـه، فكيف ابحتـا اضـافـة اسماء لاترقـى في مضامينهـا واوصـافهـا الى الاسماء التسعة والتسعين، فالرازق مثلا وهو من الاسماء المضافة لا يـرقى الى الرزاق لان الـرازق قد يـرزق مرة واحـدة ثم لايرزق مـرة اخرى لاي سبب من الاسبـاب بينما الرزاق هو اسم يفيـد القدرة على موالاة اسباب الـرزق، واطراد عطائه والمنعم مثلا لايـرقى الى الوهاب فالإنعـام قد يكـون بمقابل مـادي او معنوي، ولكـن الهبة دائما بغير مقابل، فما بالنا بالهبـات الالهية. ولذلك فقد جاء في الحديث الشريف الصحيح:«اللهم اني اعوذ بعفـوك من عقابك، وبـرضاك من سخطك، واعـوذ بك منك جل وجهك، لا احصـى ثنـاء عليك انت كما اثنيت على نفسك » وهو الـدعاء الذي دعـا به النبي صلى الله عليـه وسلم في ليلة النصف من شعبان وهو ساجد، وروته عائشة.

أسماء توقيفية

ومن هنا يرى الاستاذ الدكتـور/ محمد بدري عبد الجليل (١٠) انه: ينبغي الا نخلط بين الاوصاف التي وردت لله سبحانه وتعالى إنما هي جارية على مانعـرفه نحن في حياتنا ومانرسله من قـول في عرفنا، أما الحقيقة الالهيـة فشيء آخر تقـدره آيات كقـوله تعـالى:﴿ليس كمثله شيء﴾.
ولعل هذا مـايمكننا من فهم ابعاد«المنع» من اطـلاق الاسماء على الله سبحانه وتعالى فكـانت توقيفية، إذ لايجوز ان يسمى إلا بما سمى به ذاتـه وجـاء به الشرع، فقـرر الـزمخشري: الا يـذكر العبـد ربـه الا بالاسماء التي ورد التـوقيف بها، فلا يقال له: مـاكر او مستهزىء او مخادع، بل فيما هو ارق من ذلك فـلا يقال ياجـواد ولايجوز ان يقال ياسخي ولا ان يقال يـاعاقل ياطيب يافقيـه، وذلك يدل على ان اسماء اللـه تعالى تـوقيفيـة لا اصطلاحيـة[الـزمخشري– الكشاف: جـ١ ،ص٣٥٨و٣٥٩] [والرازي– مفـاتيح الغيب جـ٨، ص٣٧٧س ٦من اسفل+٣٧٨س٨] و[مفاتيح الغيب جـ ٤، ص٣٣٣س١٨+ المغربي : مواهب الفتاح جـ٤،ص٢٦٩س٣].
ويستطرد الدكتـور/ محمد بدري فيقول في مؤلفه باديء الذكر: وكان لذلك من نفي المجـاز في القرآن لان اللـه لايقال له متجـوز، اذ يتوقف اطـــلاقـــه في حـق اللــــه على الاطـــلاق الشرعي الآمــــدي. الاحكام:جـ١«ص٦٥» ولعل هـذا يكشف عما كان يـدور في اذهـان

القوم الذي قالوا بـالتوقيف في اسماء الله ثم انسحب هذا على الافعال والحروف بما هـو نفي للمـواضعـة لان اللـه لم يصف نفسـه بهذا الـوصف ولان المواضعـة تحتـاج الى جـارحـة. السيـوطي: المزهرجـ١ص٩+انظر «د. حسـن عون: اللغـة والنحو ص٢٤س٣» [ثم من زاوية اخـرى للذم الـوارد لاسماء كان وجهـه مخالفة ذلك لما شرع الله] الشوكاني: ارشاد الفحول: ص١٣س٩.

اتهام الاسماء بالنقص

وإنني أشايع الاستاذ الدكتور/ محمد بدري عبد الجليل كل المشايعة فيما ذهب اليـه من ان اسماء الله الحسنى تـوقيفية، بدليـل ان هناك اوصافا لذات الله العلية وردت في القرآن الكريم وفي الاحاديث النبوية لكنها لم ترد ضمن اسماء الله الحسنى المرويـة، من ذلك مثلا ماورد في القرآن ﴿فـالق الإصباح﴾ والقـاهر وذو العرش وفعـال وفي السنة مثلا «ان اللـه جميل يحب الجمال» «ان الله رفيق يحب الـرفق» و«إن الله حيي ستير يحب الحياء والستـر» رواها كلها مسلم.
ولذلك فإن هنـاك حكمة كـامنة حول الاكتفـاء بذكـر٩٩اسما، ولعها تضمنت اشيع الاوصـاف واهمها. لـذات اللـه العلية وبـالقدر الـذي يجعل غيرها من صنعنا مجرد مترادفات تـأتي في منزلة أقل دلالة من الاسم« الاصلي» الـذي وصف به اللـه نفسه. ومصـداق ذلك تجده في امثلـة الاسماء المضافـة التي مر ذكـرها، مثل «الـراضي» و«المعطي» و«الجيد» و«العاطي» و«الفضيل» و«السند» وغيرها.
والقول بغير ذلك يهدر دلالة رقم ٩٩ الوارد في صلب الحديث الشريف ويجعله لغوا وغير ذي موضوع والحديث الشريف منزه عن اللغو.
ولنضرب مثالا آخر ورد في قصيدة لشاعر معروف هو إيليا ابو ماضي حين يقول(١١): من احـب الله جبارا وفتـاكا وقـاهرا.... فأنـا أهواه رساما، وفنانا، وساحرا.
فهل تليق هذه الاوصاف بمن ليس كمثله شيء.
واذا كان النص القرآني في سورة الاعراف قـد عاب على الذين يلحدون في اسماء الله إلحادهم، فشبيـه بذلك من يضيفـون اليها اشتقـاقات لاتليق بجـلاله، فهـو عنهـا غني، حيث وردت هـذه الاضافـات بغير مقتضٍ ولاضرورة، ولم يأذن بها الشرع، فهـو سبحانـه كما أثنى على نفسـه، وكما وصف هو نفسـه، على النحو المفصل فيما تقـدم. ولكن يبقى ان هـؤلاء قـد أوقعـوا انفسهم في الشبهـات وكأنهم يتهمـون الاسماء بالنقص وجاءوا هم ليستوفوه.
ويستنبط استنباطا سائغا من المقدمات السابقة النتائج الآتية:

الأولى:

ان عبـارة «استـأثـرت بها في علم الغيـب عنـدك» الـواردة في الحديث الشريف، تفيد عـدم اطلاع احد من خلق اللـه على غير الاسماء التسعة والتسعين، وان ماعـدا التسعة والتسعين- بـافتراض وجودهـا- ظل مخفيا في علم الغيب عند الله لحكمة لايعلمها إلا هو.

الثانية:

ان حديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لم يأذن لنا في الاجتهاد بـاضافـة اسماء من لدنـا، لان هـذا الاجتهاد - ان صـح- يتعـارض صراحة وضمنا مع «الاستئثار» الوارد في النتيجة الاولى.

الثالثة:

حتى لو اجتهـدنا قسرا بـاضافـة اسماء أخرى نصف بها اللـه فوق ماوصف به نفسه، فلن يكـون لهذه الاسماء المضافة نعت« الحسنى» الـوارد في النص القـرآني، إذ يظل هـذا النعت مقصـوراً على التسعـة والتسعين اسما التي بلغتنا.

الرابعة:

لو أراد الله سبحـانه وتعالى ان يعلمنا وينبئنـا عن طريق نبيه -صلى الله عليه وسلم- بالمزيد من اسمائه الحسنى، لفعل، الامر الذي يؤكد ان التوقف عند رقم ٩٩هو امر لامراجعة فيه ولاتحايل حوله لانه رقم توقيفي.
والقول بغير ذلك يجعل هذا الرقم في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لغوا، ونحن نتنزه حديثه عن اللغو.
وخـلاصـة القـول ان التسعـة والتسعين اسما ليس بها قصـور ولاضمور ولاتفتقر الى مزيد، ولم يكن اللـه تعالى بعاجز ان يزيد، وان يـوحي الى رسولـه بهذه الزيـادة، وفي رأيي ان العـامة من النـاس لم يزيـدوا مازادوه من اسماء لقلـة الاسماء الاصلية او لنقصهـا، لكنهم أحسـوا ان بعض الفقهاء كـأنما فتحوا بـاب الاجتهـاد لهذه الزيـادة فتبـاروا فيها على نحـو ممجـوج، ينطوي على غير قليل من المجـاوزة والخروج، غفر الله لنا جميعا فهو وحده الغفور الودود. ■

الهوامش

١-تفسير الطبري.
٢-المصحف المفسر- محمد فريد وجدي- ص٢٢٢الطبعة الثامنة.
٣-المنتخب في تفسير القرآن الكـريم- لجنة القرآن والسنـة بالمجلس الاعلى للشـؤون الاسـلاميـة- وزارة الاوقـاف- مصر- الطبعـة السابعة- ص٢٣٦.
٤و٥- الترمذي وابن ماجة اثنان من المحدثين الاعلام الستة وهم:
١- محمد بن اسماعيل البخاري توفى عام ٢٥٦هـ.
٢-مسلم بن الحجاج القشيري توفى عام٢٦١هـ
٣-ابو داود السجستاني توفى عام٢٧٥هـ.
٤-ابو عيسى محمد الترمذي توفى عام٢٧٨هـ
٥-النسائي توفى عام٣٠٣هـ.
٦-ابن ماجة توفى عام٢٧٥هـ.
٦-تفسير القـرآن العظيم- لـلامام الحـافـظ عماد الدين ابـو الفـداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي- المجلد الثاني ص٢٥٩.
٧-دلائل الخيرات وشوارق الانوار في ذكـر الصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم- مطبعـة مصطفى البابي الحلبي بمصر- طبعة ١٣٤٦هـ
٨-صحيح البخاري- لابي عبـد الله محمد بـن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بـردزبـة البخاري الجعفي- الجزء الثـالث من المجلد الاول- دار الجيل- بيروت-ص٢٥٩.
٩-صحيح مسلم- للامام ابي الحسين مسلم بن الحجاج- مختصرا عن الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري الدمشقي- تحقيق محمد ناصر الدين الألباني- الطبعة الثالثة- المكتب الاسلامي- ص٤٩٣.
١٠-الاستـاذ الدكتـور/ محمد بـدري عبـد الجليل- الاستاذ بكليـة الاداب بجـامعـة الاسكنـدريـة في كتابـه:« المجـاز واثـره في الـدرس اللغوي»-ص٢٣٢و٢٣٣.
١١-ايليا ابو ماضي: ديوان الخمائل-ص١٠٧.

يعاني المسلم المعاصر من مشاكل عدة، إحداها: ضمور الجانب الجماعي في حياته المعاصرة وارتباطه بأحداث خارجية أكثر من ارتباطه بأصول الوعي والإدراك، ويعاني ـ كذلك ـ من هشاشة الأعمال الجماعية وقلّتها، وعدم نجاحها، وصعوبة تأقلمه فيها، ويعاني ـ كذلك ـ من تضخم الجانب الفردي، ورواج أخلاقه فما السبب في هذه المشكلة الظاهرة؟ ونحن من أجل أن نحدد سبب هذه المشكلة المعاصرة، سندرس كيفية معالجة الإسلام للجانب الجماعي في حياة المسلم، والنتائج التي أفرزتها تلك المعالجة على مدار التاريخ السابق، فذلك مما يساعدنا على تحليل أسباب المشكلة المعاصرة.

ضمور الجانب الجماعي في حياة المسلم المعاصر:

الظاهرة والسبب

بقلم: غازي التوبة

كيفية بناء الجانب الجماعي في كيان المسلم:

لقد عالجت شرائع الإسلام وشعائره الجانب الجماعي في كيان المسلم، أما الشرائع التي رعت هذا الجانب فقد نقلت العربي من أفق القبيلة إلى أفق آخر هو أفق الأمة فقال تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الأنبياء ـ ٩٢، وقال تعالى أيضاً: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) المؤمنون ـ ٥٢، والشرع من أجل أن يحقق هذه النقلة لابد من أن يدعو العربي إلى تصبير نفسه مع الجماعة والابتعاد عن شهوات النفس وحظوظها في الحياة الفردية لذلك أمر الله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يصبّر نفسه مع إخوانه فقال تعالى: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) الكهف ـ ٢٨.

كما حضت بعض الآيات الكريمة على التزام الجماعة والتجمع لما في ذلك من خير وفائدة على الفرد ذاته، فقال تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) آل عمران ــ ١٠٣، وقد نقل الطبري في تفسيره عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا) قال: حبل الله الجماعة، ونهت آيات أخرى عن الفرقة والاختلاف فقال تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) الشورى ـ ١٣، فقد نقل الطبري عن قتادة قوله تعالى: ولا تتفرقوا فيه «تعرفوا أن الفرقة هلكة وأن الجماعة ثقة».

أما السنة فالأحاديث التي تحض على الجماعة أكثر من أن تحصى، فقد جاء في خطبة عمر رضي الله عنه بالجابية عندما نقل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن» رواه الترمذي.

وقد نقلت الأحاديث رواية أخرى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيها: «وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع» رواه الترمذي.

وقد وردت أحاديث كثيرة تشير إلى بركة التجمع والجماعة بأن أمة محمد لا تجتمع على ضلالة وأن يد الله معها، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ في النار» رواه الترمذي، وقد وضّح الرسول صلى الله عليه وسلم أن الجماعة رحمة والفرقة عذاب فقد نقل النعمان ابن بشير عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب» رواه ابن أبي عاصم في السنة.

لذلك فقد أثّمت التشريعات الإسلامية من يخرج عن الجماعة، ويشق صفها، وقد وصلت إلى حد الدعوة إلى قتله كائناً من كان، وما كل ذلك إلا نتيجة إدراك الشريعة لأهمية الاجتماع وخطورة الافتراق فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه» رواه ابن أبي عاصم في السنة، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية» رواه مسلم، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً: «فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان» رواه مسلم.

وقد رعت شعائر الإسلام الجانب الجماعي في حياة المسلم، ونمته، وأعطته حقه، فلو أخذنا الصلاة التي هي الشعيرة الأولى والأهم بين الشعائر التي يؤديها المسلم لوجدنا أن الإسلام أوجب على المسلم أن يؤدي فرضها في جماعة على أرجح الآراء، في حين أنه فضل أداء السنن منفرداً في البيت بعيداً عن أعين الناس، ولا شك أن الحكمة من ذلك تلبية الجانبين الجماعي والفردي في فطرة المسلم، وإن تفصيلات أداء صلاة الجماعة من حيث الوقوف في صف واحد والحرص على استقامة الصف، ومتابعة الإمام في القيام والركوع والسجود وعدم استباقه في أي عمل من أعمال الصلاة مما ينمي جانب الالتزام الجماعي في نفسية المسلم وحياته، وتأتي صلاة الجمعة التي فرض الشرع على المسلم أداءها كل أسبوع في المسجد مرحلة أرقى في تنمية الجانب الجماعي

عند المسلم، فالمجيء إلى المسجد واستماع الخطبة التي يحدّث الخطيب فيها المسلم بأمور إخوانه المسلمين، ويصوّر له أحوالهم ليحدد له الواجبات التي يجب أن يقوم بها نحوهم، تأتي مرحلة أرقى في التوعية والتبصير والربط بين المسلم وإخوانه الآخرين، وتأتي صلاة العيد لتربط المسلم بأهل بلدته جميعاً، وهي مرحلة أرقى في الربط الجماعي، ثم يأتي أداء الحج على المسلم مرة في العمر ليربطه بأمته الإسلامية، فيلقى المسلم أثناء أدائه شعائر الحج إخوانه المسلمين على مختلف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم، ويلبسون لباساً واحداً ويؤدون شعائر واحدة في وقت واحد، مما يدعم ربط المسلم بأمته وينمي الجانب الجماعي عنده. ولم يكتف الإسلام بتغذية الجانب الجماعي في حياة المسلم بسن التشريعات اللازمة له وفرض العبادات التي تؤدي إلى تنميته، بل زكّى الأخلاق المرتبطة به كالتضحية والإيثار، ونفّر من العزلة، وحثّ على مخالطة الآخرين والصبر على أذاهم، ويأتي خُلُق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذروة في هذا المجال من ناحية الحرص على الجماعة والأمة ومتابعة أمورهما، وتنمية المعروف فيهما، وإبعاد شرور المنكر عنهما، فقد حثت آيات وأحاديث عدة على خلق التضحية والإيثار وزكته فقال تعالى: (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر ـ ٩، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» رواه الترمذي.

وقد وجه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلم إلى فعل الخير نحو الآخرين في دوائر كثيرة تبدأ بوالديه وتتساعد حتى تصل إلى كل الإنسانية مرورا بأقاربه وجيرانه، فقال تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل...) النساء ـ ٣٦. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في الحث على مخالطة الناس والصبر على أذاهم: «المسلم إذا كان مخالطاً الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لايخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» رواه الترمذي، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» رواه النسائي.

نتائج البناء الجماعي:

لقد أثمرت تلك المنهجية التي رسمها الإسلام في شرائعه وشعائره أمة متماسكة فاعلة مؤثرة، وقد بدأت تلك الأمة بجيل الصحابة الذي شكل الجانب الجماعي سمة بارزة في تصرفاته ويشهد على ذلك إيواء الأنصار والمهاجرين، وتقاسمهم معهم الأموال والثروات، فضربوا بذلك مثلاً أعلى في إيثار الآخرين، وقد استمرت الأمة فاعلة تحتوي أعراقاً وأجناساً وشعوباً مختلفة، تبني حضارتها الخاصة بها في كل مجال، وتتجاوز كل العقبات التي تواجهها في كل المجالات العلمية والثقافية والعسكرية والاقتصادية إلخ...

وقد أفرزت الأمة قيادتين على مدار التاريخ هما قيادتا الأمراء والعلماء بعد أن كانتا قيادة واحدة متمثلة في الخلفاء الراشدين، وقد استمرت هاتان القيادتان تعبران عن الجانب الجماعي في الكيان الإسلامي، الأولى: تجيّش الجيوش التي تدفع غائلة الأعداء، وتوسع الأجواء أمام هدي الإسلام وأنواره، والثانية: تحرس الإسلام في المجتمع، وتبني الإيمان في قلوب المسلمين وعقولهم، وعندما بدأ الضعف يستشري في كيان الأمة الإسلامية وبدأ الغرب يستعمر أرض الخلافة الإسلامية قطعة قطعة: الهند، الجزائر، عدن، تونس، مصر، العراق، بلاد الشام إلخ... ثم أسقط الخلافة فسقطت قيادة الأمراء، وفي الوقت نفسه دب الضعف في قيادة العلماء، ودب الضعف في الجانب الجماعي من شخصية المسلم المعاصر، كما رصدنا ذلك في بداية المقال، فما أهم الأسباب والعوامل التي أدت إلى هذا الضعف؟ أهم العوامل هي:

١ ـ اضطراب الموقف الفقهي من الجماعة: عرفت الساحة الفقهية في الوقت الحاضر أحكاماً مختلفة حول الانتماء إلى التجمعات الإسلامية، فبعض الفقهاء حرّمها، وبعضهم أوجبها، وبعضهم ربط الحكم بحالة الانتماء ومواصفاتها، والحقيقة إن هذا التباين في الحكم يعود إلى أن الفقه الإسلامي عرف قيادة رئيسة هي قيادة الخليفة للمسلمين، وتجمعاً رئيساً هو تجمع جماعة المسلمين، وقد اعتبر الفقه نفسه أن تشكيل أي جماعة هو خروج على جماعة المسلمين، فمن قام بذلك فقد احتمل إثماً عظيماً لأنه مزّق جماعة المسلمين.

إن هذا المناخ الفقهي المعادي لتشكيل تجمعات إسلامية مازال هو المخيم والنافذ والشائع، لذلك فإن الفقه الإسلامي يتعامل مع إنشاء أي جماعة وكأنه خروج عن جماعة المسلمين، ومع أن الوضع قد اختلف، ولم يعد هناك وجود لجماعة المسلمين، فإن ذلك حكم واحد لقضيتين مختلفتين، مع أنه يجب أن يكون حكمان لاختلاف الواقعيتين والقضيتين: الأول: يمنع ذلك أثناء وجود الخليفة وجماعة المسلمين، والثاني يبيح ويسمح، بل يوجب ذلك في غياب الخليفة وجماعة المسلمين.

٢ ـ التصوف: انتشر التصوف في العالم العربي انتشاراً كبيراً في القرون الأخيرة، ويقوم التصوف على تغذية الخلاص الفردي، والانكفاء على الذات، وعدم الاهتمام بالآخرين انطلاقاً من مقولته: «دع الخلق للخالق»، والمتصوف من أجل أن يحقق خلاصه الفردي عليه أن يعتزل الآخرين، ويهتم بذاته، إن هذا المناخ العبادي الذي أشاعه التصوف نمى الأخلاق الفردية على حساب الأخلاق الجماعية، وضخم الجوانب الذاتية على حساب الجوانب الاجتماعية في الشخصية المسلمة، مما كان له أثر في ضعف التوجهات الجماعية وضمورها في المجتمع الإسلامي.

٣ ـ الضياع الناتج من التغريب: لقد تعرضت منطقتنا إلى موجة عاتية من التغريب خلال القرن الحالي واستطاعت هذه الموجة أن تجتذب عدداً لا يستهان به من أبناء أمتنا، لكن عدداً آخر تعرض للضياع لأنه لم يرض أن يلحق بتيار التغريب من جهة ولم يستطع أن يحافظ على واجبات انتمائه لأمته من جهة ثانية، إن هذا القسم الضائع عاش لذاته لأنه فقد روابطه الجماعية بأمته وأبناء جلدته.

هذه بعض العوامل التي أدت إلى ضمور الجانب الجماعي في حياة المسلم المعاصر، فعلينا من أجل أن نزيل الضمور أن نشيع مناخاً فقهياً سليماً يعطي أحكاماً سديدة، وعلينا أن نشيع مناخاً عبادياً يلتزم الصحة الدينية ليثمر أخلاقاً جماعية غيرية، وعلينا أن نحدد الأصول السليمة للتفاعل الحضاري من أجل إنقاذ قطاع كبير من أبناء أمتنا من موجة التغريب العاتية. ■

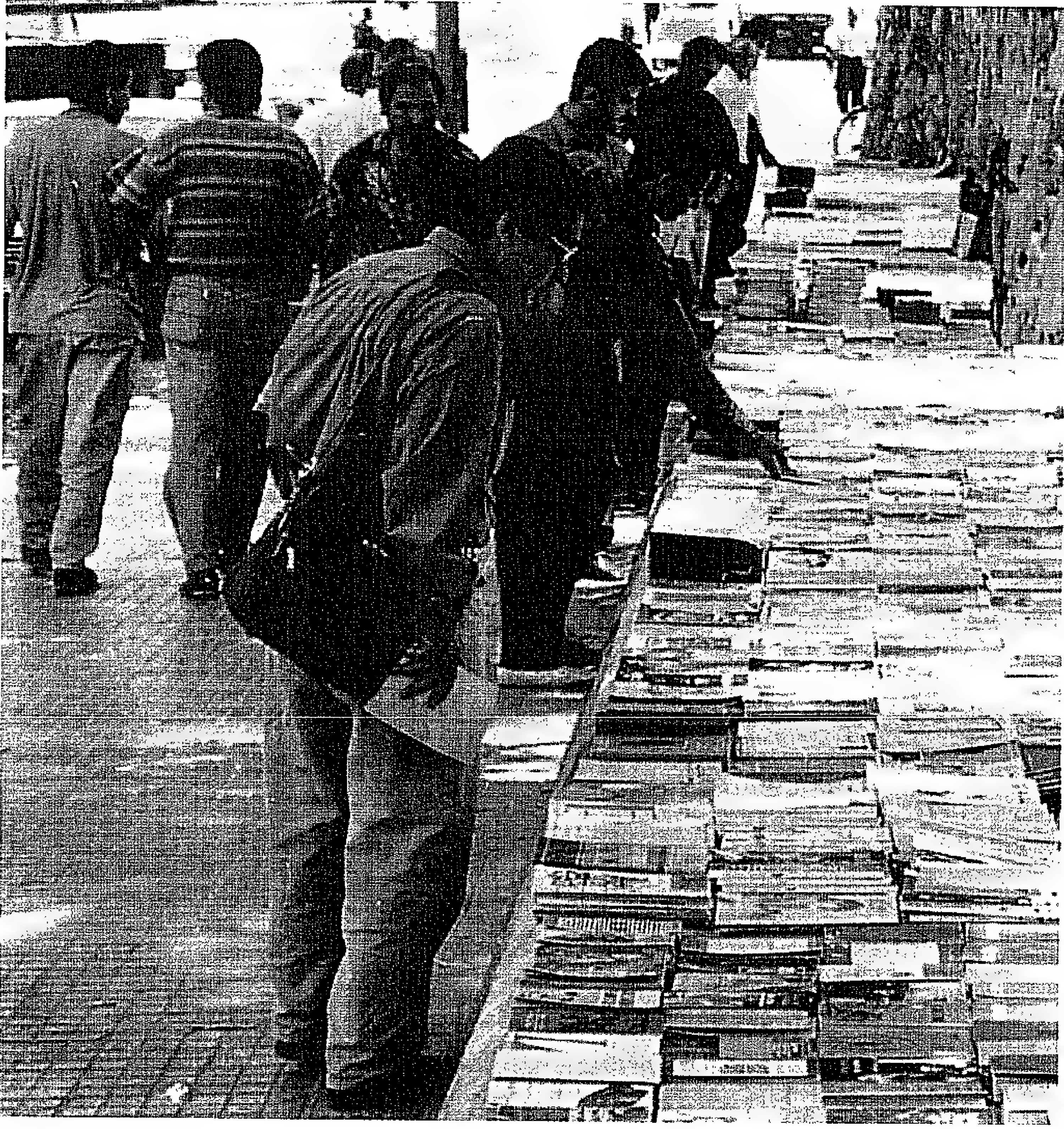
التثقيف الذاتي بعد المدرسة

الماهية

والأهمية

والمحتوى العلمي

بقلم: د. عادل حسون الخنساء



إذا كان التثقيف الذاتي يعني تلك المقدرة الذاتية التي يمكن للفرد من خلالها أن يرتفع بالمستوى الثقافي الذاتي الذي يؤهله حتى يكون عضوا صالحا في المجتمع، فإن مفهوم التثقيف الذاتي هذا يحمل عددا من الأبعاد والمعاني التي تعبّر عن محتواه العلمي ومضمونه النوعي بحيث تبدو الأهمية الكبرى التي يحتلها هذا المفهوم باعتباره أحد أهم روافد الثقافة وقنواتها الفاعلة في المجتمع.

ومعنى آخر، ليست المدرسة والجامعة والمعهد وحدها هي مؤسسات العلم ومنابعه وهيئاته، إنما يمكن وبكل تأكيد إضافة مؤسسة أخرى لا تقل أهمية عنها انها مؤسسة التثقيف الذاتي التي لا تحتاج معلمين وأساتذة ولا تتطلب إدارات واحدة، لأن الأعضاء فيها هم المعلمون والأساتذة، وهم الإدارات والأجهزة.!!

المحتوى العلمي

يمكن ـ عند إنعام النظر الدقيق والتأمل العلمي السديد ـ أن استقرىء الكثير من المعاني والمضامين التي يحملها هذا المفهوم قيد الدراسة.. مفهوم التثقيف(١) الذاتي. كالاعتماد على الذات، والقدرة على التغيير والسيطرة على النفس، واتخاذ القرار، والأخلاقية الثقافية الواعية.

الاعتماد على الذات

من هذه المعاني التي يحملها هذا المصطلح العلمي الاعتماد على الذات، في عملية تنمية الجانب الثقافي لدى الفرد في المجتمع سواء كان الفرد متعلما تعليما عاليا أو تعليما عاما أو تعليما بسيطا أو حتى إن كان أُميّاً لا يفقه قراءة ولا يعرف كتابة...

فالاعتماد على النفس على طريقة «أخدم

نفسك بنفسك» ليس أحد أهم وسائل التثقيف الذاتي فحسب، إنما إلى جانب ذلك يعتبر من أهم العوامل التي تدفع الشعوب(٢) إلى تحقيق أهدافها بأقل التكاليف وأبسط الإمكانات... فتوفر بذلك كثيراً من الجهود والأوقات... فكم من أمة ذكية عاقلة اعتمدت على ذاتها بعيدا عن الاعتماد على الآخرين حققت قفزات رائعة ومشتْ خطوات رائدة وصار لها في العالمين مكانة مرموقة، بينما بقيت تلك التي تعتمد على الآخرين في تبعية مطلقة تحاول الخروج منها فلا تقدر ولا تستطيع إلا إذا عادت ثانية إلى الاعتماد على ذاتها.

ذكّرني مفهوم «الاعتمادية الذاتية» أو المبادأة الفردية الشخصية أو الفاعلية(٣) و ما شابه ذلك من المعاني بشخص ذكي كان يعمل «فرّاشاً» في مدرسة ابتدائية.... ويأخذ يومياً مكانه عند باب المدرسة أو باب المدير أو باب أعضاء هيئة التدريس لأنه آخر موظف يحتل أقل مهنة.

بدأت يوما بعد يوم وأنا أضع خطواتي في باب المدرسة أراه وقد أمسك كتابا يقرأ فيه... لم يكن يحمل من العلم إلا مقدرة القراءة بشكلها المبسط.... وهكذا يوميا بجد ونشاط... يسأل هذا ويتفهم من ذاك... لم يترك معلماً ولا مدرسا ولا ناظرا إلا ويسأله، واشتد ولعه في تثقيف نفسه فأخذ يستغل ليله سائلاً ومتسائلاً.. وهكذا يوما بعد يوم يتوسع في دائرة التثقيف الذاتي ويعطيه مضمونا عمليا ومحتوى تطبيقيا.

مرت الأيام والشهور والسنوات. تقدم إلى امتحان شهادة نهاية الدراسة الابتدائية فنجح... ثم مرت السنون وتقدم إلى اختبار نهاية المتوسطة فنجح... ثم نهاية الدراسة الثانوية فحصل على الثانوية العامة الأدبية ثم انتسب إلى كلية الحقوق فنجح بتفوق... واحتل منصبه محامياً ثم وكيل نيابة ثم قاضياً ثم مستشاراً في أرقى درجات المحاكم في بلده...(٤)

فالاعتماد على الذات التي يحملها هذا المفهوم ليست بالشيء القليل، إنها القدرة على التغيير وهو المعنى الثاني الذي يمكن أن نستشفه من هذا المفهوم الرائع مفهوم التثقيف الذاتي.

القدرة على التغيير

إن القدرة على التغيير ليس من صفات الخاملين ولا من مواصفات الكُسالى الغافلين(٥)، سواء أكانوا أفرادا أم جماعات أم شعوباً.... فالتغيير(٦) قوة ذاتية إرادية أو بمعنى آخر قدرة شخصية داخلية كامنة في أعماق الإنسان سواء كان الإنسان فرداً أو جماعة أو مجتمعا بحيث إن أدرك كنهها وعمل بأسباب انطلاقها واستثمر عقله وذهنه في وضع إجراءات وقواعد لتنظيم مسيرتها حقق بإذن الله مكاسب شتى... وتجاوزَ عقبات كأداء وحقق بأقل الزمان وأقل التكلفة جميع أهدافه أو على الأقل جلها ومعظمها بحيث يمكن أن يترك انطباعاً حسنا لدى الآخرين ممن حوله.... ويحتل مكانة مرموقة في العالمين.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية التغيير ودوره في الحياة... حياة الأفراد وحياة الجماعات.... في بناء حاضرهم وبناء مستقبلهم فقال سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)(٧)، بحيث إذا استطاعوا أن يغيروا ما بأنفسهم فاعتمدوا بعد الله على إمكاناتهم وراجعوا وسائلهم ووضعوا نصب أعينهم أهدافهم وتوكلوا على الله حق التوكل باتخاذ الأسباب كافة لا بعضها حقق الله على أيديهم غايتهم واحتلوا في المجتمع مكانتهم وكان من أهم أسباب ذلك هو قدرتهم على التغيير... واستطاعتهم السيطرة التامة على أنفسهم.

السيطرة على النفس

والسيطرة على النفس أيضاً هي من أهم المعاني التي نستشفها من هذا المفهوم العلمي المختار اختياراً حسناً. فالتثقيف الذاتي يوحي بهذا المعنى الرائع... السيطرة على النفس... وخصوصاً إنْ علمنا أن النفس تميل... بل تميل إلى الركون والكسل والتواني والراحة بمعنى آخر أن النفس... غالباً ما تميل إلى الغرائز والشهوات وإلى كثير من النزوات وهي النفس الأمارة... بحيث يبدو كم من الجهود وينبغي أن تبذل لاقناعها بعكس ذلك وإفهامها نقيض ذلك... وتوجيهها نحو كبار الأمور وعظائم الآمال، وأهمية الانتقال إلى المراتب العليا من الطاقات البشرية والاستعدادات الإنسانية الفطرية وبالخصوص الجوانب العقلية والذهنية... ومثلها معها الوجدان والضمير وغيرها مما يرتقي بالإنسان إلى مستوى النفس المطمئنة.

انطلاقاً من ذلك فإنه ليس إلا الإنسان العظيم هو الذي يستطيع أن يسيطر على نفسه ويقف في مواجهة جماحها وثورتها بما تملكه من جيوش الغرائز والنزوات وبما يملكه هو من كتائب الإرادة العاقلة وغيرها من الإرادات... وهذا كله يعود فضله إلى ذلك المفهوم الراقي للتثقيف الذاتي.

كذلك فإن مفهوم التثقيف الذاتي يحمل معنى آخر لا يقل أهمية عن غيره من المعاني السابقة.... إنه حرية اتخاذ القرار.... فالإنسان القادر بإذن الله على السيطرة على نفسه... والقادر على الاعتماد على الذات دون خوف من ضغوط... محارباً الاتكالية والتبعية والفوضى والكسل... معترفاً بنعمة الله عليه في العقل والذهن والوجدان والضمير.... هذا الإنسان بهذه المعاني النبيلة هو الشخص القادر بإذن الله على اتخاذ قراره بكل حرية... بحيث يعمل هذا القرار لصالحه وبالتالي لصالح أسرته ومجتمعه وأمته والعالم أجمع.

البعد الأخلاقي

كذلك يحمل معنى التثقيف بعداً أخلاقيا... فالفرد الذي يفهم معنى السيطرة على النفس ومعنى الاعتماد على الذات ومعنى حرية اتخاذ القرار وغير ذلك من المعاني إنما هو فرد قادر

على اختيار الطريق الصحيح في الحياة بعيدا عن الاتكالية وعن الكسل وعن التسيب.. ونقيض هذه المعاني الأخيرة هو الفاعلية الذاتية والاجتهاد والجد والعمل.... وهذه كلها معان أخلاقية تنضم إلى منظومة الفضائل ومكارم الأخلاق والقيم الرفيعة التي تعتبر عماد الأمم وأساس بقائها.



البعد الثقافي

وآخر المعاني التي يحملها هذا المفهوم إن لم يكن أولها هو مفهوم الثقافة والتي تعتبر من أهم ركائز المجتمع أنها مركب يحتوي على معرفة ومعتقدات وفن وأخلاق وقانون وعرف وجميع القدرات والعادات التي حصل عليها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع.(٨)، فالثقافة كائن حي(٩) ينمو ويتطور بنمو الإنسان وبقائه واستمراره وبمعنى آخر ان الأمم القوية هي تلك الأمم التي تهتم بثقافتها وثقافة أبنائها(١٠) وتدفعهم نحو التثقيف الذاتي خصوصاً لأنه تثقيف دائم من جانب وغير مكلف من جانب آخر ولأنه يدرب الفرد على الفاعلية والمبادأة والاعتماد على النفس وهذه هي صفات المجتمعات القوية والأفراد الأقوياء. ■

الهوامش

١ ــ التثقيف مصدر في اللغة مشتق من فعل ثَقِفَ وثَقُفَ ثَقْفاً وثقافة... والثقافة ترتبط بالإنسان بشكل وثيق فالإنسان هدف الثقافة وهو مصدرها، انظر حول ذلك: عبدالمنعم الصاوي ــ عن الثقافة ــ دار القلم ــ ١٩٦٦ ــ ص ٢٤.

٢ ــ من الملاحظ أن بلدان العالم الثالث المتخلف لم تلتزم بما أعلنت عنه في بداية تنميتها من حيث الاعتماد على الذات ولو أحسنت تطبيق هذا المبدأ لما وقعت في براثن التبعية الاقتصادية، بل العلمية والثقافية.

٣ ــ تعتبر الفاعلية أو المبادأة الذاتية من قبل الأفراد من أهم السمات التي تصنع المجتمعات وتعلي من شأنها وتساعدها على بلوغ آمالها غير أن الملاحظ ضمور هذه الفاعلية في أفراد مجتمعاتنا العربية والإسلامية نظراً لعوامل التغريب وضحالة الوازع الديني بينما استطاع مجتمع الصحابة أن يحقق المعجزات لأن الفاعلية الفردية لدى كل صحابي كانت في ذروتها.

٤ ــ هذه القصة وقعت فعلاً وليست بنت الخيال.... والتاريخ المعاصر يقدم لنا عشرات ممن بنوا أنفسهم ثقافياً وعلمياً بأيديهم مثل العقاد وأحمد أمين وغيرهم ممن درسوا في مدرسة الحياة.

٥ ــ من الملاحظ عزوف الشباب عن القراءة بشكل واضح واهتمامهم بأمور شكلية تدل على نوع من الكسل والتسيب مما ينبغي استنهاضهم عن طريق إحداث تغيير في نفوسهم بالتربية والرقابة والقدوة، انظر حول عزوف الشباب عن القراءة: أبحاث المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج ــ الكويت الموسم الثقافي التربوي ــ الدورة الثانية ــ العزوف عن القراءة بين الشباب العربي الخليجي ــ العام ١٩٩٥م.

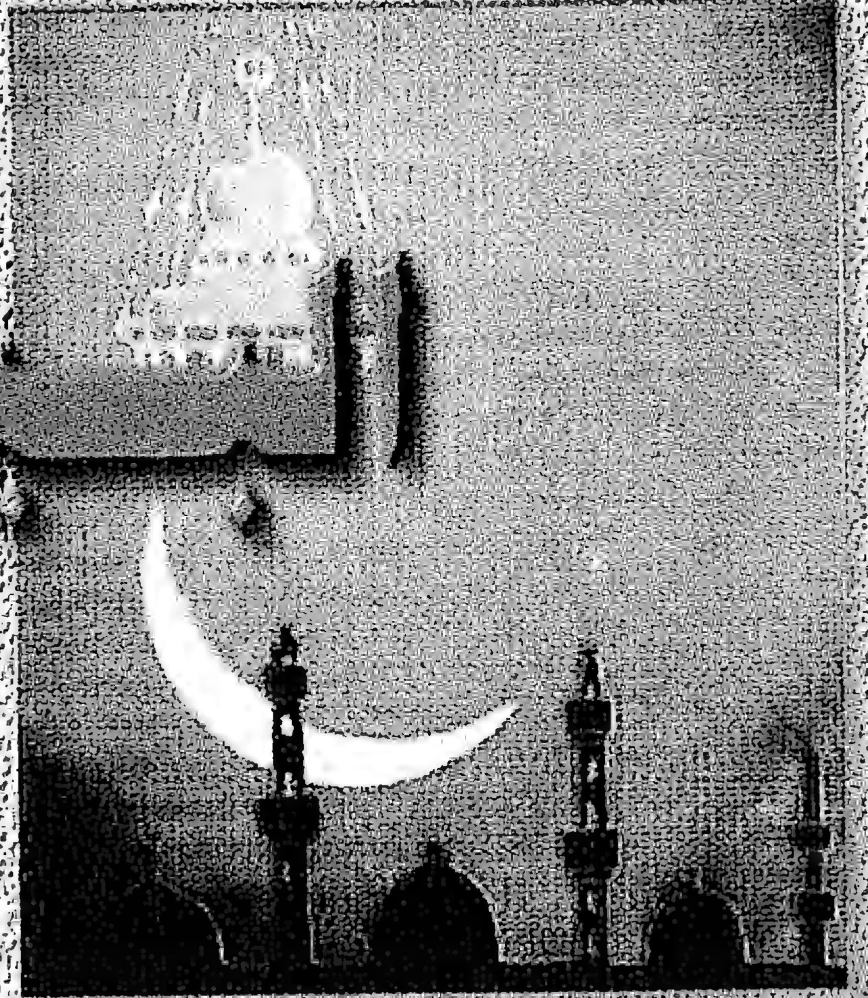
٦ ــ حول مفهوم التغيير يراجع: جودت سعيد ــ مفهوم التغيير ــ دار الفكر المعاصر ــ بيروت ــ ط١ ــ ١٩٩٥م.

٧ ــ قرآن كريم (سورة الرعد ــ ١١)، وتعتبر هذه الآية من أهم الآيات التي تعتبر أساسية ومصيرية بالنسبة للأفراد.

٨ ــ د. حسن الفقي ــ الثقافة والتربية ــ دار المعارف بمصر ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٧٧م ص ٦.

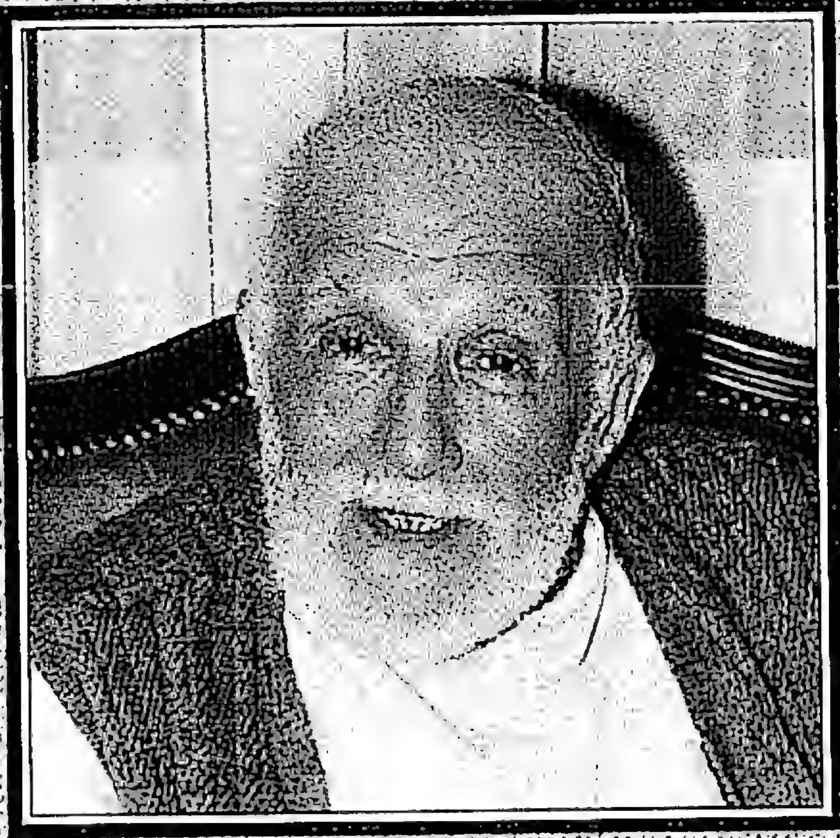
٩ ــ د. حسن الفقي ــ المرجع السابق ــ ص ١٠ وما بعدها.

١٠ ــ يرى العديد من المفكرين أن الثقافة نوعان ثقافة تجميلية وثقافة إسلامية لا يمكن الاستغناء عنها لأنها ترتبط بانتماء الفرد وأخلاقه، انظر د. محمد رشاد سالم ــ مدخل إلى الثقافة الإسلامية ــ دار القلم ــ الكويت ١٩٩٠م ــ ط١٠.



البيت المسلم

العدد ٣٨٤ ـ الوعي الإسلامي شعبان ١٤١٨هـ ـ ديسمبر ١٩٩٧م

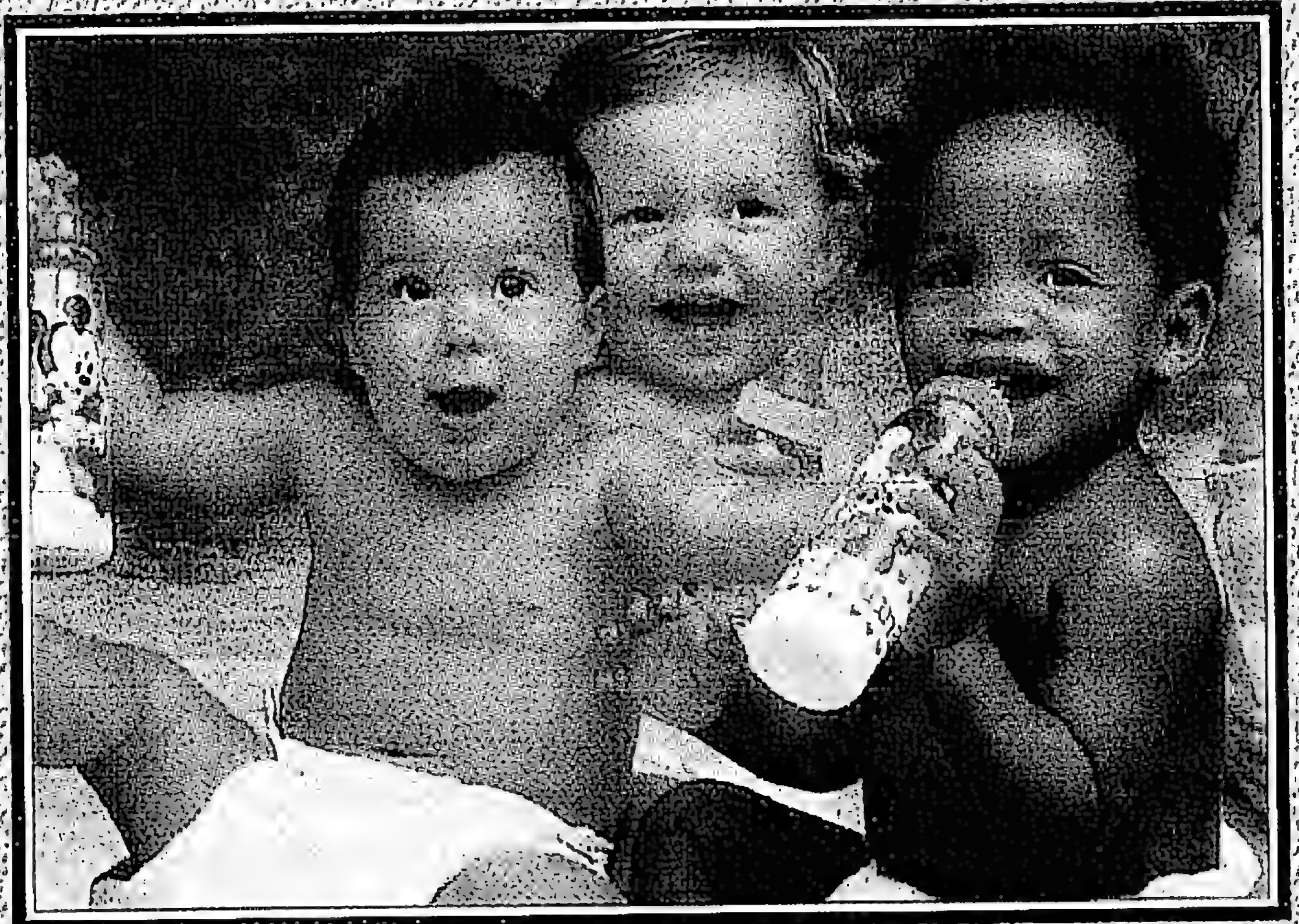


حوار مع الشيخ المتألق علي الطنطاوي:

أكثر من ثلاثة ملايين صفحة قرأها الطنطاوي.. فكم قرأتم أنتم!؟

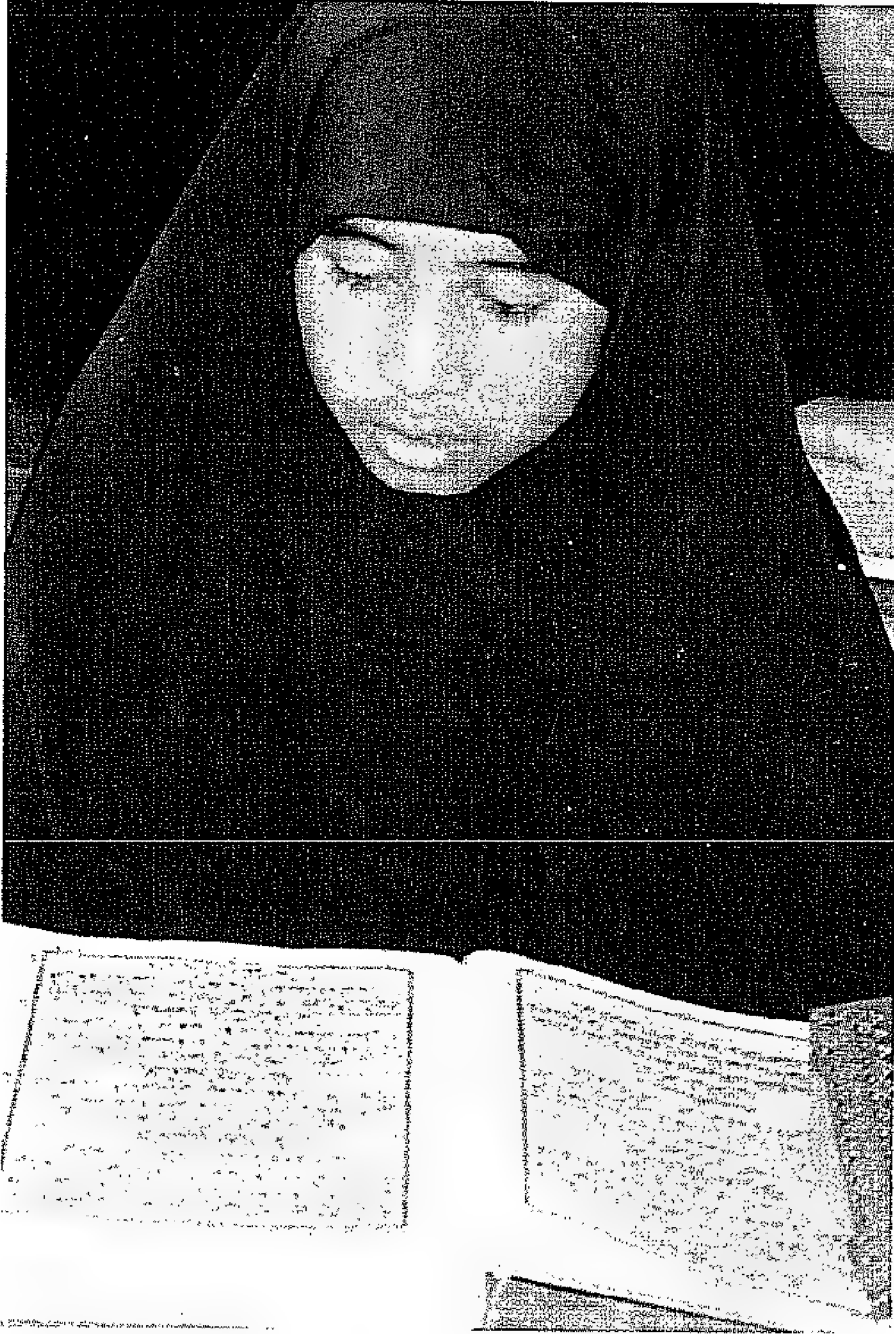
حجاب المرأة المسلمة الشروط والمواصفات

د. سعاد صالح: القوامة تكليف وليست بتشريف



طفلي الوليد كيف أعتني به؟

الصالحات والعاصيات في القرآن



حجاب المرأة المسلمة الشروط والمواصفات

بقلم: أماني أبو طالب أبو طالب

جاء الإسلام لينقذ المرأة مما تعانيه من ظلم وجور وهوان في هجير العبودية والشرك بالله، هذا وقد تبدل الحال غير الحال حيث وجدت المرأة في الإسلام درعاً حامياً وسنداً قوياً يدافع عن حقوقها ويحمي حرياتها ومنحها من الحقوق ما منح الرجل.

إلا أن أعداء الإسلام ومعهم سدنتهم من المسلمين دعاة التحلل وأصحاب الأقلام المسمومة والأصوات الفاجرة، وصفوها بأنها امرأة متخلفة ولن تكون عصرية متطورة إلا إذا سايرت المرأة الغربية.

فأعداء الإسلام يريدون المرأة المسلمة سلعة رخيصة تلفت الأنظار بتبرجها وخروجها عن حدود الله.

هذا وقد حدد الإسلام للمرأة شروطا للزي الإسلامي الذي ينبغي أن تخرج به من بيتها وهي:

١ ـ يجب أن يكون ساتراً لجميع بدنها ماعدا الوجه والكفين، ويجب أن يكون غير معطر حتى لا يلفت الأنظار إليها، فعن حديث أبي داود والترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيّما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية».

٢ ـ كما يجب أن لا يشبه لباس الكافرات، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم» رواه الحاكم والطبراني.

وأن يكون واسعاً غير ضيق فلا يشف ولا يبرز جسدها، فإن الستر لا يتحقق بالثوب الشفاف، بل يزيد من فتنة المرأة.

٣ ـ وألا يشبه لباس الرجال فعن أبي هريرة قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»، وعن عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليس منّا من تشبه بالرجال من النساء، ولا من تشبه بالنساء من الرجال».

أما إذا خرجت المرأة متبرجة كاسية عارية تتهافت عيون الكثيرين من ضعاف الدين بالنظر الخائن إليها، فإن كل نظرة سهم من سهام إبليس يوجه إليها سواء أكانت تدري أم لا تدري.

فالكاسيات العاريات اللواتي يلبسن ما يشف وما يصف وما يلفت النظر فهن عاريات من التقوى والإيمان، بل يقعن فريسة سهلة للقيل والقال، وتحيط بهن الشكوك والتهم، وتلوك الألسن بسمعتهن في السر والعلانية.

أما إذا كان ارتداء الحجاب ليس إيماناً به وإنما اتباعاً «للموضة» السائدة ومواكبة العصر حيث تلجأ بعض النساء إلى هذه الموضة لإبراز جمالهن بشتى الطرق والأساليب فيضعن مساحيق من كل شكل ولون جامعات بذلك بين أحدث ما وصلت إليه «الموضة» ومواكبة العصر والزيّ المحتشم، والإتيان بحركات تعبّر عن زينتهن والمشي بطريقة مثيرة ملفتة للأنظار، فهذا يتنافى مع ديننا الحنيف، فإن المقصود هو الالتزام بالحشمة والوقار عملاً بالدين ففي ذلك طهارة للنفس، وفيه ما هو أعزّ وأغلى وهو طاعة الله ورسوله وبالتالي الفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

أختي المسلمة: اعلمي جيداً أن مدى التزامك بالحجاب هو الدلالة القاطعة على مدى تغلغل الإيمان في قلبك، فلتزدد المرأة المسلمة تمسكاً بالحجاب وبإصرار ومضياً على الطريق فإنها ما وطئت موطئاً إلا كتب الله لها أجراً ونالت ثواباً. ■

أعد مكتبة هذا العدد
محمد أحمد عويس ـ القاهرة

*حياة النبي ـ دراسات في السيرة النبوية



المؤلف: د. صبحي عبد المنعم
دار النشر: العربي للنشر والتوزيع

المضمون: يعرض الكتاب لبعض من سيرة الرسول الكريم من خلال ستة فصول وتمهيد حيث يتناول التمهيد جغرافية شبه جزيرة العرب وسكانها الذين اختصهم الله سبحانه وتعالى بالرسالة المحمدية ثم يعرض لدول العرب قبل الإسلام، خصائص الحياة العربية قبل الإسلام، الدعوة إلى الإسلام في مكة، انتقال الدعوة خارج مكة، الهجرة وتنظيم شؤون المدينة وأخيراً يختتم الكتاب بتناول لأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ــ حتى يقتدي بها شبابنا.

*القيم التربوية في القصص القرآني



المؤلف: د. سيد أحمد طهطاوي
دار النشر: دار الفكر العربي

المضمون: حياة الإنسان حياة قيمية بمعنى أن كل إنسان يسير في حياته وفق مجموعة من القيم تتحدد في ضوئها شخصيته التي يعرفه بها بين الناس والقرآن الكريم كتاب دين ومن ثم فكل القيم التي يقيمها في أتباعه والمؤمنين به هي قيم تربوية والحديث عن هذه القيم كما يشير المؤلف يعتبر موضوعاً شائقاً ولكنه شائك أيضاً وهو شائق لأن القرآن الكريم هو مصدره الأول وشائك لكثرة ما دار حوله من دراسات.

*كيف نجعل أطفالنا علماء؟



المؤلف: د. كمال زيتون
دار النشر: دار النشر الدولي ـ الرياض

المضمون: معالجة لإحدى قضايا تعليم العلوم وهي تحويل النظرة إلى برامج العلوم المدرسية من كونها معلومات علمية يحفظها التلاميذ إلى نظرة جديدة ترى العلوم على أنها عمليات عقلية ومهارات يقوم بها العالم الصغير مستنداً إلى تفكير منطقي عقلاني منظّم يتوصل من خلاله إلى بيانات وحقائق ومفاهيم علمية بنفسه.

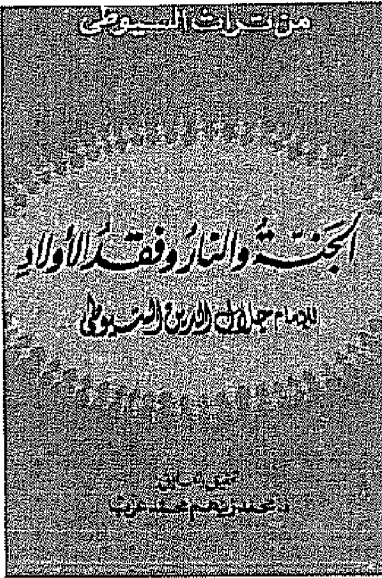
*تعليم الإسلام للأطفال ـ دليل لمعلمي التربية الإسلامية



المؤلف: د. حسن شحاتة، د. وضحى السويدي
دار النشر: الدار العربية للكتاب

المضمون: أنموذج فريد لدليل المعلم وتطبيقه في مجال التربية الإسلامية كما يُقدّم الكتاب خطة تربوية حديثة لتدريس كتاب «الإسلام للأطفال» الصادر عن المؤسسة الإسلامية في المملكة المتحدة وهو كتاب في التربية الإسلامية متفرد في منهجه ومضمونه يحبب الإسلام إلى الأطفال.

*الجنة والنار وفقد الأولاد



المؤلف: الإمام جلال الدين السيوطي
تحقيق د. محمد زينهم
دار النشر: دار الأمين

المضمون: مشكلة تطرق أذهان كل مسلم ومسلمة في كل زمان ومكان وهي: الجنة والنار وكيف ينزل الإنسان إلى البرزخ؟ وماذا يلقى أثناء ذلك؟ وقد ذيل المحقق الكتاب برسالة صغيرة تتناول فقدان الأولاد وما يضر الأسرة من حزن وألم معتمداً على ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

*الفكر الإسلامي وثقافة الطفل العربي



المؤلف: أحمد سويلم
دار النشر: مركز البيان للنشر

المضمون: تمثل التربية الثقافية جانباً مهماً في الأطر التربوية للطفل، حيث يتسع مفهوم التربية ليشمل مجالات ثلاثة هي: تنمية الجسم، تهذيب النفس، تثقيف الفكر، ويحاول المؤلف أن يحدد بعض العلاقات التي ينبغي التوقف عندها بهدف رسم خريطة التربية الإسلامية والبداية مع جذور هذه التربية الإسلامية قبل الإسلام في ضوء النظم الاجتماعية التي سادت المجتمع الجاهلي والتي مهدت بالحتم إلى ضرورة التغير ثم يتابع المؤلف أسس ومدارس وأشكال الفكر التربوي الإسلامي.

ظفرت «الوعي الإسلامي» بحوار شائق ممتع مفيد جديد، مع الشيخ الذي أحبه ملايين الناس، وأحبوا أحاديثه طوال أكثر من نصف قرن، وعشقوا مؤلفاته التي مازالت تطبع ويقبل عليها الصغار والكبار، والرجال والنساء.

الحوار أجرته معه حفيدته الأديبة عابدة المؤيد العظم، ذات الحس المرهف، والقلم المتميز، وقد خصّت «الوعي الإسلامي» بهذا الحوار، فشكر الله لها، وجزاها عنّا خيراً كثيراً.

في حوار شائق مع الشيخ المتألق علي الطنطاوي

أكثر من ثلاثة ملايين صفحة قرأها الطنطاوي.. فكم قرأتم أنتم!؟

أجرت الحوار حفيدته: عابدة العظم

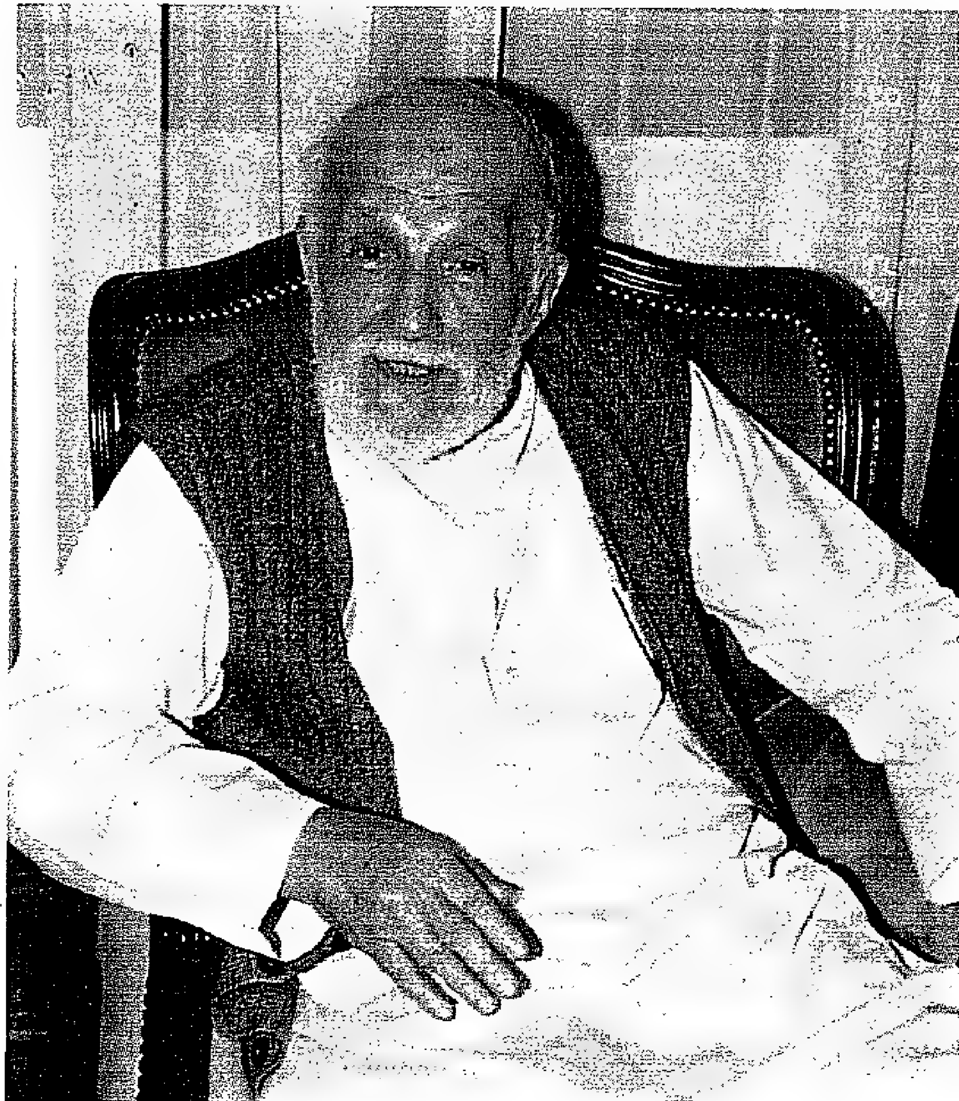
لجدي «الشيخ علي الطنطاوي» علاقة بالكتب، وتجربة مع القراءة، طولها ثمانون عاماً، فقد بدأ - منذ وعى - بالتعرف على مراجع العلم وأمّات الكتب، ثم لم يزل يقرأ كل يوم ساعات طوالاً معظم سنّي حياته، فصرف في القراءة ما يصرفه أقرانه في اللهو واللعب صغيراً، ثم جعلها شغله وعمله ومعظم شأنه كبيراً، فمن أجل ذلك كانت تجربته مع القراءة من أطول تجارب الناس في هذا الزمان، وكانت خبرته بها من أعظم الخبرات التي تعيش الآن على الأرض، فتعالوا نشارك الشيخ في هذه الرحلة، ولكن لا تصرفكم متعة الاطلاع عليها عن النفع والفائدة، والعبرة فيها، ثم لا تنسوا الدعوة له ـ بظهر الغيب - بالصحة والعافية وانشراح الصدر في الدنيا، والمغفرة والجنة في الآخرة.

عشرات الكتب قرأها في المرحلة الابتدائية

● الناس يعرفون كتب العلم - إذا عرفوها - كباراً، وحتى لو بدؤوا بالقراءة صغاراً فلا يكادون يقرؤون سوى حكايات الأطفال والقصص المصورة، ولكنك عرفت كتب العلم وقرأت فيها صغيراً، فكيف كان ذلك؟ وفي أي سنّ كنتَ يومئذ؟

«كنت ومنذ وعيت أجد ـ إذا أصبحت - مشايخ بعمائم ولحى، ناس هم أصحاب أبي وأصدقاؤه - من جلّة علماء البلد يومئذ - يقرؤون عليه، وكنت أدخل بالماء أو بالشاي فألتقط كلمة بعد كلمة لا أفهم معناها، ولكن تبقى في نفسي ذكراها، ثم صار أبي يأمرني: أن أناوله الجزء الأول من «حاشية ابن عابدين»، أو الثاني من «الفتاوى الهندية»، أو جزءاً من «القاموس»، فعرفت بعض أسماء الكتب.

وكان أبي يصحبني أحياناً معه لزيارة الكبار من تلاميذه أو إخوانه، فأسمع ولا أتكلم، كنت أقعد في طرف المجلس حيث لا ينتبه إليّ أحد، ولكني كنت كالمسجلة التي تثبت على شريطها كل صوت يخرج من



■ صرف في القـــراءة صغيرا مـــا يصرفـه أقـرانـــه في اللهـو واللعب
■ أمـران وراء إقبـــال جيل الشيـخ على القــــــــراءة والعلـم

حولها.
ثم دخلت المدرســــة، فتلقيت فيها من العلم ما لا أجد مثله في منـاهج المدارس الـرسمية، وقـرأت من الكتب مـا لا يقـرأ مثله تلميذ في مثل سني يومئذ، ولـو حـدثتكم عن الكتب التي قرأتها وأنـا في تلك السن، وأنا تلميـذ في السنـة الســـادسـة الابتدائية لما صدقتم: عشرات من كتب العلم والتـاريخ والأخبار، وفي بعضهـا ـ كقصـة عنترة والملك سيف وأخبار الفروسية وأنباء البطولة، وكذلك من الأكاذيب والانحرافات، ما لا مزيد عليه.

إقبالنا على القراءة و إقبالهم

● **هل كان لأساتذتك ومشايخك دور في تـوجهك المبكّـر إلى الكتب وإقبـالك على القراءة؟**

ـ «نعـم، ولطالما دلنـا أستاذنـا المبارك على كتب قـرأتها وانتفعت بها، وهي رأس مـالي من العلم، ولولاه ما سمعت بها، وكـان يدلنا على الكتاب فأسرع إلى قـراءته ـــ إن كان في مكتبتنا ـ أو شرائه ـــ إن لم يكن عندنا حتى أنـه سمّى مـرة لنا كتـاب «الـروض الأنف للسهيلي» فشريته عند خروجي من المدرسة ومـا بتّ حتى تصفحته وقـرأت منه جـزءاً وفيراً...»

● **وهل كان إقبال الطـلاب ـ يومذاك ـ على العلم أكبر من إقبالهم، اليوم، ولماذا؟**

ـ «أمـا إقبالنـا على العلم فقد كـان أكبر من إقبال الطلاب الآن من غير شك، وسبب ذلك أمران:
الأول أننا كنا في بـداية يقظة فكريـة جاءت بعد نوم طويل.
والثاني أنـه لم تكن عنـدنا هـذه الصوارف التي ازدحمت على الطالب اليـوم والملهيات التي حفّت بـه في الـرائي والسينما... وكـرة القدم وأنواع الفنون، وأمثال هذا مما لم يكن على عهدنا منه شيء، أو كان منه شيء لا يكاد يُعَد شيئاً، فنحن لم نكـد نجد ملهاة تصرفنا حقاً عن التحصيل، وهم لا يجدون ـــ لكثرة الملهيات ووفرة المسليات ـ وقتاً للتحصيل.
والتـلاميذ اليـوم يقـرعون أبـواب المدارس المتوسطة ومـا معهم من العلم إلا ما كان في كتب المدرسـة الابتـدائيـة، وكثير منهم لم يقرأها كلها، أو قرأها ولكن لم يفهمها كلها، أو فهمهـا ولكن لم يحفظهـا كلها، ومـا ذاك لأنهم أقل ذكـاء أو أضعف إدراكا، بل لأننـا كنـا أشد منهم رغبـة في العلم وتقـديراً لـه وحـرصـاً عليه، كنـا نفـرح إن ازددنـا علم مسألـة لم نكن نعرفهـا، وهم يفرحـون إن حطت عنهم مسألـــة كـــانـوا سيكلفـــون عملها!».

كم كان يقرأ؟

● **أكنت تشتغل بـالقراءة في أي وقت أم تتركها لوقت فراغك، وكم من الوقت كنت تمضي فيها؟**

ـ «كنت أمضي يومي ـ إلا ساعات المدرسة ـ في الدار لا أجـد ما أشغل به نفسي وأمـلأ به فراغ حيـاتي إلا القراءة، فإذا أكملت كتـابة وظـائفي ومطـالعة درسي مـددت يـدي إلى المكتبة فسحبـت كتاباً، لأني مـا كنت ألعب مع الأولاد في الشـارع ولا أذهب مع الشباب إلى ملهى، ولست أمـرءاً اجتماعيـاً يضيع وقتــه، لــذلك كنت أصرف وقتي كلــه في القراءة، فحيـاتي كلها: ثلثـهـا نوم، وثلثهـا عمل لابـد منه ولا غناء عنـه، والباقـي منها أنفق أكثـره في المطــالعـة، فهي أنس نفسي وغذاء عقلي.
ولـو أحصيت معـدّل الســاعـات التي كنت أطالع فيها لـزادت على عشر في اليوم، لأنني منذ الصغر شبه معتزل، بعيد عن المجتمع، فلو جعلت لكل ساعـة عشرين صفحة: أقرأ من الكتب الـدسمـــة نصفهـا، ومن الكتب السهلـة نصفهـا لكـان لي في اليـوم مئتـا صفحة: أتنازل عن نصفها احتياطياً وهرباً من المبالغة وخوفاً من الكذب، وإن كنت لم أكذب ولم أقل إلا حقـاً ـ فهـذه مئة صفحـة في اليوم.
فاحسبـوا كم صفحـة «قرأت من يوم تعلمت النظر في الكتب وامتدت يـدي إليها، ثمانـون سنـة في كل سنـــة اثنـا عشر شهـراً، في كل شهـر ثلاثـون يومـاً، في كل يوم مئـة صفحة، فإن هـالكم الرقم فاحسموا منه نصفه، فكم يبقى؟»

مجالسة العلماء لا تقل نفعاً

● **هل كنت تقرأ كل كتاب يصل إليك؟**

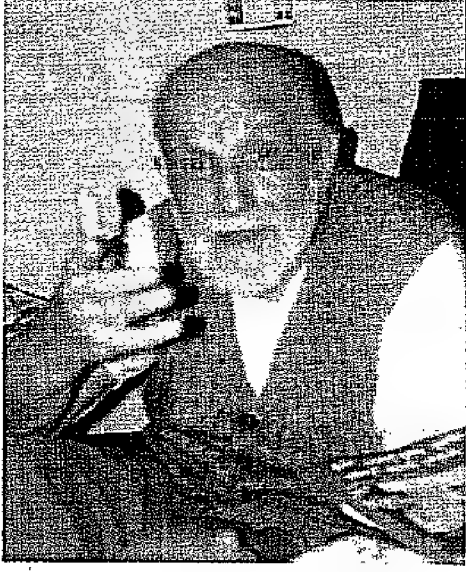
ـ كانـت لدينا مكتبة حافلـة، أسحب منها ـ أوقات فـراغي ـ كتابـاً فأفتحه وأنظـر فيه، فإن لم أفهمه ـ أو فهمتـه ولكن لم استسغه ـ أعدته إلى مكـانه وقد رسخ في نفسي اسمه واسـم مؤلفه، وإن أعجبني قرأته.
ولكن جلّ انتفـاعي كان بمجـالسة العلماء، فما أسمعه منهم ينقش في ذهني فلا أنساه، وإن سمعت منهم اسم كتاب، أو قرأت شيئاً منقولاً عنه أو معـزوّاً إليه، بحثت عنه حتى وجدته فقرأته، وكنـت ـ ولا أزال ـ أقرأ في كل علم: في التفسير، وفي الحديث، وفي الفقـــه، وفي التـــاريخ، وفي الأدب، وفي العلـــوم على تنوعها وتعددها».

● **يبدو أنك كنت تفضل القراءة في كتب القدماء عن القراءة للكتّاب المعاصرين؟**

ـ «كـان الذيـن يكتبون عنـدنا قـلائل، وما يصل إلينـا من مصر مـن الكتب والمجـلات قليـلاً أيضـاً، وكنت لا أمــد إليـه يـداً لأن الأستاذ الجندي كان يحذرنا منه لئلا تفسد بـه ملكـاتنـا ويسري اللحـن إلينـا، لـذلك اقتصرت قراءاتي إلى آخر الدراسـة الثانوية على كتب الأدب القـديم، فقـرأت «الأغـاني» كله ـ وإن لم أفهمـه كله ـ و«العقد الفـريد» و«البيان والتبيين»، ومـا كـان في مكتبتنا من أمثال هذه الكتب ومـا كان فيها من دواوين الشعراء، ولم أعرف من الأدب الجديد إلا ما كتبـــه المنفلـوطـي في «النـــــظرات» و«العبـرات» وما تُرجم له فصاغه بقلمه من القصص والـروايـات، ومجلـة «الـرابطـة الأدبية».

■ عشر ساعات معدل مطالعات الشيخ كل يوم...!

■ هكذا يفيض الطنطاوي صفات الأحياء على الكتب



الكتب كالناس

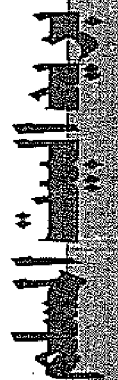
● **قلت إنك كنت منذ الصغر شبه معتزل، بعيداً عن المجتمع، تصرف في القراءة جلّ وقتك، وقد كنت تحمل الكتب معك في أسفارك، فهل جعلت من الكتب صحبك وأصدقاءك ورفاق ارتحالك؟**

ـ «نعم، كنت أختار الكتب وأحملها معي، كنت أرى الكتاب فأقول إنه يفيدني، والثاني فأرى أنه يسليني... وكتب العالم أو طالب العلم «مثلي» هم أصدقاؤه، ونفسي لا تطاوعني في التخلّي عن أحد من أصدقائي.

بل إنني ـ لطول معاشرتي الكتب وابتعادي «إلا عند الاضطرار» عن الناس، أفيض عليه صفات الأحياء من الأصدقاء: فهذا مخلص، ولكنه قبيح الصورة، صعب العشرة، وهذا عالم مطلع ومعلم نافع، ولكنه ثقيل الدم بعيد عن القلب، وهذا خفيف الروح يسليك ويطربك ولكن لا تخرج من صحبته بطائل، وهذا حبيب إليك لا تملّ رفقته ولا تحتمل فرقته، وهذا بغيض إليك مفروض عليك.... وأمثال ذلك».

وبعد، تلك كانت ـ أيها السادة ـ وقفات مع واحد من قرّاء العصر: الشيخ علي الطنطاوي، وهو لو أحصي ما قرأه من كتب العلم لقارب عدد صفحاته ثلاثة ملايين أو جاوزها! ربما بدا هذا خيالاً، وقد لا يصدقه كثير من الناس لغرابته، ولكنه الحقيقة التي لا ريب فيها.

أفلا يكون في هذه التجربة لكل قارىء منّا النفع والعبرة والفائدة؟! ■



تهنئة حارة للبيت المسلم

يسعدني ويشرّفني أن أكتب إليكم معبراً عن سروري وفرحي وأمنياتي لهذا الجهد الإعلامي المتميز المتمثل في هذه الإضافة الجديدة إلى مجلتنا العربية الإسلامية الغراء «الوعي الإسلامي» التي تحرص دائما على التطوير والتحديث... فقد تم «البيت المسلم» في عدد من الصفحات كافية، وفي عدد من الزوايا المتنوعة التي تغطي جوانب متعددة.

تهنئة حارة لهذه الإضافة... بل لهذا الباب الرئيسي والأساس الذي يُشرّف بريادتكم.

ويشرّفني أن أكون من بين كتّاب هذه المساحة الإعلامية التربوية التي تهم كل من في «البيت المسلم».

هذا بالإضافة إلى الإخراج الصحافي الجيد.

ويمكن لي بعون الله تقديم المادة الصحافية التربوية في أكثر من صورة.

١ ـ يمكن إعداد «مائدة العائلة» أو مائدة الأسرة في صفحتين على الأقل تتضمن أكثر من زاوية أو أكثر من طبق تربوي.

٢ ـ إعداد الدراسات التربوية حول كل ما يهم الأسرة.

٣ ـ إعداد اللقاءات الفكرية مع كبار العلماء حول اهتمامات وقضايا الأسرة.

٤ ـ مكتبة الأسرة... عرض وتلخيص لكتاب يهتم بالأسرة وبمقوماتها وبأفرادها.

٥ ـ مسابقة دينية حول الأسرة في القرآن الكريم والحديث القدسي والحديث النبوي الشريف. ■

محمد عصمت مهدي

الزقازيق ـ مصر

ـ نشكرك أيها الأستاذ الفاضل على ثقتك الغالية، ويسرنا أن نعلمك أننا نرحب بكل إسهاماتك الطيبة في «البيت المسلم».

ردود خاصة

ـ الدكتور أحمد عامر: قصيدتك «جراح الياسمين» جميلة، ولعلها تناسب مجلة أخرى أكثر من مناسبتها للوعي الإسلامي، وشكراً لك.

ـ فايزة عبدالحليم محمد عبدربه: قصتك «إرادة الله» ذات هدف نبيل، لكنها ملأى بالأخطاء اللغوية والنحوية، يرجى المحاولة مرة أخرى، وأهلاً بك.

ـ خالد عبدالبصير قطب: قصيدتك «يا بنتي» جميلة جداً وقد نشرناها لك في هذا العدد.

الرسالة الفائزة

غرس العقيدة منذ ميلاد الطفل

عن أبي رافع رضي عنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذّن في أذن الحسن بن علي رضي الله عنهما حين ولدته فاطمة رضي الله عنها بالصلاة «وكان أذانا كأذان الصلاة في الأذن اليمنى، وإقامة الصلاة في الأذن اليسرى» (رواه الترمذي).

وهكذا يبدأ الإسلام «مبكراً» في غرس العقيدة السليمة «منذ ميلاد الطفل».

والحكمة من ذلك أن يكون «أول ما يطرق سمع المولود: تكبير الله وشهادة الإسلام»... كما أن للأذان أثرا عظيما في نفس الوالدين، فإنهما سيدركان أن تقويم الوليد بالمبادىء القويمة وتعليمه الصلاة عندما يدرك، أمر لازم تتحقق به سعادة المولود والوالدين في الدنيا والآخرة.

وفي وصية لقمان التي أوردها القرآن مثل لغرس العقيدة السليمة:

(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) لقمان ـ ١١، (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور. ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) لقمان ١٧ ـ ١٩.

ـ ولقد ولدت لصديق لي طفلة فسماها «آمنة»، وكنت أزوره يوما فمرت بنا المربية تحمل الطفلة التي كانت في شهورها الأولى، وما كادت الطفلة تلمح أباها حتى مالت نحوه فحملها، وهنا رأيت صورة تربوية رائعة، فقد أخذ الأب يهدهد طفلته بترديد «لا إله إلا الله، لا إله إلا الله..»، والطفلة تهتز طرباً ونشوة، ثم حملتها المربية إلى داخل البيت، وبعد قليل ترامى إلى سمعي صوتها وهي تردد على مسامع الطفلة: «الله أكبر،لا إله إلا الله» إنها حقا صورة رائعة «للبيت المسلم» نسأل الله أن يكثر من أمثالها. ■

لواء أ.ح.
محمد جمال الدين محفوظ

شعر

يا بنتي

خالد عبدالبصير عبدالحفيظ قطب

يا بنتي إن أردت آية حُسْنٍ
وجمالاً يَزِينُ جسماً وعقلاً
فانبذي عادة التبرج نبذاً
فجمالُ النفوس أسمى وأعلى
يصنعُ الصانعون ورداً ولكن
وردة الروض لا تُضارعُ شكلاً
صبغة الله صبغة تبهر النفـ
ـس تعالى الإله عزّ وجلا
ثم كوني كالشمس تسطعُ للنا
س سواء: مَنْ عزَّ منهم وذلا
وامنحي المثريات ليناً ولُطفاً
وامنحي البائسات براً وفضلاً
زينة الوجهِ أن ترى العينُ فيه
شرفاً يسحر العيون ونُبْلاً
واجعلي شيمة الحياء خماراً
فهو بالغادة الكريمة أولى(١)
ليس للبنت في السعادة حظ
إن تناءى الحياء عنها وولى
وإذا ما رأيت بؤساً فجودي
بدموع الإحسان يهطلن هطلاً
فدموع الإحسان أنضر في الخدِّ
وأبهى من اللآلى وأغلى
وانظري في الضمير إن شئت مرآة
ففيه تبدو النفوس وتجلى
ذاك نُصحي إلى فتاتي وسؤلي
وابنتي لا تردُّ للأب سؤلاً

(١) الحياء لا يغني عن الخمار، وهو فرض فرضه الله على المسلمة، ولعل الشاعر أراد اجتماع الحياء والخمار (البيت المسلم).

سيظل المسلمون بخير ما تمسكوا بدينهم، والتزموا بأحكامه... فنفذوا أوامره، واجتنبوا نواهيه. وسيصل المسلمون إلى التطبيق الصحيح لأحكام الإسلام إذا تعلموها وعلّموها ودرسوها... وتدارسوها، وعرفوها وعرفوا بها، وهذه كلها واجبات على كل قادر.



د. سعاد صالح لـ«البيت المسلم»:

القوامة تكليف وليست بتشريف

بهذه الكلمات البليغة استهلت الدكتورة سعاد صالح عميدة كلية الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة الأزهر لقاءنا معها، حيث توجهنا إليها بسؤالنا حول أسباب وجود مشاكل في البيت المسلم؟

وكانت إجابتها: ربما توجد بعض المشاكل لأسباب كثيرة منها أولاً: عدم الالتزام بالمنهج الإسلامي في تنظيم العلاقة بين الزوجين، وهي المبيّنة بقوله تعالى في سورة البقرة الآية/١٢٨: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)، وهي تفيد أن كل ما يطلبه الزوج من زوجه: حب واحترام ووفاء وتكريم وأمانة وعدم مضرة ومعاشرة بالمعروف، وبالمثل يجب عليه أن يقدّم مثل ما يطلبه منها، حتى ان ابن عباس رضي الله عنه، والملقب بترجمان القرآن، قد قال في تفسير هذه الآية الكريمة: «والله إني لأحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين هي لي» تنفيذاً لهذه الآية.

ثانياً: سوء فهم درجة القوامة المعبّر عنها في الآية السابقة (وللرجال عليهن درجة)، والمفسرة في آية أخرى في قوله تعالى في سورة النساء الآية/٣٤: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)، حيث يعتبر الرجل أن هذا التفضيل مطلق وليس مقيداً وأنه قوام رئيسي للأسرة مستبد برأيه ناسٍ أن الأصل في الحياة الزوجية هو التشاور والتراضي لقوله تعالى في سورة البقرة الآية/٢٣٣: (فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما) ولذلك فإن القوامة في الإسلام درجة مسؤولية وتكليف وليست بتكريم ولا تشريف، فهي تعطي للمرأة حقوقاً وتفرض على الرجل واجبات، ولابد لهذه الدرجة أن تكون منوطة بالزوج الذي يلتزم بالإنفاق على بيته وأسرته لقوله تعالى في سورة النساء الآية /٣٤: (وبما أنفقوا من أموالهم) فالزوجة في الإسلام بصفة خاصة والمرأة بصفة عامة ليست مطالبة بالإنفاق على نفسها في مرحلة من مراحل حياتها مهما كانت غنية أو موسرة، أما الآن فإننا نشاهد اغتصاب بعض الأزواج لمكاسب زوجاتهم ومدخراتهن المالية ومرتبات عملهن بدعوى أنه قوّام على الأسرة، والله سبحانه وتعالى من تكريمه للمرأة جعل لها الحق في الاكتساب والامتلاك وأنه لا يحق لأي أحد مهما كان أن يأخذ شيئاً من مالها إلا عن طيب نفس منها لقوله تعالى في شأن المهور في سورة النساء الآية /٤: (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً).

ثالثاً: سوء فهم خروج المرأة للعمل من قِبَل الزوج حيث تعتقد المرأة أن العمل حق مكتسب لها مطلقاً حتى لو كان يطغى على عملها الأصلي كأم أو زوجة، وتنظر إلى العمل كأنه تحقيق لذاتها وشخصيتها، ونسيت ما ينتظره منها زوجها وأبناؤها، فالعمل وإن كان مباحاً للمرأة كالرجل إلا أنه مقيد بحاجة المرأة للعمل وحاجة العمل للمرأة، وبشرط الا يطغى دورها الأساسي كأم وزوجة، ولأنها ليست مطالبة بالإنفاق على زوجها أو بيتها، فالله سبحانه وتعالى منذ أن خلق آدم وحواء جعل لكل منهما دوره في الحياة، وذلك في قوله تعالى: (................. فتشقى)، فنسب الشقاء لآدم وحده ولم يقل فتشقيان، وعلى ذلك، فالرجل هو الذي يخرج فيكدح ويتعب لكي ينفق على البيت، فدورها هو السكنى وتهيئة الراحة في البيت للتخفيف عن أعباء الزوج الكادح، ومن هنا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة».

رابعاً: إفشاء أسرار البيت من قِبَل الزوجة أو الزوج أو الاثنين معاً، ولقد نهى الإسلام نهياً مشدداً على ذلك وشبه الرسول الكريم الزوجة أو الزوج اللذين يفشيان أسرار بيتهما بالشيطان والشيطانة اللذين يقضيان حاجتهما في الطريق العام، وذلك لأن الأصل في الحياة الزوجية السرية.

وقد عبّر القرآن الكريم عن العلاقة الزوجية في سورة البقرة الآية ١٨٧ تعبيراً بليغاً ينطوي على معان جليلة (هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن)، والتشبيه باللباس أي الساتر الذي يستر العورات ويقي من السيئات.

خامساً: افتقاد القدوة للأبناء داخل البيت المسلم، فالأبناء أمانة في أيدي آبائهم إن أحسنوا إليهم أثابهم الله وإن أساؤوا إليهم عاقبهم الله، وهم مخلوقون مزودون بقوى فطرية تصلح لأن توجه للخير كما تصلح لأن توجه للشر لقوله صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة» وواجب التربية على الآباء لأبنائهم واجب حتمي مأمورون به في قوله تعالى كما في سورة التحريم الآية /٦ : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، فالزوج راع في بيته ومسؤول عنه، والزوجة راعية في بيتها ومسؤولة عنه.

أما ما نراه الآن من سفر أحد الزوجين بقصد التربّح وجمع المال وترك الأبناء من دون أحد الوالدين سواء أكان الأب أم الأم، فإن ذلك يترتب عليه عواقب وخيمة يدفع ثمنها الأبناء.■

الصالحات والعاصيات في القرآن

ورد في القرآن الكريم ذكر العديد من النساء، واحدة منهن فقط بالتصريح، وهي السيدة مريم بنت عمران، والباقيات كلهن بالتلميح، بعضهن صالحات عابدات مؤمنات، وبعضهن عاصيات مذنبات كافرات، وذلك ليكون في ذكرهنّ الخير للمؤمنين، وللمؤمنات العظة والدرس، والأنموذج في الاقتداء بهن أو الابتعاد عن مثل أفعالهن، شأن ذلك شأن كل القصص القرآني (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الأباب)(١)، والحمد لله فإن عدد من ذُكِرْنَ في القرآن الكريم من العابدات المؤمنات يفوق بكثير عدد العاصيات الكافرات.

د. فاروق مساهل

■ روى البخاري ٢٤٢ حديثاً عن السيدة عائشة رضي الله عنها

■ قال فرعون: «ألا تعجبون! إنا نعذبها وهي تضحك»

■ ذكرت مريم عليها السلام في القرآن ٣٤ مرة

■ توفيت عائشة ـ رضي الله عنها ـ في رمضان عن ٦٦ سنة

فالصالحات هن: السيدة حواء، ومريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وأمهات المؤمنين: عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش «رضي الله عنهن»، وزوجة سيدنا إبراهيم، وأم وأخت وزوجة سيدنا موسى، وزوجة سيدنا زكريا، وزوجة سيدنا أيوب، وملكة سبأ، والمجادلة «خولة بنت ثعلبة»، والواهبة نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم «أكثر من واحدة».

والعاصيات هن: امرأة سيدنا نوح، وامرأة سيدنا لوط، وامرأة أبي لهب.

أما امرأة عزيز مصر فاختلفت الروايات فيها، منها أنها لم تؤمن «ابن القيم» ومنها أنها آمنت «سيد قطب»، ومن المفسرين «الزمخشري وابن كثير وغيرهما» مَنْ يرى أن التوبة والمغفرة من كلام سيدنا يوسف وليس كلام امرأة العزيز.

ولقد فُضلت بعض الصالحات على الباقيات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»(٢)، أما الكافرات فكلهن في النار.

وفيما يلي ذكر المناسبة القرآنية الخاصة بأفضل المؤمنات منهن ثم المذنبات مع نبذة عن حياتهن.

آسية امرأة فرعون

قال الله تعالى: (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين)(٣)

إن المثل الذي ضربه الله سبحانه وتعالى بزوجة فرعون هو مثل لكل المؤمنين، بأن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره طالما أنه لا يعتقد في رأيه، ولا يعمل عمله، ولا يقتفي أثره، فها هي امرأة فرعون تبرّأت من الحياة المتعة في القصور، وتنصلت من انتمائها إلى الطاغية، فارة إلى الله سبحانه وتعالى، فكانت أنموذجا عالياً في التجرد له سبحانه، ومن التخلص من كل المؤثرات والمغريات.

وهي التي أقنعت فرعون بعدم قتل موسى الرضيع حينما التقطه آل فرعون من اليمّ، وقامت بتبنيه والصرف عليه حينما أعاده الله سبحانه وتعالى إلى أمه بقبوله الرضاعة منها.

وقام فرعون بتعذيب زوجه، لكنها صبرت واحتسبت، ودعت الله سبحانه وتعالى أن يكتبها من الناجين من براثن فرعون وزبانيته، وأن يبني لها بيتاً في الجنة، قال العلماء: إنها رأت بيتها في الجنة، فضحكت حين رأته، فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها! إنا نعذبها وهي تضحك، فقبض الله روحها في الجنة.

ولقد خلّدها تعالى بأن جعلها قرينة مريم في القرآن الذي يُتلى ليلاً ونهاراً في طول الدنيا وعرضها.

مريم بنت عمران

يقول تعالى: (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين)(٤)، وتعرف بالبتول «أي العذراء المنقطعة عن الزواج»، وهي الوحيدة من دون النساء التي ذكرت في كتاب الله باسمها الذي تردد أربعاً وثلاثين مرة، ولها فيه سورة كاملة باسمها، ودائماً يتكرر ذكرها في الأحاديث النبوية عند التفضيل بين نساء العالم، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خير نساء العالمين أربع، مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت رسول الله»(٥).

وكانت زوجة عمران «أم مريم» لا تحمل،

فدعت الله سبحانه وتعالى أن يهبها ولداً، فاستجاب لها، فنذرت ما في بطنها خالصاً متفرغاً لخدمة بيت المقدس، فلما وضعت مريم قالت إني وضعتها أنثى، والأنثى ليست كالذكر في القوة والجلد وخدمة المسجد الأقصى، (فتقبّلها ربها بقبول حسن وكفلها زكريا)(٦)، الذي كلما دخل عليها في مكان عبادتها وجد عندها الرزق الوفير الذي وهبها الله إيّاه.

وقصة حملها في عيسى عليه السلام ثم ولادته لمن المعجزات الخارقة، وحينما استنكر قومها ذلك جاءت معجزة أخرى: تحدّث إليهم سيدنا عيسى في المهد مدافعاً عن أمه، لكن هذا لم يمنع اليهود من اتهامها بارتكاب الفاحشة، وناصبوها وابنها ـ عليهما السلام ـ العداء حتى يومنا هذا.

أم المؤمنين عائشة

هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة، وهي بنت سبع سنين، وبنى بها في المدينة وهي بنت تسع سنين أو عشر، ولم يتزوج بكراً غيرها، وكانت أحب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إليه، وجاء ذكرها تلميحاً في القرآن الكريم عند استعراض حديث الإفك: (إن الذين جاؤوا بالإفك(٧) عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم، لكل امرىء ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم)(٨)، وكانت فتنة كبيرة امتحن الله فيها المؤمنين، وانفضح فيها أمر المنافقين، حتى أنزل الله سبحانه وتعالى تبرئتها: (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم)(٩).

وكانت السيدة عائشة تفخر على باقي أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم قائلة: لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتهن امرأة إلا مريم بنت عمران، لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته «أي في يده» حتى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكراً غيري، ولقد قُبض ورأسه في حجري، ولقد قبرته في بيتي، وإن الوحي لينزل وهو في أهله فيتفرقون عنه وإن الوحي لينزل وإني معه في لحافه، وإني لابنة خليفته وصدِّيقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلقت طيّبة وعند طيّب، ولقد وُعدت مغفرة ورزقاً كريماً»(١٠)، وبسببها نزلت آية التيمم.

وكانت رضي الله عنها واسعة العلم، يلجأ إليها الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونها في أمور الدين والدنيا، فعن أبي موسى الأشعري قال: «ما أُشكل علينا، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً»(١١)، وروى لها الإمام البخاري في صحيحه مئتان واثنان وأربعون حديثاً.

ولقد توفيت السيدة عائشة ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان سنة ثمان وخمسين للهجرة وهي ابنة ست وستين سنة، وحضر جنازتها أكثر أهل المدينة، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه.

امرأة نوح وامرأة لوط

يقول تعالى: (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين)(١٢)، يضرب القرآن المثل بالكافرين بزوجتيْ نبيين عظيمين، لكنهما لم تؤمنا بهما، فلم تغن صلتهما وقرابتهما من هذين الرسولين من الله شيئاً، ومصيرهما إلى جهنم وساءت مستقراً، قال تعالى: (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم)(١٣).

والخيانة هنا لم تكن الفاحشة، فامرأة سيدنا نوح كانت تخبر أنه مجنون، وكانت خيانة امرأة لوط عليه السلام في أنها كانت تجاري القوم على فسقهم، ودلت قومه على أضيافه، ولقد نعتها القرآن سبع مرات في أماكن متفرقة بأنها من الغابرين أي الهالكين، ومصير الزوجتين النار يوم الدين.

امرأة أبي لهب

قال تعالى: (تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى ناراً ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد) (١٤).

وامرأة أبي لهب كانت من سادات نساء قريش، واسمها أروى «أم جميل» بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، وكانت تلقي الشوك في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويوم القيامة تصلى جهنم مع زوجها، وسيكون في عنقها حبل من نار، وهذا قمة الازدراء بها وغاية السخرية منها، وهي المرأة المعجبة بنفسها ذات الحسب والنسب.

قال العلماء: وفي هذه الصورة معجزة ظاهرة، ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نزل قوله تعالى: «سيصلى ناراً ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد)، فأخبر عنها بالشقاء وعدم الإيمان، ولم يُقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما، لا باطناً ولا ظاهراً، لا سراً ولا علناً، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة، على النبوة الظاهرة.(١٥) ■

الهوامش

١ يوسف: ١١١.
٢ ـ متفق عليه، لم يرد ذكر السيدة خديجة في القرآن.
٣ ـ التحريم: ١١.
٤ ـ آل عمران: ٤٢.
٥ ـ رواه الترمذي وأحمد وابن حبان والحاكم.
٦ ـ آل عمران: ٣٧.
٧ ـ أبلغ ما يكون من الافتراء والكذب.
٨ ـ النور: ١١.
٩ ـ النور: ٢٦.
١٠ ـ رواه أبو يعلى
١١ ـ رواه الترمذي.
١٢ ـ التحريم: ١٠.
١٣ ـ الممتحنة: ٣.
١٤ ـ سورة المسد.
١٥ ـ مختصر ابن كثير: ج٣ ص ٦٩٠.

المراجع:

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ مختصر ابن كثير ـ دار القرآن الكريم ـ بيروت.
٣ ـ التفسير القيم للإمام ابن القيم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٤ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ دار الشروق ـ القاهرة.

روى أحمد وأبو داود وابن ماجة والطحاوي والطبراني وابن الجارود من حديث جابر بن عبدالله وابن مسعود وعبدالله بن عمرو وغيرهم ـ بألفاظ متقاربة ـ أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن لي مالا وولدا و إن والدي يريد أن يجتاح مالي(١)، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أنت ومالك لأبيك»، وزيد في بعض الروايات «إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا من كسب أولادكم» حديث صحيح.(٢)

«أنت ومالك لأبيك»

إعداد: أ.د. نزيه حماد

قال القاضي ابن العربي: والمعنى أن أباك كان سبب وجودك، ووجودك كان سبب وجود مالك، فصار لـه بذلك حق، كان به أولى منك بنفسك ومالك، وأجمعت الأمة على هذه الحقيقة في الجملة، واختلفوا في تفاصيلها.(٣)

ومع أن الفقهاء اتفقوا على أن الابن يملك ملكا تاما، ويصح تصرفه فيه بسائر الوجوه المشروعة، فقد اختلفوا في مدلول حديث «أنت ومالك لأبيك» نظرا لتعارض ظاهره، الذي هو إطلاق سلطة الآباء على أخذ مال الأبناء مع بعض القواعد العامة في الشريعة الثابتة بنصوص الكتاب والسنة، ما بين موسع ومضيق، وذلك على ثلاثة مذاهب:

أحدها: لبعض أهل العلم من الصحابة، وهو أن يد الوالد متبسطة في مال الابن، يأخذ منه كيف شاء، كتبسطها في ماله.(٤) وإلى ذلك مال الشوكاني حيث قال في نيل الأوطار: «فدل الحديث على أن الرجل مشارك لولده في ماله، فيجوز له الأكل منه، سواء أذن الولد أو لم يأذن، ويجوز له أن يتصرف به كما يتصرف بماله، ما لم يكن ذلك على وجه السرف والسفه»(٥).

وقد أنكر جماهير أهل العلم حمل الحديث على ظاهره والأخذ بإطلاق لفظه فقال الطحاوي: قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا ليس على التمليك منه للأب كسب الابن، وإنما هو على أنه لا ينبغي للابن أن يخالف الأب في شيء من ذلك، وأن يجعل أمره فيه نافذا، كأمره فيما يملك، ألا تراه يقول «أنت ومالك لأبيك» فلم يكن الابن مملوكا لأبيه بإضافة النبي صلى الله عليه وسلم إياه، فكذلك لا يكون مالكاً لماله بإضافة النبي صلى الله عليه وسلم إليه.... وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حرَّم أموال المسلمين كما حرَّم دماءهم، ولم يستثنِ في ذلك والدا ولا غيره... فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حرمة الأموال كرحمة الأبدان، فكما لا يحلُّ أبدان الأبناء للآباء إلا بالحقوق الواجبة، فكذلك لا يحلُّ لهم أموالهم إلا بالحقوق الواجبة.(٦)

وقال الخطابي: «ويشبه أن يكون ما ذكره السائل من اجتياح والده ماله إنما هو بسبب النفقة عليه، وأن مقدار ما يحتاج إليه للنفقة عليه شيء كثير، لا يسعه عفو ماله والفضل منه إلا بأن يجتاح أصله ويأتي عليه، فلم يعذره النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرخص له في ترك النفقة عليه، وقال له «أنت ومالك لأبيك» على معنى أنه إذا احتاج إلى مالك أخذ منك قدر الحاجة كما يأخذ من مال نفسه، وإذا لم يكن لك مال، وكان لك كسب لزمك أن تكتسب وتنفق عليه، فأما أن يكون أراد به إباحة ماله وخلاه واعتراضه حتى يجتاحه ويأتي عليه لا على هذا الوجه، فلا أعلم أحدا ذهب إليه من الفقهاء»(٧).

والثاني: للحنابلة، وهو أن للأب أن يأخذ من مال ولده ما شاء، ويتملكه، مع حاجة الأب إلى ما يأخذه ومع عدمها، صغيرا كان الولد أو كبيرا، ذكرا أو أنثى، راضيا أو ساخطا، بشرط أن لا يُجحف بالابن ولا يضر به.(٨)

قال ابن تيمية: «للأب أن يأخذ من مال ابنه ما لا يضرُّ به كما جاءت به السنّة، وإن ماله للأب مباح، وإن كان ملكا للابن فهو مباح للأب أن يملكه، وإلا بقي للابن، فإذا مات ولم يتملكه وُرِثَ عن الابن»(٩)

وقد قيد الحنابلة قولهم هذا بما إذا لم يتعلق حَق الغير بمال الابن كما في حال الرهن والإفلاس، وبأن لا يأخذ الأب من مال ولدٍ ليعطيه لآخر، لأنه ممنوع شرعاً من تخصيص بعض ولده بالعطية من مال نفسه، فلأن يمنع من تخصيصه بما أخذ من مال ولده الآخر أولى.(١٠)

وقد أنكر جمهور الفقهاء على الحنابلة قولهم بإباحة مال الولد لوالده بغير حاجة إليه أو فوق مقدار الحاجة، لأن الإطلاق في الحديث مقيد بعمومات الشريعة الثابتة، فقال القاضي ابن العربي: «لأنه ليس يخرج من قوله صلى الله عليه وسلم لمن شكى إليه الإجاحة إباحة انبساطه في ماله لنفسه، وإنما يقتضي أخذ الحاجة كما كان يأخذ هو (١١) منه بالقضاء وقت الحاجة إذا لم يكن للولد شيء، ولو كان للولد شيء لما لزم الأب الإنفاق عليه، وإنما قصد النبي صلى الله عليه وسلم أن يُسقط عذره في إمساك النفقة عن أبيه»(١٢)، وقال الحافظ المقاوي: الحديث يعني أن أباك كان سبب وجودك، ووجودك سبب وجود مالك، فصار له بذلك حق، كان به أولى منك بنفسك، فإذا احتاج فله أن يأخذ منه قدر الحاجة، فليس المراد إباحة ماله حتى يستأصله بلا حاجة، ولوجوب نفقة الأصل على فرعه شروط مبنية في الفروع، فكأنه لم يذكرها في الخبر لكونها معلومة عندهم، أو متوافرة في هذه الواقعة المخصوصة»(١٣).

والثالث: لجمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والمالكية، وهو أنه ليس للأب أن يأخذ من مال ولده إلا إذا كان محتاجا، وبقدر حاجته،

حيث إن حق الوالد في تملك مال ولده منوط بمقدار حاجة الأب لا غير، وقد قرروا الأحكام التفصيلية التي تضمن حقوق الأبناء في أموالهم إذا كانوا صغاراً، وكانت الولاية على أموالهم لآبائهم، بحيث لا يتصرف الوالد في أموال ولده القاصر إلا بما فيه مصلحة الولد، ولو أساء الأب التصرف في مال ولده القاصر، فإنه ينزع منه بحكم القاضي، ويعين وصي عدل آخر لإدارته.(١٤)

وقد استدلوا على ذلك:

(أ) بعمومات نصوص الكتاب والسنة القاضية بحظر التعدي على مال الغير والتصرف فيه من دون إذن صاحبه، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»(١٥)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل مال امرىء مسلم إلا عن طيب نفس منه»(١٦)، حيث لم تستثن في ذلك والدا ولا غيره.

(ب) بقوله صلى الله عليه وسلم: «كل أحد أحقُّ بكسبه من والده وولده والناس أجمعين».(١٧) وهذا نص في المسألة.

(ج) بقوله تعالى: (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى) البقرة ـ ٢١٥، حيث دل على ملكية الابن لماله، وأن الإنفاق على الأب من مصارفه، فثبوت نفقة الأب على ابنه بالقدر والشروط الشرعية للنفقة عليه تنفي حقه المطلق في انتزاع مال ولده كلا أو بعضا متى شاء وكيف شاء.

(د) أن آية الميراث قررت إرث الأب نصيبا من مال ابنه، حيث قال تعالى: (ولأبويه لكل واحد منهما السدس) النساء ـ ١١، فدل ذلك على أن أموال الابن مملوكة له في حياته، وليس للأب حق انتزاعها منه كيف يشاء ومتى يريد، قال ابن المنذر: «لما ورث الله الأب من مال ابنه السدس مع ولده دل على أنه لا حق له في سائره»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «أنت ومالك لأبيك» لم يرد به حقيقة الملك، وإنما أراد المبالغة في وجود حقه عليه وإمكان الأخذ من ماله، وامتناع مطالبته له بما أخذ منه، ولهذا لا ينفذ إعتاقه لعبد ولده الكبير الذي ورد الخبر فيه»(١٨).

(هـ) أجمع الفقهاء على أنه لا يحلُّ للأب وطء مملوكة ابنه، وأن لابنه فقط حق ذلك لقوله تعالى: (والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) المؤمنون ـ ٥ و ٦، ولو كان للأب حق مطلق في تملك مال ابنه والتصرف فيه لحلَّ له وطؤها.

الرأي المختار

بعد النظر في هذه الأقوال الثلاثة وأدلتها في ضوء النصوص الشرعية الأخرى وظل القواعد العامة في الشريعة ومقاصدها الكلية، فإنه يترجح عندي مذهب جمهور الفقهاء بأن للأب حق تملك مال ابنه عند الحاجة وبقدرها، بإذنه وبغير إذنه، وبرضاه ومن غير رضاه، وأن قوله عليه الصلاة والسلام «أنت ومالك لأبيك» ليس على ظاهره، لأن الابن ليس مملوكا لأبيه بإضافة النبي صلى الله عليه وسلم إياه، فكذلك لا يكون مالكا لماله، متصرفا فيه بإضافة النبي صلى الله عليه وسلم إياه إليه، وأن قوله عليه الصلاة والسلام: «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم» يطيّب للآباء الأكل من مال أبنائهم على ذلك الأساس، ويقرر حق الوالد في انتزاع مال ابنه بالشروط التي سبق بيانها، ويدعو الآباء إلى عدم التحرج من ذلك لأن الأولاد ما صاروا قادرين على العمل وامتلاك الأموال ـ في الجملة ـ إلا بسبب ما بذل الآباء من جهد وعناء ونفقة من أجل تربيتهم وتهيئتهم للكسب الحلال الطيب، وليس في الحديث ما يقضي بأن مال الأولاد مباح للآباء مطلقاً، يفعلون به ما يشاؤون، ويتصرفون فيه كما يريدون، والله تعالى أعلم. ■

الهوامش

١ ـ قال الخطابي: يجتاح مالي معناه يستأصله ويأتي عليه «معالم السنن ٥/١٨٣» و قال القاضي ابن العربي: معناه يذهبه ويتلفه، ولم يرد به أنه يستأصله، «عارضة الأحوذي ٦/١١١).

٢ ـ انظر عارضة الأحوذي ٦/١١١، إرواء الغليل ٣/٣٢٣ وما بعدها، مختصر سنن أبي داود للمنذري ٥/١٨٣، نيل الأوطار ٦/١٢، السيل الجرار ٢/٤٥٨، شرح معاني الآثار ٤/١٥٨، سنن ابن ماجة ٢/٧٦٩، مسند أحمد ٢/١٧٩و ٢٠٤و ٢١٤.

٣ ـ عارضة الأحوذي ٦/١١٢.

٤ ـ سنن الترمذي مع العارضة ٦/١١١و ١١٢، شرح السنة للبغوي ٩/٣٣٠.

٥ ـ نيل الأوطار د/١.

٦ ـ شرح معاني الآثار ٤/١٥٨، ١٥٩، وانظر مشكل الآثار ٤/٢٧٧ ـ ٢٨١.

٧ ـ معالم السنن للخطابي ٥/١٨٣.

٨ ـ شرح منتهى الإرادات ٢/٥٢٧، المغني ٨/٢٧٢.

٩ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٤/٦٩، الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٣/٣٧٤.

١٠ ـ شرح منتهى الإرادات ٢/٥٢٧، المغني ٨/٢٧٢، الاختيارات الفقهية من فتاوى ابن تيمية ص ١٨٧.

١١ ـ أي إبنه.

١٢ ـ عارضة الأحوذي ٦/١١٢.

١٣ ـ فيض القدير ٣/ ٤٩.

١٤ ـ بدائع الصنائع ٤/٣٠، عارضة الأحوذي ٦/١١٢، المغني ٨/٢٧٣، معالم السنن للخطابي ٥/١٨٣، فيض القدير ٣/٤٩، شرح معاني الآثار ٤/١٥٨، الملكية للدكتور العبادي ٣/٤٥.

١٥ ـ رواه البخاري ومسلم. (صحيح مسلم بشرح الكرماني ٨/٢٠١ و ٢٠٤، مختصر صحيح مسلم للمنذري ١/١٨٨).

١٦ ـ رواه البيهقي والدارقطني وأحمد، (سنن البيهقي ٦/٩٧، ١٠٠، سنن الدارقطني ٣/٢٦، مسند أحمد ٥/٧٢ و ١١٣).

١٧ ـ رواه البيهقي وسعيد بن منصور، (سنن البيهقي ١٠/٣١٩، المغني ٨/٢٧٢.

١٨ ـ المغني ١٤/٣٤٩.

١٩ ـ المغني ٩/٥٧٦.

٢٠ ـ انظر الملكية للدكتور العبادي ٣/٤٨.

- ماذا يمكن لمولودك أن يفعل بعد ولادته؟ وما الوزن الطبيعي له؟
- لماذا تجري بعض الفحوصات على دم المولود؟
- كيف تعتني بطفلك؟ وكيف ترفعينه من سريره؟ وتضعينه فيه؟
- تحدثي إليه طوال الوقت وأضجعيه على ظهره

بقلم: د. رضوان بيطار



طفلي الوليد كيف أعتني به؟

هناك تساؤل يداعب الأم الحامل بعد التأكد من الحمل، فهي في شوق لمعرفة متى ستستقبل مولودها بإذن الله، وللإجابة عن هذا التساؤل لابد أن نبيّن أن مدة الحمل تبلغ عند المرأة في المتوسط ٢٨٠ يوماً، أي أربعين أسبوعا منذ أول يوم لآخر حيض، لذلك يحسن أن تعلم المرأة المتزوجة تاريخ أول يوم لكل عادة شهرية، حتى وإن لم تكن تخطط للحمل أو ترغب في أن تحمل، فهي لا تدري متى تحمل؟ وبخاصة إذا لم تكن تستعمل وسائل فعّالة لمنع الحمل.

أما بالنسبة لموعد الوضع فيمكن معرفته بعملية حسابية بسيطة وذلك بإضافة سبعة أيام على أول يوم منذ آخر حيض ثم العد العكسي لثلاثة أشهر، فإذا كان أول يوم من آخر عادة شهرية يوم ٢٢ أكتوبر مثلاً، وبإضافة سبعة أيام ثم العد العكسي لثلاثة أشهر يكون موعد الولادة يوم ٢٩ يوليو من العام المقبل، إلا أن هذا الموعد تقريبي، ومن الطبيعي جدا أن يولد الطفل خلال أسبوعين قبل أو بعد التاريخ المحدد للولادة.

تعرفي إلى طفلك

بعد ولادة الطفل ولادة طبيعية تزيل القابلة المخاط والمفرزات من فم الطفل وأنفه وتجفف بدنه بمنشفة ليّنة وتربط نهاية الحبل السري بملقط خاص، وإذا تمت الولادة خارج البيت ــ كالمستشفى مثلاً ــ تُوضع حلقة تحمل اسم والدة الطفل حول رسغه أو كاحله، وتؤخذ بصمات قدميه، ويعطى لأمه لتحمله قليلاً، ثم ليوضع في مهد إلى جانبها، كما أنه بإمكانها محاولة إرضاعه من ثديها فور تسلمها إياه.

أما إذا كانت الولادة قيصرية واحتاجت الأم إلى مخدّر عام فلن تستعيد وعيها وترى طفلها حتى تُنقل إلى جناح ما بعد الولادة.

فحص الطفل للتأكد من أنه طبيعي

أغلب الأمهات بعد الولادة يطرحن السؤال التالي هل الطفل طبيعي؟، فالقابلة تعلن عادة عن جنس المولود سواء أكان ذكرا أم أنثى مباشرة، ويحتاج الأمر عادة إلى فحص سريع لتطمئن القابلة الأم بأن كل شيء طبيعي بالنسبة لمولودها.

وإذا انتاب الأم القلق حول أي جانب من جوانب الطفل في الأيام الأولى من الولادة

فيجب إخبار الطبيب ليجري فحصاً كاملاً ودقيقاً له.

ماذا يمكن أن يفعل مولودك فور ولادته

يستطيع المولود حديث الولادة أن يثبت نظره ويتابع الأشياء المتحركة بعينيه، وهو يفضل أن ينظر إلى بعض الأشياء أكثر من غيرها كالوجه والعينين، كما يستطيع أن يقلد بعض حركات شفاه ولسان أمه إذا كانت قريبة منه، ويلاحظ عليه أنه ينصت إلى أمه إذا تحدثت إليه، وبإمكانه أن يلتفت بعينيه لا برأسه إلى مصدر الأصوات، كما يمكنه أن يميز بين الروائح ويستطيع أن يميز رائحة أمه عندما يبلغ من العمر أقل من أسبوع، كما يصبح قادرا على تمييز صوتها عن الآخرين، ويعبّر عن نفسه وعن حاجاته بالبكاء الذي يعتبر خطوته البدائية نحو الكلام.

انعكاسات لا إرادية

يحاول المولود حديث الولادة أن يقف منتصبا إذا حملته أمه على سطح صلب، كما يمسك بأصابعها بشدة إلى الحد الذي يمكّنها من رفعه ولا تعتبر هذه أفعال إرادية وإنما منعكسات لا إرادية.

الوزن الطبيعي للمولود

يتأثر وزن المولود حديث الولادة بعوامل عدة منها : جنس المولود سواء أكان ذكراً أم أنثى، فيما إذا ولد في موعده «أي بعد أربعين أسبوع حمل»، وتظهر عليه ملامح الطول الوراثية المشتركة بين الزوج والزوجه، وكذلك يتأثر بالعِرق الذي ينتميان إليه وإذا كانت الأم غير مدخنة «فالمولود يكون وزنه أثقل من مولود لأم مدخنة».

ويزن أغلب الأطفال الذين يولدون بعد تمام أربعين أسبوعاً من الحمل بين ٢,٥كغ إلى ٤,٢كغ، ويعتبر المولود الذكر الذي يزن أقل من ٢,٩كغ صغيرا أو خفيفا بالنسبة لعمره الحملي، وكذلك تعتبر البنت التي تزن أقل من ٢,٥كغ صغيرة أو خفيفة بالنسبة لعمرها الحملي أيضاً، وتختلف هذه الأرقام فيما لو ولد الطفل قبل أو بعد أربعين أسبوعا من الحمل، وإذا كان الطفل صغيرا بالنسبة لعمره الحملي فهذا يعني:

- أن بنيته ستبقى ناعمة.
- إذا كان حجمه صغيراً عند ولادته يكون ذلك بسبب قصور المشيمة عن تزويده بالغذاء الكافي لنموه في فترة الحمل، وقد يصبح حجمه طبيعياً فيما بعد.

لماذا نجرى للمولود بعض الفحوصات على دمه؟

في بعض البلدان تؤخذ عينة صغيرة من الدم من كل مولود بعد ولادته بأسبوع، وتفحص هذه العينة للتأكد من أن الطفل لا يعاني من حالة مرضية نادرة وتنجم عن خطأ في استقلاب البروتين وتدعى «فينيل كيتون يوريا» وتنشأ أهمية الكشف عن هذه الحال على الرغم من ندرتها لسببين:

١ ـــ أنها لو تركت دون علاج فإنها في النهاية تؤدي إلى أذى في الدماغ.

٢ ـ علاجها ناجع ويكون بتعديل غذاء الطفل.

وفي كثير من المستشفيات يُجرى فحص للكشف عن نقص إفراز الغدة الدرقية أيضا والذي يمكن أن يؤدي إلى تأخر في النمو العقلي وقزامة في الجسم، كما أنه بالإمكان الوقاية من تأثيره السيىء إذا تم الكشف عنه مبكرا وأعطي الطفل العلاج الهرموني اللازم.

وتجرى لبعض المواليد فحوصات أخرى للدم ولأسباب عدة، منها: الكشف عن مستوى البيلروبين في الدم وهو الصبغ المسؤول عن تلون الجلد باللون الأصفر في حال اليرقان، وعن مستوى الهيموغلوبين إذا شك الطبيب بوجود فقر دم عند المولود، وعن مستوى سكر الدم في المولود الصغير بالنسبة لعمره الحملي ولاسيما إذا كانت أمه مصابة بداء السكري.

فإذا أجريت لمولود فحوص للدم إضافية فعلى الأم أن لا تتردد بسؤال الطبيب عن السبب وعن النتيجة.

كيف أعتني بالمولود الصغير

بعد ولادة الطفل تجد الأم نفسها في مواجهة مسؤولية رعاية طفلها وتغذيته وتلبية حاجاته، فعليها أن تعرف كيف ترفعه من سريره وكيف تضعه وكيف تحمله وكيف تنظفه... فإذا كانت الأم قد أنجبت أطفالا من قبل أو شاركت في رعاية إخوتها الأصغر سنا منها، ففي هذه الحال... تعرف كثيرا من هذه الأمور، أما إذا لم تكن لها دراية في العناية بالأطفال من قبل، فمن الضروري أن تسأل عن كل هذا وستجد أن الممرضة في جناح ما بعد الولادة خير من يرشدها في هذا الشأن.

لاتدعي طفلك يبكي طويلاً

إذا بكى طفلك فامضي إليه سريعا، فربما يكون في وضع غير مريح أو جائعا أو عطشانا أو متألما من شيء آخر أو ربما يكون قد تبول، فمن الطبيعي تماما أن يبكي في مثل هذه الحالات.

وقد وجد الأطباء أن الأطفال الذين يُحملون فور بكائهم يبكون لفترة أقصر ولعدد من المرات أقل من الذين لا يحملون، لذلك في هذا السن لا تخافي من تدليل طفلك.

كيف ترفعين طفلك من سريره

يكون الطفل حديث الولادة رقيقا جدا، ويحتاج منك أن ترفعيه بلطف بثقة، ودائما انتبهي إلى أن تسندي رأسه بيدك لأنه لن يكون قادراً على حمل رأسه بنفسه وتستمر معه الحال هذه حتى يبلغ من العمر ثلاثة أشهر على الأقل.

ـــ تحدثي إلى طفلك والمسيه قبل رفعه ليشعر بوجودك فلا يُستفز.

ـــ أمسكي قدميه بيدك اليمنى بلطف وإحكام.

ـــ ارفعي قدميه بما يكفي وانقلي يدك اليسرى من أسفل مقعده إلى تحت ظهره لتبلغ آخر رقبته.

ـــ افتحي ما بين أصابعك لتسندي رأسه وأديري ذراعك بحيث يسند رسغك وساعدك ظهره.

افتحي يدك اليمنى تحت مقعده وارفعيه ببطء وتحدثي إليه طوال الوقت.

كيف تحملين طفلك

احملي طفلك بالطريقة التي تريحك أكثر، ولكن تذكري أن حمله بطريقة غير ملائمة لن يشعره بالأمان وأنك لو ضممتيه إليك سواء بحمله إلى كتفك أو حضنه بين

ذراعيك فذلك سيدخل السعادة إلى قلبه الصغير.

حمل الطفل إلى كتفك

ارفعيه إلى كتفك وأسندي مقعده بيدك اليمنى ورأسه باليد اليسرى وانتبهي حتى لا يتدلى رأسه إلى الخلف، وتأكدي أن بإمكانه أن يرى من فوق كتفك لو أراد.

حضن الطفل بين ذراعيك

بينما ترفعين طفلك أديريه بحيث يسند باطن مرفقك «كوعك» الأيسر رأسه وتكون يدك اليمنى تحت مقعده، وهذا الوضع يمكّن الطفل من النظر إليك في أثناء حمله.

حمل الطفل بيد واحدة

ربما تحتاجين أحيانا إلى أن تكون إحدى يديك مشغولة وتضطرين إلى حمله بيد واحدة.

ففي هذه الحال اسندي رأس الطفل وعموده الفقري بيدك اليمنى وساعدك الأيمن، بحيث يستند جذعه على وركك الأيمن ويكون وجهه متجها للأعلى، واعلمي أن حمل الطفل بالذراع الأقوى أسلم دائماً.

كيف تضعين طفلك في سريره

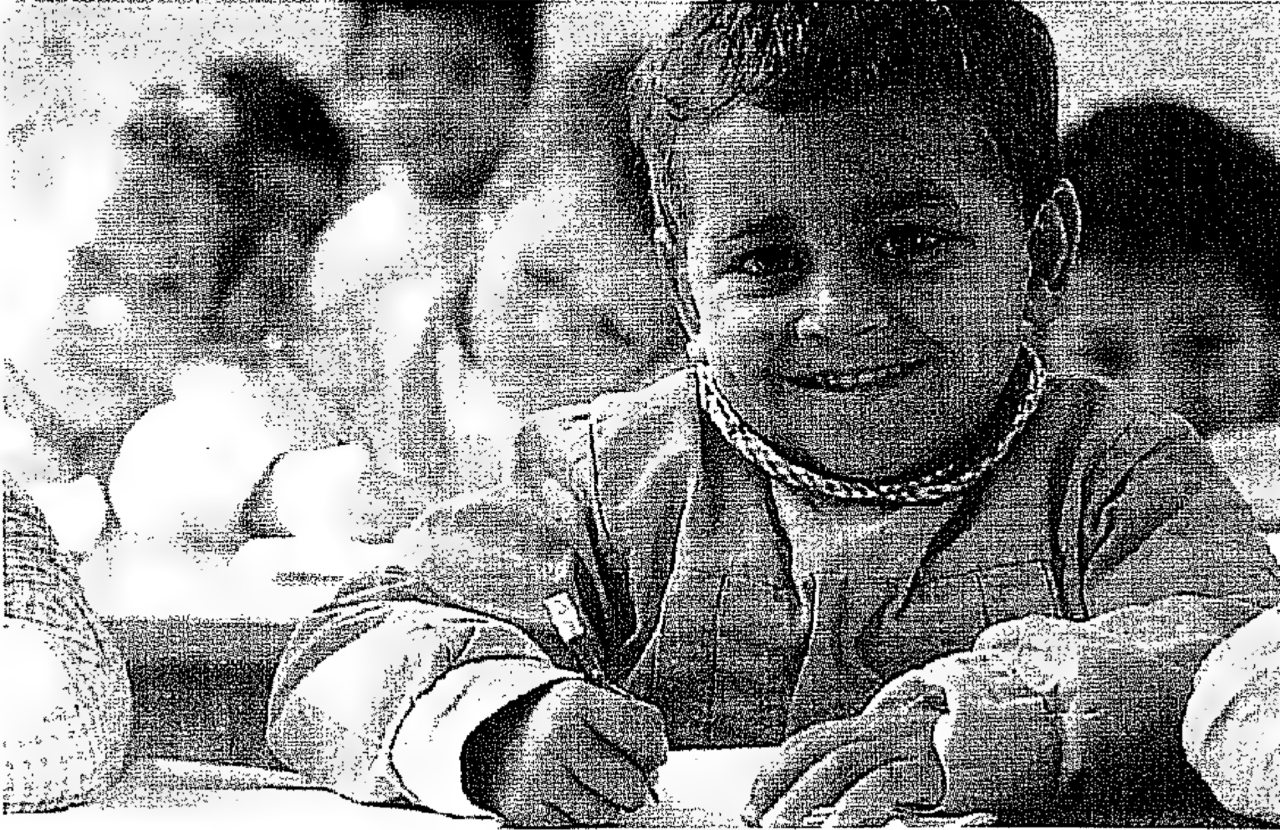
ـ تحدثي إلى طفلك وأنت تضعينه بين ذراعيك فقد يكون منزعجاً لذلك.

ـ ضعيه في سريره بهدوء لأن الحركة المفاجئة قد تفزعه.

ـ تذكري أنه لا يحتاج إلى وسادة تحت رأسه.

ـ أضجعيه على ظهره فهذا يمكنه أكثر من رؤية العالم من حوله ويفتح مداركه.

ـ لا تدعيه ينام على بطنه فقد أكدت المجلة الطبية الأمريكية زيادة نسبة الوفيات المفاجئة «موت المهد» للأطفال الذين تقل أعمارهم عن ستة أشهر بسبب عادة النوم على البطن، وذكرت المجلة أنه قامت حملة توعية للأمهات بعدم استخدام هذا الوضع في نوم الأطفال، وأسفرت في نيوزلاندا عن انخفاض معدل الوفيات، وفي بريستول في انكلترا انخفضت نسبة «موت المهد» بين الأطفال بنحو خمسين في المئة بعد تنظيم حملة توعية مماثلة. ■



مشكلات طفل الابتدائية

بقلم: محمد عبدالعزيز حمزة

لا شك أن مرحلة الطفولة هي المرحلة التكوينية لكثير من الخصائص الجسمية. والنفسية، فكثير من الاتجاهات والعادات وأنماط السلوك تتكون، إلى حد كبير، خلال السنوات المبكرة من حياة الإنسان، كما أن أنماط السلوك تتعرض للتعديل على الرغم من ترسيخ دعائم الشخصية الأساسية في الطفولة، لأن هذه الدعائم ليست جامدة أو ثابتة لا تتغير.

من هذا المنطلق نحاول جاهدين الغوص في أعماق مرحلة عمرية من عمر الطفل مهمة جدا ومؤثرة في تكوينه النفسي والاجتماعي وأيضا في نموه الجسمي والانفعالي والحسي... حتى تتبلور في أذهان مسؤولي التربية في الوطن العربي أسباب ما يطرأ من مشكلات مدرسية لطفل المدرسة الابتدائية.

من سمات هذه المرحلة أن معدل النمو فيها يسير ببطء، إلا أن الطفل يواجه فيها تحديات كثيرة تتطلب أساليب توافق جديدة... ففيها يعدل الوالدان ـ وغيرهما من الأشخاص المهمين ومنهم المدرسون بالطبع ـ التوقعات لدى الطفل بالنسبة للسلوك الملائم، كما أنها مرحلة الجهد المركز لمعرفة الذات والبيئة بطريقة تختلف عن المراحل السابقة في الحياة،

فالنمو الجسمي بطيء وموحد تقريباً بين جميع أطفال هذه المرحلة، فالطول بطيء بمعدل ٨سم في السنة، وتتغير النسب خلال سنوات الطفولة المتأخرة.

وبالنسبة للنمو الحسي فيزداد عند طفل هذه المرحلة نمو كل شيء بقدر ملحوظ للغاية... وهذه الفترة تتميز بقوة التعبير عن الانفعالات، وعادة ما تكون كالضحك بصوت عال والجري والقفز والارتماء على الأرض... كما تتميز بالمعاناة من القلق والإحباط، والبنات في هذه المرحلة يتميزن بالبكاء والخوف والغضب، والغيرة والسرور، وحب الاستطلاع أكثر من البنين.

وتعتبر الآثار النفسية في هذه المرحلة أشد خطرا من آثارها الجسمية، فالمرض يحدث اضطراباً في التوازن العضوي للجسم، ويؤثر بالتالي على سلوك الطفل واتجاهاته بحيث يجعله متوتراً لحوحاً في مطالبه... بالإضافة إلى ما يسببه المرض من غياب عن المدرسة، وحرمانه من الاشتراك مع الأقران في اللعب بعد المدرسة، مما يؤثر على اكتسابه للمهارات اللازمة للتكيف في هذه المرحلة.

إن ذهاب الطفل للمدرسة للمرة الأولى في حياته يمثل انتقالا كبيرا من نوع الحياة الأسرية إلى نوع آخر من الحياة، والمعروف أن مراحل الانتقال في حياة الفرد مراحل حرجة يتعرض فيها الفرد للأزمات والتوترات والانفعالات الحادة. وعلى الأسرة أن تعد الطفل للحياة المدرسية لأن الطفل عندما ينتقل إلى الحياة المدرسية معناه أنه ينتقل من حياة يعامل فيها كفرد واحد إلى حياة يعامل فيها كفرد وسط عدد كبير من الأفراد، أي حياة الجماعة، فلا بد أن يعد الآباء العدة لتزويد أطفالهم بالخبرة اللازمة لتقبل نوع الحياة الجديدة المقبل عليها.

وهذه المرحلة هي أنسب المراحل التعليمية التي يتم فيها التطبيع الاجتماعي لدى الطفل، حيث نجد الأطفال يحاولون التخلص من الطفولة ويشعرون بأنهم كبار... وهم في هذا السن واقعيون وعمليون لأنهم بعيدون عن اللعب الإيهامي والخيالي ويبدأون اللعب المنظم مع الأصدقاء ولهم أغراض معينة، وعمليون لأنهم يخضعون أنفسهم لقواعد النظام ويميلون للمنافسة، وتبرز فيهم ملكات اجتماعية مثل: الزعامة والسيطرة، وهذا ما يدعو المربين إلى تنظيمها.

إن التعرف على حاجات التلاميذ وتحديدها يعتبر أمراً مهما لمخططي المناهج، ويتم ذلك بإجراء البحوث العلمية التي تستهدف حاجات ومشكلات التلاميذ على مستوى الدولة، وتحديد أهمية كل حاجة بالنسبة لظروف التلميذ، ثم يقوم المعلمون والأخصائيون الاجتماعيون بالتأكد من صدق الحاجات.

ومن هنا يتضح مدى اهتمام التربية الحديثة بوجوب الاهتمام بطفل المدرسة الابتدائية وجعله محور العملية التربوية... ومن هنا ظهرت مناهج النشاط التي اهتمت بميول التلاميذ وحاجاتهم وإتاحة الفرصة أمام تلاميذ هذه المرحلة لإشباع هذه الحاجات حتى لا تظهر المشكلات التي تعوق الدراسة وتقف حائلا أمام التعليم المستمر.

إن إشباع الحاجات في كثير من الأحيان يؤدي إلى اكتساب بعض المهارات وتكوين عادات واتجاهات غاية في الأهمية.

واهتمام المدرسة بمشكلات التلاميذ أمر حتمي لأنه في حالة عدم حل هذه المشكلات لفترة طويلة والتصدي لها قد يؤدي إلى انحراف بعض التلاميذ وأيضا يؤثر في عدم متابعتهم بانتظام لدراستهم ويقلل من تركيزهم وانتباههم أثناء الشرح.

كما أن المعاونة في حل مشكلات التلاميذ تجعلهم يشعرون باهتمام المدرسة بهم ورعايتها لهم، وهذا له أثر كبير في حب التلاميذ لمدرستهم وزيادة تكيفهم.

وعليه فإن دور المدرس في حل مشكلات التلاميذ يتركز في:

١ ــ يجب عدم إحالة ما يظهر من مشكلات إلى الإدارة بواسطة المدرس، بل يجب عليه عدم التخلي عن أحد مقومات شخصيته كصاحب مهنة فهو ليس مختصا بتلقين المعارف وتوجيه السلوك وبناء القيم والاتجاهات، بل أيضا بالبحث في جذور مشكلات تلاميذه ومسبباتها والبحث عن سبل العلاج.

٢ ـ اقتراب المدرس من التلاميذ وكسب ثقتهم وهذا يساعده بصورة أفضل في حل المشكلات النفسية التي يعاني منها التلاميذ والتي تقف حائلا دون استغلال قدراتهم، فالصراعات النفسية أو التوترات تحد من طاقات التلميذ، فنجده يبدو غير قادر على التعلم.

٣ ــ هناك مشكلات تسيطر على هذه المرحلة منها: ظاهرة الخجل التي تعتري التلميذ فلا بد من دراستها من خلال متابعة متتالية بواسطة عمل ملف خاص لكل تلميذ.. وهذا يساعد كثيرا على تفسير الظاهرة.. ثم يبدأ في علاجها.. كذلك من المشكلات الأساسية التي يلم بها المعلمون مشكلة «الغش» وهي من المشكلات الخطيرة التي تتعلق ببناء شخصية الفرد إذ إن لها أبعادا تربوية وأخلاقية لا ينبغي تجاهلها... كذلك ملاحظة الظواهر النفسية والاضطرابات التي تعتري التلاميذ كلما اقترب موعد الامتحانات، يجب ألا ينظر إليها المعلم على أنها مسألة خلقية، ويجب أن تكون لديه القدرة على دراستها ومحاولة الكشف عن أسبابها وإيجاد أفضل السبل لعلاجها.

وعموما نستطيع القول بأنه عند دخول الطفل المدرسة يتسع عالمه وتتزايد ميوله... ومع تنوع ميوله وألعابه يزداد فهمه للناس والأشياء التي لم يكن لها معنى في المراحل السابقة، ولا يزيد فهمه للبيئة عن طريق التعليم الرسمي الذي يتلقاه في المدرسة فحسب، ولكنه يزيد أيضا من وسائل الإعلام وبخاصة السينما والراديو والتلفاز والفيديو، ومن تبادل الأفكار مع أقرانه. ومن قدرته على القراءة، وبالنمو السريع في تكوين مفاهيم جديدة في هذا العمر، ومع عدم وجود وفرة كافية من المعلومات ــ تقوم بدور المراجعة النقدية على تكوين هذه المفاهيم ــ تكثر لدى الطفل الأخطاء. فكثيرا ما يخطيء في تقدير الزمن، كما قد يكون مفهومه خاطئاً عن الذات إذا قللت الجماعة من قدراته أو بالغت في تقديرها. وقد يمارس حاسة الفكاهة بشكل فج وقد يحكم على الشخصية الكلية للآخر في ضوء سمة أو سمتين فقط وليس في ضوء نمط الشخصية ككل.

وبمرور الزمن وبزيادة الخبرة يصبح الطفل أكثر نقدا في تقديراته، وبالتالي تقل عنده أخطاء الإدراك. ■

المراجع

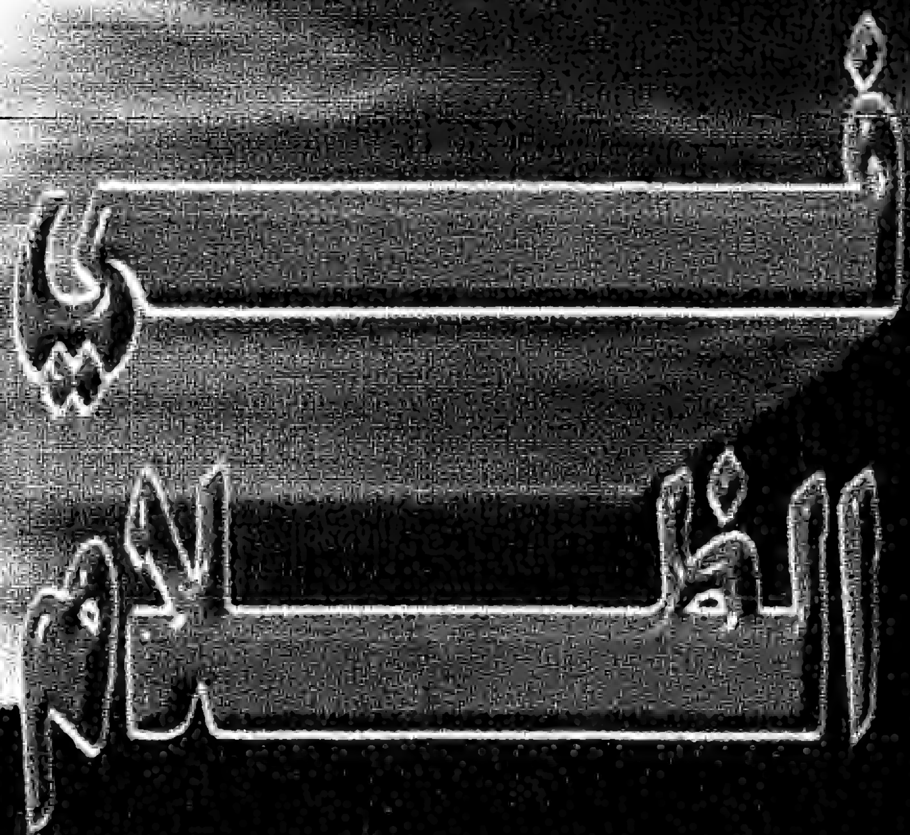
١ ــ نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين د. آمال صادق ص ٢١١ و ٢١٦ و ٢٢٢.

٢ ــ مشكلات الطفولة والمراهقة د. عبدالرحمن عيسوي ص ٢٢٩ و ٢٣٣.

٣ ـ قراءات في المناهج وطرق التدريس د. صلاح خضر وآخرون ص ٢٨ و ٢٩ و ٣٤.

٤ ـ العلاج السلوكي للطفل د. عبدالستار إبراهيم ص ١٧١.

٥ ـ المعلم وإدارة الفصل د. فارعة حسن محمد ص ٨١ و ٨٣.



شعر: الدكتور جابر قميحة

أيها المدلِجونَ في حَلَكِ الليل
حيارَى أضناهُمُ الإدلاجُ
بعيونٍ محرّقاتِ المآقي..
وغبارُ الأسى عليهمْ رتاجُ
والمدى حولهمْ فحيحٌ وشوكٌ
والطريقُ الطويلُ فيه اعْوجاجُ
قد تولته عاتياتُ الأفاعي
والأعاصيرُ سعّرتْها الفِجاجُ
حيثُ سَدّتْ مسارحَ الليلِ فيها
والثنيّات.. كلُّها أحْراجُ

مالكمْ تصرخونَ والليلُ داجٍ
أينَ وَلّى من وَجْهنا المنْهاجُ
كيف نشقى وعندنا المالُ فيضٌ
والقصورُ الشمّاءُ... والديباجُ

ولنا سطوةٌ تعزُّ على الجنّ
وقد زانها العُلا والتاجُ
بيننا الفيلسوفُ والفارسُ المغوارُ
يخشاهُ الجحفلُ العجّاجُ
كيف نشقى وطوْعُ إمْرتنا العِزُّ
وكلٌّ بعزِّنا لَهّاجُ؟

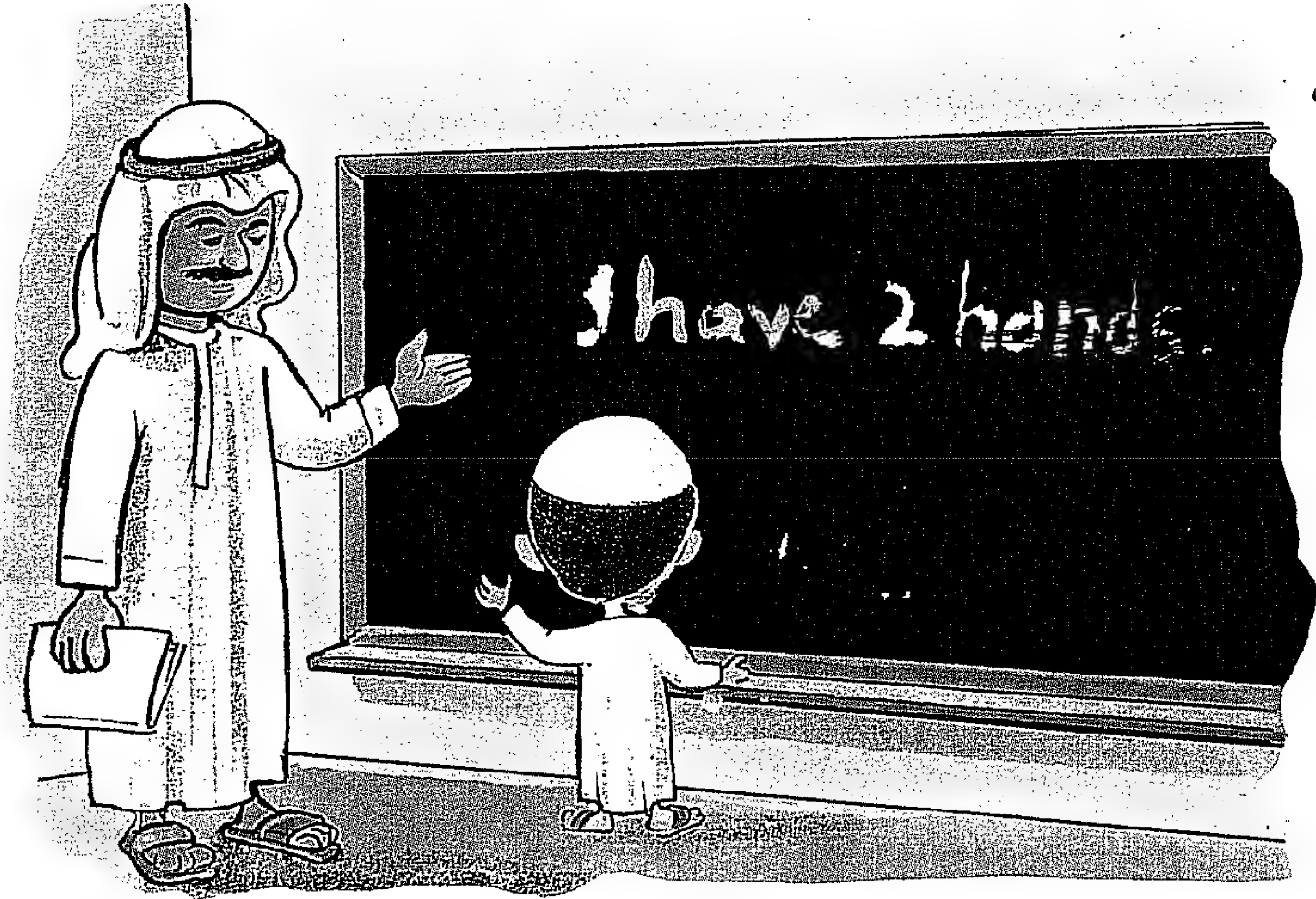
أيّها الضاربون في ظُلمةِ الليلِ
لديْنا قرارُكمْ والعلاجُ
ازرعوا الحبَّ في حناياكم الجرداء
فالحبُّ للقلوبِ سراجُ
وامسحوا دمعةَ الشقيِّ المعنّى
كيْ يؤاخي حياتَهُ الابْتهاجُ
واجْعلوا الرحمةَ الشفيفةَ مَغْنى
يستبي النفسَ طيرُهُ الهزّاجُ
وأديروا كؤوسَها مُتْرعاتٍ
مزْجُها العدلُ نعمَ هذا المزاجُ

هكذا يسقطُ الظلامُ عن الدربِ
ويبقى سراجُهُ الوهّاجُ
ونعيشُ الحياةَ في جنةِ السعْدِ
عليها من القلوبِ سياجُ
تتنامى زنابقُ الخيرِ فيها
والخُزامى والنرجسُ الأرّاجُ
تحسبُ الحبَّ.. وهو يحنو عليها
قد جلاهُ الإسراءُ والمعراجُ

أستاذ الأدب العربي في جامعة الملك فهد بالظهران

ثقافة

لغتنا الجميلة تحاكم أبناءها



كـانت سلعـة العـرب المقدسة!..كان يقيم الرجال.. من اجلها الحروب وتتأجج النيران ..وببـذلها يصنع السـلام.. نظمهـا الجواهـر والـلآلىء الحرة.. وصـائغها الفتى، وأي فتى!.. أسـواقها البيـت العتيـق، أعظـم مقدسـات العـرب.. وحـوانيتها جـدر الكعبـة وأستـارهـا!.. يطـوف بها الهائمـون والمحبـون والمكلـومـون.. هـي بلسم الجراح.. وتـرياق السمـوم.. وتاج العرض والصولجان.. هي الفارس، والفيء والغنائم.. هي الدين والإعجاز! هي الكلمـة.. لغـة العـرب.. هكـذا كـانت ..ولكن كيف أصبحت؟!

بقلم:محمود عبد اللطيف بطروخه

المحاكمـة

ساد قاعة المحكمة صمت جليل، بعد صياح الحاجب:

-محكمة!

دخل القاضي ومن خلفه إثنان مـن مستشاريه ليعلن افتتاح الجلسة.. ثـم بادر بالسـؤال عن المدعي.. فقام شيـخ وقور تبـدو على مـلامحة آثـار السنين، وومضـة بهاء تعلـو وجهه،كـان حاسر البصر، تقـرأ في عينيه مسحـة من الحزن الدفين، وكـأنه يتجلد عـن ألم يعتصره، إلا أنه بـدا متماسكا وهو يوميء للقاضي بوجوده.. سـأله القاضي:

-ماأسمك؟

كانت نبراته قوية شجية وهو يجيب:

-اسمي اللسان العربي.

طـالع القاضي في أوراق أمـامه، ثم تبـاحث مع مستشاريـه هامساً، ونظر إلى الشيخ قائلا:

-خصـومك كثيرون.. لن نتمكن من إيـداعهم جميعـا قفص الاتهام.. سنكتفي بإثنين فقط، ابنك «عربي» وسيقـوم مقام أبنـائك المتهمين.. وخصـومك الفـرنجـة سيقـوم مقـامهم «أعجمي» وهـو مـرشح من قبلهم لـدفع الاتهام.. أعنـدك مانع؟!

اللسان العربي:لا.

القاضي: مادعائك بالنسبة لأولادك؟

اللسـان العـربي: كنت ياسيدي هـويتهم، فضيعوني، وكنت لهم النغم والـوتـر، فانصرفـوا عني إلى النشـاز والضجيج، كنت الشجن فآثروا العويل، كـانت جوامعي أحاديث نبيهم، فتصـامموا عنهـا.. كنت قـرآنهم، فهجـروه. وتسفلـوا عن العـروج.. كنت دينهم وديـدنهم..أهكـذا يصنع الأبنـاء مع أبيهم؟!

القاضي وما طلباتك؟

اللسـان العربي: حـدّ العقـوق...وإبراء ذمتي منهم، بمحـو هويتهم عني!

عـربي« الابن» إنني ابنك!.. كيف تتبرأ منـي؟!.. كيف تطلب

محو هويتي، وأنت أهلي وعشيرتي.
اللسان العربي: قال لي ربي« إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح».
«ثم أردف بصوت شجي» إلى متى لغة القرآن تُضطهد ويستبيح حماها الأهل والولد!
القاضي: ومادعائك بالنسبة للفرنجة؟
اللسان العربي: هم غرروا بأبنائي- بزرقة عيونهم- وحرضوهم على الفساد.
القاضي: وطلباتك؟
اللسان العربي: حد الاغتصاب!
الأعجمي« ثائرا» هذه عنصرية، وقبلية، وجاهلية.. إنني أقر ياسيدي القاضي أنني دعوت «عربي» وإخوته، ليس تغريرا واغتصابا، بل لأحرره من التخلف والبداوة !
اللسان العربي: سيدي القاضي، أي عنصرية يقول بها هذا الأعجمي، وأنا لم أَنْه أبنائي عن تعلّم لسان الأعاجم.. وكيف تكون القبلية وجوامع الكلم مني تقول: لافرق بين عربي وأعجمي الا بالتقوى.. وكيف تكون جاهلية، وانا الذي أدعوهم الىّ لأهديهم سبل الرشاد.
القاضي: هل معك مستندات تثبت أنك دعوتهم إليك؟
اللسان العربي: دعوتي إليهم مدّونة في قاموس جوامع الكلم مني ونصها« تعلموا العربية وعلموها للناس» ستجدها ياسيدي القاضي في باب حديث شريف.
الأعجمي: أسأله ياسيدي القاضي، ولماذا لايتعلم هو لساني أنا؟
القاضي للسان العربي لك أن تجيبه.. ودعونا نستمع إلى تحاوركما.
اللسان العربي: قلت اني لم أَنْهَ عن تعلم لسانك، ففي قاموسي «من تعلم لغة قوم أمن مكرهم».. ولكن لمن البقاء؟..أليس للأصلح؟!.. أنا أدعوك أيها الأعجمي إلى الغنى.. وأنت تدعوني إلى الفقر؟!..أو تدري خطوط السنين على جبيني؟.. هي العبارة، والمقالة هي الشعر والغناء هي النغم والشجن، هي الحكم والرمز والإيماء والإشارة.. هي العقل والعلم، هي التتابع والترادف، هي السجع والطباق، الجناس والاستعارة.. هي البلاغة والإعجاز.. هي التحدي!
الأعجمي:وأنا؟!
اللسان العربي: أنت اللغو.. أنت الصخب.. أنت الشتات.. أنت القليل.. أنت السراب.. أنت الزائل.. أنت الفقير.
الأعجمي ساخراً: ولماذا لاتدعو أبناءك إلى ترجمة كنوزك وتراثك، أيها الفصيح؟!
اللسان العربي: وكيف يسع الضيّق الواسع؟!
الأعجمي: لاأفهم!
اللسان العربي: أرأيت؟!.. ستحتاج إلى إنفاق عمرك، واستعارة أعمار أبنائك وأحفادك!.. لتدرك اليسير من عباراتي.. ذاك أحد أبنائي،فتى يدعى «علي» يقول: لو كتبت في نقطة الباء من بسم الله الرحمن الرحيم ماوسعت كتبي سبعين وقراً !!.. هذا في النقطة! فكيف بالعبارة أيها الأعجمي؟!
الأعجمي: إذن فهو أنفق كل عمره في مطالعة الكتب؟
اللسان العربي: كلا.. ولكنه سر المذاق!

لاتحسبوا الناس مثلنا..
بالكتب تصير
فللدجاجة ريش..
ولكن لاتطير!

الأعجمي ومالذي تعنيه با لمذاق؟
اللسان العربي: أقول لك!.. هل شربت القهوة العربية العربية؟
الأعجمي «مدهوشاً» لعلني تذوقتها مرات قليلة.
اللسان العربي: إذن صفها لي ياصاحب الفهم! حتى أدركها كيف طعمها، كيف نكهتها ومذاقها؟! وأدوات الوصف عندك، جميع الكلمات والمرادفات فلنجعلها طوعاً لك!
الأعجمي بعد تفكير: كيف اصف مذاقاً لتدركه؟!!العبارات لاتفي، لابد ان تُطعمها حتى تعرفها!
اللسان العربي: هكذا انا.. مذاق لايُدرك الا ان تُطعمه وتتذوقه! ستجد بعد ذلك دساتيركم وقوانينكم، بضعة اسطر في قاموسي!.. وستجده محكم لاخلل فيه.. أنا لغة العرش والسمو.. وأين الثرى من الثريا ياهذا؟!
دق القاضي بمطرقته متسائلا:أين «عربي»؟!
(كان عربي منشغلا بفتاة من الأعاجم في حديث هامس من وراء قفص الاتهام حالماً تائها)
كرر القاضي تساؤله: قلت أين «عربي»؟
لكزته الفتاة تنبهه!
عربي: نعم ياأونكل!.. ثم مستدركا.. ياسيدي.. ياسيدي.
القاضي:ماقولك في اتهام أبيك للأعجمي؟
عربي:هه!..ماتراه ياسيدي!.. قصدي...!
اللسان العربي: ابني مخمور ياسيدي.. هلا شممت فاه!
القاضي يأمر الحاجب بتشمم فم «عربي»
الحاجب: رائحة منقوع... ! سكران ياسيدي!
اللسان العربي متهكماً: سكران حضارة!
القاضي «عابساً» وهو يسجل في أوراق أمامه:
يتم التحفظ على «عربي» ويوصي بإيداعه إحدى المصحات لحين معاودة النظر في القضية.
خلع القاضي نظارته، والتفت نحو الحاجب الذي بادر سريعاً:
-رفعت الجلسة. ■

ثقافة

هل ما تتعرض له أمتنا.. غزو ثقافي؟

بقلم: أحمد محمود مبارك

كثر الحديث عن «الغزو الثقافي» الذي تتعرض له الأمة الإسلامية والأقطار العربية بصفة خاصة، ونجح عدد كبير من الكتّاب والباحثين المخلصين لدينهم وأوطانهم في كشف الوجه الشائه لهذا الغزو. وتحليل ما ينطوي عليه من طرح فكري وسلوكي خبيث ومضلل، واتضح بجلاء أن الدافع من وراء هذا الغزو إنما يكمن في حرص — قديم — لدى العقلية الغربية المتسلّطة والصهيونية العالمية على محاربة وطمس كل ما هو إسلامي السّمت والجوهر، في الفكر والثقافة، والقيم والعادات والتقاليد والتربية، والسلوك... فقد أدركتْ العقلية الغربية الاستعمارية، المريضة بحب السيطرة، والمتفقة في منطلقاتها وأهدافها مع الفكر الصهيوني - أن الصحوة الإسلامية - بكل أبعادها التعبُّدية والفكرية والثقافية والسلوكية - مصادر لنوع من القوة النفسية والمعنوية، ليس بمقدور التفوق العسكري الغربي والصهيوني القضاء عليها، ومن ثم كان اللجوء إلى نوع آخر من أنواع الحروب، وهي الحرب بتصدير الفكر والمنظومات والنظريات البرّاقة ... زاهية الشكل، خبيثة المضمون، والسلوكيات التي تُغلّفُ انحدارها وتدنيها بمظهر زائف خادع للتقدم والتحضر... لعل في هذه المعدّات الجديدة «لحرب من نوع آخر» ما من شأنه أن يُطفيء شعلة الإسلام في نفوس المسلمين... ويقودهم إلى التبعية والإشادة بالنموذج الغربي والصهيوني.

نقول: نجح العديد من الباحثين والكتّاب في التصدي لهذا الغزو... وتفنيد أطاريحه وكشف خبثه، وبيان تهافت منظوماته الفكرية... وتكوين تيار مناهض له حدَّ من انتشاره الوبائي في كثير من البلاد الإسلامية... غير أننا نرى أن ثمة وقفة لابد منها أمام هذا «المصطلح» «الغزو الثقافي». تضع الأمور في نصابها الصحيح... وتكيف بنية هذا الغزو وجوهره واقعياً ولغوياً بما هو خليق به، وذلك بالاستناد إلى المفهوم الحقيقي والأصوب لكلمة «الثقافة» وأيضاً بالاستناد إلى تحليل وتشخيص ذلك الطرح الفكري والسلوكي والقيمي لهذا الغزو.... أو بتعبير آخر... من خلال الكشف عن نوعية الأسلحة التي تحملها فصائل وكتائب هذه الحرب «اللاعسكرية» وتوجهها إلى عقولنا وقلوبنا وحصوننا.

وواقع الأمر... أنه على الرغم من عدم وجود تعريف جامع مانع لكلمة «الثقافة»... إلا أن عدداً كبيراً من الكتاب والباحثين يرون - أن ثقافة مجتمع ما إنما تعني ما يتسمُ به ذلك المجتمع من فكر وأدب وفنّ وقيم دينية... ويمتد مفهوم كلمة «الثقافة» لدى آخرين ليشمل — بالإضافة لما سبق — العادات والتقاليد الاجتماعية والسلوكي المعيشي من مأكل وملبس ومشرب ووسائل إشباع واستمتاع ونمط غالب في المعاملات أو ما يمكن أن يُطلق عليه «المزاج الجمعي» لمجتمع ما.

وخطورة هذا المنظور الواسع لكلمة «الثقافة» من وجهة نظرنا - أنه يمكن من خلاله وبالاستناد إلى التطبيق العملي في بعض المجتمعات... أن يؤدي إلى وصف كلمة «الثقافة» بما يصم ويشين.

فإذا كانت الثقافة تمتد لتشمل كل فكر — أياً كان - أو نمطاً سلوكياً ومعيشياً وعادات تستوعب — حتى — شكل وطريقة الملبس والمشرب، وكل ما يوصف بأنه فن أياً كان محتوى «هذا الفن»، فإنه يمكننا أن نستخلص من هذا ما يسمى «بثقافة العُري» و«ثقافة الرقص» و«ثقافة الانحلال والشذوذ» و«ثقافة الإلحاد»، و«ثقافة المخدرات» في المجتمعات التي يغلب عليها - والعياذ بالله - السلوك الانحلالي الخلقي والفكر الإلحادي والانغماس في الجنس والشذوذ والمخدرات والفنون الهابطة بما يشكل عادات وظواهر غالبة في بعض المجتمعات... وليس ثمة من شك في أن في هذا انحداراً بكلمة «الثقافة»... وهي كلمة جليلة جميلة سامقة الإيحاء راقية الدلالات، في حقيقتها... لذلك نرى أنه لابد من الرجوع للأسس الدلالية للغتنا العربية لنستخلص منها المفهوم الحقيقي لكلمة «الثقافة» لكي نضع الأمور في نصابها الصحيح، ولنبيّن — بالتالي - ما إذا كان الغزو - اللاعسكري الجديد - الذي نتعرض له... غزواً ثقافياً... أم أنه شيء آخر... لا يجب أن ينضوي في مفهوم الثقافة.... ففي معاجمنا اللغوية، نجد أن «ثقّف» الشيء بمعنى أدّبه وهذّبه وعلّمه... وأن «الثقاف» ... أداة من خشب أو حديد تثقف بها الرماح لتستوي وتعتدل من ثم فإن كلمة «الثقافة» لا يمكن أن تنصرف دلالاتها وإيحاءاتها إلا لما يفيد الإنسان من معارف ويسوّيه... وعلى هذا فإن «مصطلح الثقافة» لا يجوز أن ينصرف إلى كل فكر أو طرح فني أو أدبي أو نهج سلوكي بيئي في المأكل والمشرب وأسلوب للحياة من شأنه أن ينحدر بالامتنان، - وهو خليفة الله في الأرض -، إلى مستوى أدنى من مستوى الحيوان، كما هو الحال في بعض المجتمعات المنحلة المتحللة، من الدين والقيم الأخلاقية الحميدة والمنغمسة في الجنس والعُري والشذوذ والإلحاد والمخدرات والعنف والجريمة «والعياذ بالله» والتي تعكسُ فنونها وآدابها وفلسفاتها المادية، تلك الظواهر المرضية ، وتحبذها، وتسعى إلى تصديرها كأنموذج يتعين على الغير الاحتذاء به كي يلحق بركب المدنية والتحضر والتقدم وينعم بالحرية ويرقى على الطريقة الغربية.

وإذا ما توصلنا إلى هذا المفهوم فإن السؤال الذي يتعيّن طرحه... هو... هل ما تتعرض له أمتنا من غزو — لا عسكري — تغريبي صهيوني خبيث الهدف، فاسد الجوهر، استشرى بكثافة وإلحاح في السنوات الأخيرة يصحُّ وصفهُ بأنه «غزوٌ ثقافيٌ»؟!

ليس هناك ريب في أن صور هذا الغزو المتعددة الأشكال والأساليب... المنطلقة من هدف ثابت ومحدد وهو القضاء على الهوية الإسلامية بكل أبعادها ومضامينها الدينية والفكرية والسلوكية، وقيمها النبيلة السامية... وذلك توطئة للسيطرة الغربية والصهيونية الكاملة على الشرق المسلم... واستغلاله استغلالاً تاماً.. هذه الصور المتعددة لهذا الغزو وبكل خطورتها وقبها المغلف بقناع زائف... تقطع بأننا لسنا بصدد «غزو ثقافي» وفقاً للمفهوم الصحيح لكلمة «ثقافة» وإنما نحن أمام غزو إعلامي فكري انحلالي مدمر... يبتدئ فيما يطرحه الغرب ويصدره إلينا — بخبث وإلحاح وتحايل – من فنون رخيصة وأدب هابط شاذ وأفكار ساقطة مريضة، تمجد الغرائز وتسعى للإطاحة بضوابط الدين والتقاليد والقيم... بدعوى حرية الإبداع... وتحبّذ الإلحاد والتشكيك والتجديف الديني، وتبث روح اليأس والقنوط والعدمية...

ويتبدّى هذا الغزو أكثر خطورة وتحايلا فيما يبث — مقنّعاً بالإبهار – للطفل المسلم وللشباب الصاعد، من فنون مرئية ومسموعة... وآداب مقروءة، تنطوي على أفكار مخرّبة للنفوس مشجّعة على العنف والجريمة والأنانية والسخرية بالقيم والمشاعر الدينية النبيلة... ويتبدّى هذا الغزو أيضاً فيما يُوجه للمرأة المسلمة محرضاً إياها على التحلل الخلقي والفساد السلوكي محاولاً أن يزرع في يقينها أنها تعاني من الظلم وعدم المساواة بالرجل وبالقهر الاجتماعي، وعدم التمتع بحياتها بما يغريها على تقليد المرأة الغربية واتخاذها أنموذجا لها فمع سلوكياتها وإساءتها لمفهوم الحرية... وبما يتعارض مع قيم الإسلام، وهو أمر تعاني منه المجتمعات الغربية، لكنها تسعى إلى تصديره للآخرين.

من ثم فإنه من الأهمية بمكان تصحيح المفاهيم وربط المصطلح بمفهومه الصحيح، ونعت هذا الغزو «التخريبي الصهيوني» المدمر بما هو خليق به... فهو ليس «غزواً ثقافياً» وإنما هو «غزو إعلامي فكري خبيث مدمر وسلوكي منحدر».

ذلك أنه إذا كان ما يغزونا به الغرب المتواطىء مع الصهيونية هو غزو ثقافي صحيح حسب المفهوم السليم لكلمة «الثقافة، فإنه يكون من الأجمل والأجدى أن تتفاعل الثقافات في سبيل مزيد من الرقي والنهضة... غير أن الواقع المؤسف... يقطع بأن الغرب يحجب عنا أسرار تقدمه «التكنولوجية وعلومه المفيدة، بقدر ما يستطيع ولا يصدر إلينا إلا المنتج» دون أسراره... ثم يدفع إلينا دفعاً بالنفايات الفكرية والفنية والسلوكية الهابطة المتردية وما يُعاني «الغرب» منه من أمراض اجتماعية خطيرة.

إنها ليست دعوة للانغلاق والانكفاء لما لدينا من ثقافة وعلم، ذلك بأننا مطالبون بأن نطلب العلم ولو في الصين... وندرك تماماً أن أول كلمة أوحى بها الخالق الكريم إلى رسوله الأمين — صلى الله عليه وسلم – هي «اقرأ»... وإننا مطالبون بأن نتدبر في خلق السموات والأرض... «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج) سورة ق/٦ — ٧، كما أننا مطالبون بالانفتاح الواعي الحريص على العالم بما يفيد ويدفع بالعلاقات الإنسانية نحو الخير والسمو وتبادل المنافع «إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) الحجرات – ١٣.

ومن منطلق هذا التوجه الديني قام المسلمون الأوائل – خاصة في العصر العباسي — بترجمة علوم الآخرين وآدابهم، والوقوف على فكرهم وثقافتهم، والتفاعل مع هذا الفكر وتلك الثقافات، والأخذ منها والإضافة إليها بما عاد على الإنسانية كلها بالخير والفائدة، لكن ذلك كان مصحوباً بالحرص الشديد على التشبث بالهوية الإسلامية وقيم الدين الحنيف، ونبذ كل فكر أو منهاج يتعارض مع قيم الإسلام وثوابته الدينية، لقد غزا المسلمون أوروبا غزواً ثقافياً وفقاً للمفهوم الصحيح لكلمة الثقافة ونقلوا إليها العلم النافع والفكر الإنساني المفيد والإبداع الأدبي الراقي، وترددت في الغرب أسماء ابن رشد، وابن سينا، وابن حيان، والخوارزمي، وابن خلدون، وغيرهم حتى أن ما سُمي بعصر النهضة في أوروبا كان عصراً متكئاً على كثير مما أفرزه العقل المسلم من علوم وآداب وفنون، فالتفاعل الثقافي الذي يفيد الشعوب ويرقى بعلومها وآدابها وفنونها وسلوكياتها... أمر مطلوب ومرغوب فيه، أما وقد أصبح من الجلي أن الغزو الإعلامي الفكري الموجه من الغرب الحليف لصهيونية العالمية، والمتسلل بكثافة وخبث إلى أمتنا، يهدف إلى تدميرها وطمس هويتها وتكريس تبعيتها له، فإن التفاعل مع معطيات هذا الغزو، أو قبوله والاستسلام له، إنما يغدو ضرباً من السعي إلى الانتحار... وهنا لا يجب أن يكون دور المفكرين والكتاب المخلصين في أمتنا الإسلامية مقتصراً على مواجهة هذا الغزو بكشف وجهه القبيح والتحذير منه، إنه دور مهم دون شك ولكنه غير كاف لدرء هذا الوباء المدعَّم بإمكانات مادية وبشرية وتكنولوجية إعلامية ووسائل اتصال وانتشار سريع واسع المدى، فالأمر يقتضي — والحال كذلك – طرح البديل الإسلامي في الفكر والأدب والفن، والعمل على تطويره المستمر والارتقاء به وتدعيمه بعوامل الجذب وسعة الانتشار.

وهذا لا يمنع من أن يكون هذا البديل الإسلامي متفاعلاً مع ما قد ينطوي عليه الفكر العالمي من عناصر إيجابية وبما لا يخل بمنطلقاتنا الإسلامية وثوابت عقيدتنا وقيمنا الأخلاقية... وهو أمر يجب على الحكومات أن تيسره لعلمائها ومفكريها وكتابها وأدبائها وفنانيها الحريصين على أوطانهم، وهويتهم الإسلامية، المتطلّعين إلى الرقي بالمجتمعات الإسلامية ومواجهة الغزو الفكري والسلوكي المنحرف... وذلك بتدعيمهم وتشجيعهم مادياً ومعنوياً، وبالتفكير العملي الجدي في الارتقاء بالإعلام الإسلامي بمختلف وسائله، فبغير وسائل الإعلام المتقدمة ذات الإمكانات المادية التقنية الكبيرة المتطورة لن يكون لجهود المفكرين والمثقفين والمبدعين الإسلاميين ذلك الأثر المطلوب.

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل. ■

صدر حديثاً

أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق

عن دار النفائس «بيروت لبنان» صدر كتاب «أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق» للدكتور أحمد كنعان، يتحدث الفصل الأول من الكتاب عن سنة الله في الخلق وأن كشف السنن ومعرفة شروطها وخصائصها يجعلان الأمور التي تخضع لهذه السنن في نطاق التسخير لنا نحن البشر ويقدم لنا المؤلف أمثلة على ذلك منها ما ذكر في القرآن الكريم في «قصة ذو القرنين» ومنها ما يتعلق بغزو الفضاء ومنها ما يتعلق بالأمراض المستعصية، ويعرف المؤلف سنة الله في الخلق بأنها حكم الله في خليقته ولها خصائص ثلاث: الشمولية والثبات والاطراد وهذه الخصائص تتوافر في جميع السنن التي بثها الله في هذا الوجود، وجاء الفصل الثاني من الكتاب تحت عنوان: مفاهيم في ضوء سنة الله في الخلق وفيه يشرح المؤلف الثمرات التي يمكن أن نجنيها من فهمنا لهذه السنن ومن هذه الثمرات: الحرية، العلم، علم الغيب، الخير والشر، الدعاء، الابتلاء، العبادة، الاجتهاد، التغيير الاجتماعي. وفي الفصل الثالث والأخير يتحدث المؤلف عن واقعنا المعاصر ومعالم في طريق الحل فيقدم بعض الأفكار والاقتراحات التي يراها ضرورية لتغيير الواقع الإسلامي المتخلف.

«موسوعة الأديان»...

صدرت عن دار «بايار» للمنشورات في باريس «موسوعة الأديان للفيلسوفة والباحثة الاجتماعية إيزيه تردان ماسكوليه الأستاذة في جامعة السوربون والمعهد الكاثوليكي في باريس، تقع الموسوعة في ٢٥٠٠ صفحة من القطع الكبير وتتضمن أكثر من مئتي مقالة ودراسة قام بها متخصصون في الدين والتاريخ والفلسفة، وصدرت في جزأين تطلبا خمسة أعوام بحثاً وعملاً، وتتوجه الموسوعة إلى المتخصصين في الشؤون الدينية بوجه خاص والقراء العاديين بوجه عام.

وتقول الكاتبة سكوليه إن الموسوعة تلبي حاجة عدد غير قليل من الناس الذين يشعرون بالفراغ الروحي المتنامي من ناحية، وبالنقص الفادح في مجال المعرفة الدينية بوجه عام من ناحية أخرى، «والإيمان دون معرفة دينية كافية يمكن أن يؤذي الدين نفسه»، كما أن الموسوعة ترد على الذين يزرعون الخوف حيال ديانات أخرى والإسلام بالدرجة الأولى «والموسوعة تتناوله بنفس الأسلوب الذي تناولت به الأديان الأخرى انطلاقاً من إيماننا بأهمية المعرفة الدينية المتكاملة»، وأضافت الكاتبة سكوليه متحدثة عن جدوى وأهمية هذه الموسوعة في السياق الراهن مؤكدة خطأ الاعتقاد الذي ساد في القرن التاسع عشر، ومفاده تأسيس المجتمع استناداً على العقل كطريق وحيد نحو تقدم البشرية. «ولقد تبين بعد فترة أن التقدم المنشود تعطل ولم يحقق الطموحات التي يصبو إليها الإنسان، الأمر الذي يفسر عودة الناس إلى الدين وتحويل عدد من الدول الديمقراطية المسألة الدينية من قضية خاصة إلى قضية عامة».

والعودة إلى الدين في ظل الأزمة الروحية التي تعرفها المجتمعات الحديثة ليست وقفاً — في نظر الكاتبة والفيلسوفة سكوليه - على المؤمنين «الجدد» الذين أحسوا بوطأة التفسير المادي للحياة وبحدود مصداقيته، وتتزامن هذه العودة في آن واحد مع ظاهرة عزوف أناس آخرين عن الدين الأمر الذي يجسد مفارقة من الطراز الأول: «إلا أن التوفيقية بين الحالين ممكنة وواردة بحكم الطلب الكبير الذي يتزايد من يوم لآخر على المصادر والمراجع الدينية والبرامج الإعلامية طلباً لزاد روحي وديني مفقود».

أخيراً، أكدت الباحثة سكوليه أن الموسوعة تدخل في إطار الحوار بين الأديان... وهو الحوار غير المنتشر بالقدر الكافي والضامن لمعرفة دينية علمية تقطع الطريق أمام الأفكار المسفة الخاطئة والتعصب والشوفينية، «وأضافت قائلة أن الخلط يسود المجتمعات التي تنقصها الثقافة الكافية في جميع مجالات المعرفة بما فيها المعرفة الدينية وعنف المواقف، والممارسة الناتجة عن الجهل بالدين يحول دون الانفتاح على الأديان الأخرى وبالتالي معرفتها».



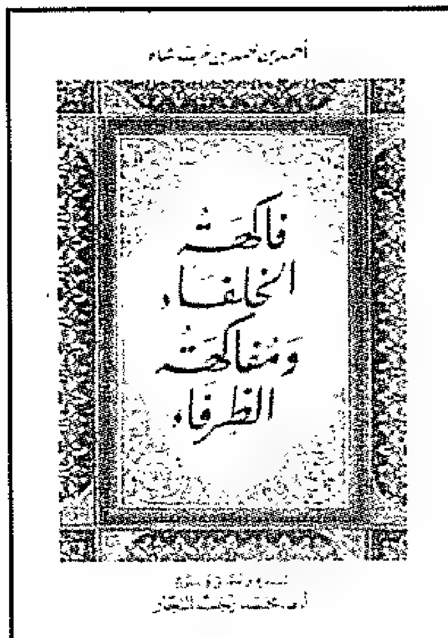
منهج الأيسيسكو لتدريب معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها

عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة صدر كتاب «منهج الايسيسكو لتدريب معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها» للمؤلف إسحق الأمين الاختصاصي ببرامج التربية في الايسيسكو.

ويشتمل الكتاب على منهج علمي للتدريب يتناول الجوانب النظرية والتطبيقية ذات الصلة بتعليم اللغة العربية، ويناسب ظروف دورات تدريب المعلمين التي دأبت المنظمة على تنظيمها لمعلمي اللغة العربية كما يحتوي الكتاب على دليل أساسيات طريقة التدريس وإجراءات التربية العملية الذي أعد خصيصاً لدورات التدريب القصيرة.

ويتضمن الكتاب مدخلاً إلى التدريب والتربية العملية وفصولاً عن تدريس الاستماع والنطق، وتدريس الكلام وتدريس التراكيب اللغوية، وتدريس المفردات، وتدريس فهم المسموع وتدريس القراءات، وتدريس الكتابة، والمعينات البصرية والسمعية، والاختبارات وتحضير الدرس وكلام المعلم، وصفة الكتاب التعليمي الجيد، ويقدم الكتاب نماذج لدروس مختارة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء



عن دار سعاد الصباح صدر كتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» تأليف أحمد بن محمد بن عرب شاه المتوفى العام ٨٥٤هـ والكتاب من تقديم وتحقيق وشرح الدكتور محمد رجب النجار، ويتكون من عشرة أبواب قصصية تضمها حكاية إطارية كبرى وتحقق له وحدته الشكلية والبنائية على غرار حكاية ألف ليلة وليلة، وفي كل باب هناك قصة رئيسة أو أصلية قائمة بذاتها في باب بذاتها. هذا وكتب د. النجار في مقدمة الكتب دراسة عن القصص وتشكيل الوعي تناول فيها دور العرب في الإبداع القصصي وكل ما يتعلق بقصص الحيوان، ثم عرج على كتاب «فاكهة الخلفاء» آخر العنقود في مجال كتب التراث على لسان الحيوان قبل العصر الحديث، واعتبره كتاباً في الأدب السياسي يعكس طبيعة العلاقة بين السلطة والثقافة أو السيف والقلم ويرصد وقائع الصراع بين السلطتين في عصره، ويتحدث الباب الأول عبر ست قصص حول ملك العرب الذي كان السبب لوضع هذا الكتاب، والثاني في ثماني قصص عن وصايا ملك العجم المتميز على أقرانه بالفضل والحكم «حسب ما جاء في الكتاب»، والثالث في حكم ملك الأتراك مع ختنة الزاهد شيخ النساك ويتناول حكاية أخبار اللصوص الثلاثة، والرابع في مباحث علم الإنسان مع العفريت ملك الجان، ويتضمن ثماني قصص، والباب الخامس في نوادر ملك السباع ونديمين أمير الثعالب وكبير الضباع في تسع قصص، والسادس يتناول أربع عشرة قصة حول نوادر التيس المشرقي والكلب الأفريقي، والسابع في ذكر القتال بين أبي الأبطال الرئبال وأبي دغفل سلطان الأفيال ويتضمن سبع قصص، والثامن في حكم الأسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد، ويقع في ست قصص والتاسع يتضمن ست قصص حول ملك الطير العقاب والحجلتين الناجيتين من العقاب، أما الباب العاشر فهو حول معاملة الخادم والأحباب والأعداء والأصحاب ويتضمن خمس قصص.

العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الإسلامي

في حوالي ٢١١ صفحة من الحجم الكبير صدر حديثاً عن مركز دراسات الوحدة العربية كتاب «العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الإسلامي» للدكتور عبدالحميد إبراهيمي، يتحدث الكتاب عن ضرورة إيجاد حلول إسلامية لمشاكل الفقر والتخلف في عالم متغير مشحون بالرهانات المتعددة من أجل مستقبل أفضل في ظل مؤسسات إسلامية تأخذ على عاتقها مسؤولية ترقية العدالة الاجتماعية وتحقيق التنمية والرقي المادي والمعنوي والمساواة والكرامة، ويتألف الكتاب من سبعة فصول تضمن الفصل الأول تذكيراً بأهم أسس الاقتصاد الإسلامي والفصل الثاني إيجازا للمفهوم الاقتصادي عند كبار المفكرين المسلمين والثالث والرابع مخصصان لموضوع الزكاة ومبادئها وأهميتها في تحقيق العدالة الاجتماعية والخامس والسادس تحدثا عن موضوع محاربة الفقر من جهة إيجاد عناصر الاستراتيجية بهدف استئصال جذور الفقر والفصل السابع تضمن مقترحات لعناصر الاستراتيجية من أجل التنمية في الاقتصاد الإسلامي، واعتبر المؤلف في ختام كتابه إنجاز السياسات الاقتصادية المستوحاة من الشريعة الإسلامية وتجسيدها تدريجياً مع مراعاة خصوصيات كل بلد هما السبيل للخلاص من التبعية ولضمان الاستقرار السياسي والاجتماعي في آن واحد.

أخبار ثقافية

● تم يوم ٢٩/١٠/١٩٩٧م في جامعة الدولة للمعلمين بموسكو افتتاح «قسم الايسيسكو للدراسات الإسلامية واللغة العربية» وذلك في إطار التعاون ما بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «ايسيسكو» ومعهد الحضارة الإسلامية التابع لجامعة الدولة للمعلمين في موسكو في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها.

● تستضيف المملكة العربية السعودية خلال الفترة من ٢٨/١١ ـ ٩/١٢/١٩٩٧م المؤتمر العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) والذي يشارك في فعالياته ٤٤ وزيراً يمثلون دولهم الأعضاء.

● سيعقد في القاهرة في شهر فبراير المقبل ١٩٩٨م مؤتمر الإبداع الروائي العربي وسيواكبه إعلان جائزة مصرية للرواية العربية وكان مقرراً عقد المؤتمر وإعلان الجائزة في ديسمبر لكن ذلك تأجل إلى الفترة من ٢٢ ـ ٢٦ المقبل لإتاحة الفرصة للجنة تحكيم الجائزة لاتخاذ قرارها.

● أصدرت شركة الرشيد للحواسب والصناعة في دمشق الجزء الأول من سلسلة السيرة النبوية على اسطوانات تعمل على الحواسب المتنوعة «الكمبيوتر» ويُعد الجزء الأول أساساً للخوض في التفاصيل المباشرة للسيرة النبوية الشريفة واختارت الشركة ستة مواضيع جعلتها أساساً ومقدمة للسيرة النبوية وهي: الأنبياء والرسل، العالم قبل الإسلام، أرض الرسالة «الجزيرة العربية» حملة الرسالة «العرب» مهد الرسالة «مكة المكرمة» النسب النبوي الشريف.

وسيعرض الجزء الأول في معرض جيتكس ـ ٩٧ في دبي. للاستفسار يمكن الاتصال بمكاتب الشركة في دمشق ـــ ص.ب ٣٢١٣٠ ـــ هاتف ـــ ٣٣٣٨٦١٤ (٩٦٣١١).



السياح العرب يهدرون سنويا ١٠٠ مليون دولار في أوروبا

يضيع السياح العرب ويهدرون سنويا في اوروبا نحو مئة مليون دولار كسلا وعدم اكتراث قيمة مسترجعات الضرائب عن السلع التي يتسوقونها في السنة الواحدة.

وقدرت احصاءات رسمية في بريطانيا قيمة ما ينفقه السياح ورجال الاعمال العرب في دول اوروبا على شراء سلع ومنتجات خلال سنة واحدة ببليون دولار يحق لهم استرجاع نحو ثلاثمئة وخمسين مليون دولار عن الضرائب التي تحصل منهم على السلع التي يتسوقونها خلال وجودهم هناك لكنهم لا يسترجعون منها غير مئتين وخمسين مليون دولار ليضيع منهم مبلغ مئة مليون دولار هدرا لمجرد انهم يستنكفون عن طلبها بموجب وثائق الشراء لدى مغادرتهم مطارات اوروبا.

واشارت الاحصاءات البريطانية الى ان بريطانيا استقبلت عام ١٩٩٦م الماضي ستة وعشرين مليون سائح من مختلف انحاء العالم انفقوا عشرين بليون دولار منهم ستمئة وخمسة وثلاثين الف سائح عربي انفقوا بليوني وستمئة وخمسة ملايين دولار.

أطفال أوروبا الشرقية أبرز الضحايا

يعتبر اطفال رومانيا وبلغاريا ابرز ضحايا التغييرات الاقتصادية التي اعقبت سقوط الشيوعية في اوروبا الشرقية وهم يعانون اكثر من غيرهم من الفقر والاستغلال الجنسي.

وتظهر المعلومات ان وضع الاطفال – في بولندا والمجر وتشيكيا وسلوفاكيا – يبدو اقل سوءاً، من دون ان يكون مثاليا وافادت دراسة انجزت في يوليو الماضي لحساب منظمة الامم المتحدة لرعاية الطفولة «يونيسيف» ان الاطفال هم «ابرز ضحايا» في المرحلة الانتقالية الصعبة التي تمر فيها رومانيا منذ عام ١٩٩٠، وكشفت دراسة ان ٥٤ في المئة من الاطفال في هذا البلد يعيشون «تحت عتبة الفقر المطلق» ولايتمتع سوى ٧ في المئة منهم بـ «مستوى معيشة مرتفع».

ويقول عالم الاجتماع كاتالان زامفير ابرز معدي هذه الدراسة «منذ عام ١٩٨٩ رغم الجهود الكبيرة التي تقوم بها هيئات رومانية ودولية «لم يتوقف وضع الاطفال عن التدهور» ورغم تراجع نسبة الولادات لايزال عدد الاطفال اللقطاء يسجل ارتفاعا يصل حاليا الى نحو مئة الف طفل. ويبلغ عدد الاطفال المشردين نحو خمسة آلاف «يعانون في اكثر الاحيان من استغلال اقتصادي وجنسي» حسب قول زامفير الذي اضاف ان ٧٠٠ حال استغلال جنسي بحق اطفال سجلت عام ١٩٩٥، بينها ١٩ حالة تخص اطفالا دون العاشرة ولايبدو الوضع في بلغاريا افضل مما هو عليه في رومانيا، اذ يعمل في بلغاريا اكثر من خمسين الف طفل تقل اعمارهم عن ١٦ عاما في السر مابين ٨ساعات و١٠ ساعات يوميا لحساب شركات خاصة.

«الايدز» كلف العالم مئة مليار دولار

اعلن خبير اميركي أمام المؤتمر الرابع لمنطقة آسيا والمحيط الهادي– حول الايدز الذي انعقد في مانيلا خلال الفترة مابين ٢٧–٢٩/١٠/١٩٩٧ ان انتشار هذا المرض منذ ظهوره العام ١٩٨١ كلف العالم اكثر من مئة مليار دولار.

وقالت مرغريت جونسون المديرة العلمية للمنظمة الاميركية الدولية للقاح ضد الايدز والتي تعمل مع هيئة الامم المتحدة لمكافحة الايدز ومنظمات دولية اخرى ان هذا المرض سيكلف العالم ايضا ١٨مليار دولار سنويا في الاعوام المقبلة ولاسيما على شكل نفقات طبية. واوضحت ان بعض الشركات تقدر تكاليف انتاج لقاح مضاد للايدز بعشرات ملايين الدولارات في حين تقدرها اخرى بنحو مئة مليون دولار. لكنها اضافت ان هذه المبالغ تعتبر متواضعة جدا مقارنة بتكاليف المرض نفسه معربة عن الاسف لعدم وجود دوافع اقتصادية تشجع القطاع الخاص على الاستثمار في الابحاث الرامية الى التوصل الى لقاح فعّال. وتطرقت مرغريت جونسون ايضا الى الجوانب الوراثية كعقبة امام التوصل الى لقاح فعال. وقالت «اننا لانستطيع ان نضمن ان يكون اللقاح فعالا بالنسبة لابناء القوقاز كنفس المفعول على ابناء الفيلبين.

واضافت ان هناك اكثر من ٤٠ «لقاحا تحت الاختبار» تمت تجربة عدد منها على البشر لمعرفة آثارها الجانبية وليس لاختبار فاعليتها.

واشارت الى ان الابحاث تركزت حتى الآن على فيروس الايدز من نوع «بي» وطالبت بان تجرى في الوقت نفسه ابحاث على ثمانية انواع اخرى من الفيروس «لتسريع النتائج»

من جهة اخرى اعتبر رئيس المنظمة الاميركية الدولية سيث بركلي ان «الحل الوحيد لوقف انتشار الايدز في آسيا وباقي انحاء العالم هو اللقاح. واشار بيركلي الى ان الاحتمال كبير في ان تجرى اول اختبارات على فاعلية لقاح مضاد للايدز في «اسيا وعلى الاخص في تايلاند».

وفي تايلاند وهي اكثر دول آسيا تعرضا للايدز نحو ٨٠٠ الف مصاب بالفيروس. وتشن سلطات هذا البلد حملة توعية ضخمة لمحاربة انتشار المرض تشمل مراقبة الدم ومشتقاته وتوزيع الواقيات مجانا. واوضح الخبراء امام المشاركين في مؤتمر مانيلا ان منطقة آسيا والمحيط الهادي تضم حاليا مابين خمسة وسبعة ملايين مصاب بفيروس الايدز مقابل ١٤ مليونا في منطقة جنوب الصحراء في افريقيا. محذرين من ان هذا العدد سيرتفع بمقدار الضعف قبل العام ٢٠٠٠.

هونتينجن معقبا على الأمين العام السابق لحلف الأطلسي

نظريتي عن الإسلام وحضارته كانت خاطئة

قال السكرتير العام السابق لحلف شمال الاطلسي جون كالفين بعد انهيار جدار برلين: ان الحرب الباردة بين الشرق والغرب قد انتهت وكسبناها ولكن هناك خلاف قديم سيتجدد عاجلا او اجلا ألا وهو خلافنا مع الاسلام ولاندري من سيكسب المعركة المقبلة هل المسلمون أم نحن؟ صحيح ان العالم الاسلامي اصبح في وضع غير مستقر منذ إلغاء الدولة العثمانية، وتعيش دوله في حال عداء مع بعضها ولكن القرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين قادر على ان يوحد المسلمين من جديد ويجعل خلافنا معهم في الأولوية.

ولكن صموئيل هونتينجن له رأي آخر في المناقشة التي دارت معه في معهد ألفرد هيرهاوزن للحوار الدولي. حيث قال معقبا على جون كالفين الذي كان حاضرا «مامن أمة الا وتركت حضارة وراءها ولكن هذه الحضارة اندثرت، فقد ترك الرومان والفرس كما ترك الآشوريون واليابانيون والقوط آثارا كثيرة دلت على مدى تقدمهم في زمانهم الذي عاشوه ولكن هذه الحضارات صارت أثرا بعد حين. الا الحضارة الاسلامية التي بقيت الى الآن شاهدة على إمكانات عودة المسلمين إلى قيادة العالم مرة اخرى فالمعاهد العلمية التي اقاموها في اوروبا وفي الشرق الاوسط وفي افريقيا واسيا والتي لاتزال تستمد المعرفة من علمها اكبر دليل على قدرة المسلمين على الابداع العلمي من جديد وعلى الخروج من المأزق الذي يعيشونه.

وقال صمويل: لقد ذكرت في كتابي «صراع الحضارات» ان الاسلام سينتهي امره لامحالة، ولكنني ومن بعد مارأيته ولمسته وجدت ان نظريتي - السابقة عن الاسلام وحضارته - كانت خاطئة. فقد وقع في هذا الخطأ اناس نشهد لهم بالعلم والدراية أتوا قبلي ولكن الايام اثبتت خطأ ماتوقعوه فقد زعم اجناتس جولدتسيهير ان الاسلام كدين ودولة سينتهي، معللا فرحه بإلغاء كمال أتاتورك الخلافة.

كما خيب السلطان عبد الحميد الثاني امل ثيودور نولدكة «المستشرق المعروف» عندما أراد ذلك السلطان احياء الخلافة الاسلامية من جديد ودعوته لاقامة جامعة الدول الاسلامية. وبلوغ العرب في مجلس النواب العثماني درجات عليا في المناصب

إسقاط كلمتي «أب وأم»

حضت الكنيسة الكاثوليكية في ايرلندا المدرسين على إسقاط كلمتي «أب وأم» من حديث الصف اعترافا بالعدد المتزايد للعائلات المتألفة من احد الابوين فقط.

وبدل ذلك يجب ان يستخدم المدرسون كلمات مثل «الراشدون الذين يعيشون في منزلكم» او «الناس الذين يعتنون بك» وهذه اللغة جزء من المصطلحات الجديدة التي تستخدمها الكنيسة في احدث برامجها التربوية للاطفال بعمر خمس سنوات، واطلقت هذه البرامج في بلفاست شمال ايرلندا.

إنشاء مجلس عالمي للمرأة المسلمة بمصر

قرر مجلس رئاسة المجلس الاسلامي العالمي للدعوة والاغاثة انشاء اللجنة الاسلامية العالمية للمرأة والطفل لتكون مظلة تنسيقية بين مختلف الهيئات والمنظمات الشعبية النسوية في مختلف انحاء العالم.

واللجنة تعتبر مجلسا عالميا للمرأة المسلمة يهدف الى ابراز دور المرأة المسلمة ومكانتها في الشريعة الاسلامية ومكانتها السامية على مدى التاريخ الاسلامي في عصوره الذهبية.

وتشير حيثيات القرار الى ان المجتمعات الاسلامية مطالبة بالرجوع الى المعين الصافي الذي انصف المرأة واعطاها حقوقها منذ بزوغ الرسالة المحمدية للارتقاء بها موضحا ان هناك حاجة لإظهار تجربة المرأة المسلمة عبر تاريخها الحضاري وابرازها من خلال وسائل الاعلام المقروء والمسموعة والمرئية لتكون تجربة مطروحة للاقتداء او الاستفادة منها عالميا، وينظم عمل اللجنة مجموعة منتخبة من احدى عشرة امرأة ترأسها واحدة منهن.

ويتم انتخاب هذه اللجنة التنفيذية من قبل الجمعية العمومية، وكل عضوة في اللجنة التنفيذية او الجمعية العومية تمثل حركة اسلامية نسوية في بلدها سواء كان هذا البلد اسلاميا او غربيا او غيره، حتى يتحقق الهدف من انشائها وهو ان تكون جهة تنسيقية عالمية بين المنظمات الاسلامية النسائية.

وعضوية اللجنة الاسلامية العالمية للمرأة والطفل مفتوحة لجميع النساء المسلمات اللاتي يشاركن اللجنة توجهها الاسلامي، ويمكن للجمعيات -والحركات النسوية الاسلامية التي تعنى بالشؤون الانسانية والثقافية والاجتماعية للمرأة والطفل -ان تحصل على العضوية كما يمكن قبول العضوية الفردية بعد موافقة اللجنة التنفيذية وتصديق مجلس الرئاسة على ذلك.



حجم تعاملات البنوك الإسلامية ٦ مليارات دولار يوميا

قال رئيس مجلس إدارة الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية الأمير محمد الفيصل ان المؤسسات المالية الاسلامية قادرة على منافسة المؤسسات التقليدية وان حجم تعاملاتها يصل الى نحو٦ مليارات دولار يومياً.

واوضح الفيصل في تصريح للصحافيين ان الحملة التي تعرضت لها البنوك الاسلامية في مصر في بداية العام ١٩٩٧ دعمتها بشكل كبير، وان البنوك الاسلامية استفادت من تلك الحملات الموجهة ضدها.

واضاف ان تطور اداء البنوك الاسلامية يحدث بصورة اسرع من تطور الاداء في البنوك التقليدية ممايتطلب من البنوك المركزية تعميم نظام مراقبي صارم يراعي خصوصية البنوك الاسلامية.

وذكر الفيصل ان المؤسسات المالية هي الأقرب لإعطاء صورة محددة عن واقع السوق الاقتصادي في الدول التي تعمل فيها لان ممارسات هذه المؤسسات قائمة على اساس المشاركة في الأنشطة الاقتصادية التي تعتمد على اساس سعر الفائدة.

١٠ مليارات نسمة سكان العالم في العام ٢٠٨٠

قال باحث استرالي يدرس معدلات الزيادة السكانية إنه من المتوقع ان ينمو سكان العالم من ستة مليارات الى نحو عشرة مليارات بحلول العام ٢٠٨٠، الا أن المتوقع ان يجد الانسان مايكفيه من الغذاء رغم هذه الزيادة.

وصرح جون كالدويل رئيس الاتحاد الدولي لدراسات السكان في مؤتمر صحافي في بكين ان النمو السكاني قد يتوقف عند نحو عشرة مليارات نسمة.

ومضى يقول: اذا وصل عدد السكان الى عشرة مليارات نسمة فسيكون ذلك على الارجح خلال القرن المقبل في العام ٢٠٧٥ او ٢٠٨٠

عشرون مليون مسلم روسي

قال رئيس اتحاد المسلمين الروس وعضو البرلمان الروسي نادر محمد كمشلاف: ان للاسلام في روسيا مستقبلا وسيبلغ اقصى درجات ازدهاره ونهضته رغم ان الدول الغربية تستعمل نفوذها لتسيير دفة الامور في روسيا، ولكن المسلمين الروس ليسوا بغافلين عن دورهم ويعملون بشكل متصل، وستكون لهم مكانة في حكم وقيادة روسيا في القريب. واضاف :ان مناقشات قد دارت في البرلمان الروسي نبهت الى ان روسيا ليست فقط دولة مسيحية بل هي كذلك اسلامية لان بها نحو ٢٠مليون مسلم ويجب الاعتراف بحقوق المسلمين الروس. واضاف كمشلاف: لقد وافق البرلمان الروسي على ذلك وتمت مناقشة دخول روسيا في منظمة المؤتمر الاسلامي. ويأتي ذلك اشارة الى اهمية مستقبل الاسلام في روسيا.



وذكر كمشلاف ان اتحاد مسلمي روسيا قد تأسس منذ عام ولم يتلق -حتى الآن اي- دعم من العالم الاسلامي وانهم يحاولون الاستفادة من المسلمين المتعلمين ومن نصائحهم وخبراتهم في محاولات الدعوة لأن الدعوة الاسلامية في روسيا مازالت بحاجة الى نشاط اكبر وحركة اكثر. وكشف كمشلاف في حديثه للصحيفة عن فشل محاولات اسرائيلية كانت تهدف الى افتتاح مركز ثقافي في داغستان. واكد ان المسلمين هناك لن يسمحوا بذلك لدولة مازالت تحتل المقدسات الاسلامية حتى الآن.

وذكر ان في روسيا علماءروس مسلمين على مستوى عال ومتقدم في الخبرة والمعرفة العلمية، وفي المجالات التي تتفوق فيها اسرائيل على العرب والدول الاسلامية، ولم تبادر اي دولة من العالم الاسلامي لاستثمار تلك الخبرات والعلماء الروس.. لاشك أنهم يرحبون تماما بالتعاون مع العالم الاسلامي، وسنقدم واياهم اقصى مانستطيع من امكانات موجودة لدينا.

انقراض ثلثي غابات العالم

ذكر صندوق البيئة الدولي WWF في آخر تقرير له نشر في برلين ان الكرة الارضية فقدت حتى الآن والى الأبد، ثلثي الغابات التي كانت تغطيها وان الثلث المتبقي من هذه الاشجار مهدد بالانقراض ايضا مالم يوفر العالم اهتماما اكبر لرعايتها، اذ انخفضت مساحات الغابات التي تغطي قشرة الأرض من٨،٠٨ مليار هكتار قبل نحو ثمانية آلاف عام الى ٣،٠٨ مليار هكتار فقط هذا اليوم. وطالب البحث الذي اعده مختصون دوليون في حماية البيئة بإقامة شبكة دولية مترابطة من «مناطق الحماية» تحيط بعشرة في المئة من الغابات الاستوائية وشبه المدارية المهددة اكثر من غيرها بالانقراض من بيئتها. وحدد التقرير موعدا اقصاه نهاية العام ٢٠٠٠ لتنفيذ هذه الشبكة بهدف منع انقراض غابات الارض التي يموت ٣٠ هكتارا منها كل دقيقة.

ولم تنج اوروبا ايضا من انتقادات صندوق البيئة الدولية فأشار التقرير الى أن مئة منطقة غابات اوروبية جرى «استئصالها» خلال الاعوام الخمسة الماضية بهدف الحصول على الاخشاب وبهدف شق الطرق وتوسيع المدن.. الخ .وخسرت اوروبا خلال القرون الثمانين الماضية من حياة الانسان عليها نحو ٦٢ في المئة من غاباتها. وحذر الباحثون من ان استمرار انقراض الغابات في العالم بهذه الصورة سيؤدي الى تصحر الغابات تماما في ٥٠ دولة من دول العالم.

ويتعرض ١٧ مليون هتكار من الغابات القديمة سنويا الى الانقراض او فقدان القيمة البيئية بفعل النشاط الصناعي وقطع الغابات وشق الطرق وغيرها ولايبدو ان انقراض الغابات في امريكا الشمالية وشمال آسيا واوروبا يجري بشكل اقل مأساوية عما هو عليه الحال في المنطقة الاستوائية وجنوب القارات الثلاث واعتبر التقرير ان الفيضانات والجفاف والحرائق والكوارث الطبيعية الاخرى هي «القاتل رقم واحد» للغابات في العالم

مئات الأطفال اليمنيين خطفتهم السلطات الإسرائيلية لتهديهم عائلات يهودية أوروبية

خرج سياسي اسرائيلي رفيع سابق عن صمت دام عقدا ليؤكد ان السلطات الاسرائيلية اختطفت اطفالا من مهاجرين يمنيين منذ نحو ٥٠ عاما واعطتهم إلى يهود من اصل أوروبي لتبنيهم وقال الحاخام مناحيم بوروش الذي كان في وقت من الاوقات من ابرز الشخصيات السياسية مشرعا وزعيما لحزب «اغودات اسرائيل» الديني المتطرف في مقابلة مع القناة الثانية بالتلفاز الاسرائيلي اذيعت مؤخراً «انهم خطفوا الاطفال، وصلت عائلات كثيرة من اليمن لكننا اخذنا اطفالهم» وكان يهود من اصل يمني زعموا منذ وقت طويل ان السلطات اخذت مئات الاطفال الرضع الذين كانوا في المستشفى بين عامي ١٩٤٨و١٩٥٠ واعطتهم إلى عائلات تنحدر من اصل اوروبي لتتبناهم، وقيل للامهات ان الاطفال ماتوا.

بعثات إسرائيلية سرية في آسيا الوسطى

يولي المسؤولون في اسرائيل وعلى اختلاف اتجاهاتهم وتصنيفاتهم الحزبية اهتماما خاصا بالجمهوريات الإسلامية فيما كان يطلق عليه سابقا الاتحاد السوفيتي، حيث يمارسون كل مامن شأنه ان يساهم في اقامة علاقة وثيقة مع هذه الجمهوريات.

ولايخفي المسؤولون الاسرائيليون اهتماماتهم تلك، فقد اعلن وزير الاستيعاب «يوني اولشتاين» ان حكومته معنية بتوثيق علاقاتها مع الجمهوريات الإسلامية وخصوصا قازقستان.

وقال: ان الهدف من ذلك هو عزل هذه الجمهوريات عن محيطها الاسلامي ومنع توثيق العلاقات معها خشية تسريب اسرار ذرية الى الدول الإسلامية.

واوضح ان من الاهداف ايضا اقامة علاقات امنية على مستوى استراتيجي على غرار تلك السائدة بين اسرائيل وتركياحاليا، مع مايتطلب ذلك من اجراء مناورات مشتركة وتبادل المعلومات الاستخبارية ومواجهة مايسميه بـ «التطرف الإسلامي».

ذكر التلفاز الاسرائيلي ان حكومة «بنيامين نتنياهو» ارسلت مبعوثين سريين عسكريين واقتصاديين الى الجمهوريات الإسلامية في اسيا الوسطى والقوقاز لاقناع حكوماتها بالتعاون مع اسرائيل، مع وعد مقابل منه بتقديم الخبرات في مجالات الزراعة والصناعات الاخرى لمساعدة هذه الدول.

البنك الدولي يكافيء تركيا!

قدم البنك الدولي مليار دولار دعما لمشروع تمديد التعليم الالزامي في تركيا لثماني سنوات والذي سينتج عنه إغلاق مئات المدارس الدينية الإسلامية.

وهذا المبلغ جزء من مساعدات ضخمة لتركيا في الشؤون المختلفة ويعتبر تشجيعا للقوى المباشرة المؤثرة في تركيا نحو خطوة علمنة التعليم والقضاء على التوجه الديني المتزايد.

ترجمات

شبح الصراع الماركسي لم يمت بعد في أوروبا!!

هل اندثرت الأحزاب الشيوعية الأوروبية، أم أنها مازالت تلعب دوراً حاسماً في الأزمات الأوروبية كافة وذلك من خلال الصراع بين رأس المال والعمل... هذا السؤال طرحته الغارديان البريطانية في مقال لها نشرته أخيراً بقلم الصحافي مارتن ووكر، يقول المقال:

ـ هناك شبح يخيم على أوروبا، ومن الغريب أنه الشبح نفسه الذي وصفه كارل ماركس عندما كتب تلك الكلمات الافتتاحية للبيان الشيوعي قبل مئة وخمسين عاماً تقريباً، ومازال الشيوعيون يلعبون الدور الحاسم في وروسيا، حيث يتصدر الشيوعيون الهجوم المفاجيء ضد موازنة بوريس يلتيسين الحيوية، وفي فرنسا يقاتل الشيوعيون بوصفهم شركاء في حكومة ليونيل جوسبان، لإرغام الحكومة على الالتزام بالوفاء بوعودها الانتخابية لمعالجة مشكلة البطالة في جعل عدد ساعات العمل الأسبوعية (٣٥) ساعة وتقاسم العمل المتوافر، وفي إيطاليا أرغم رفض حزب إعادة التأسيس الشيوعي دعم آخر جولة من الاستقطاعات في الإعانات المالية الحكومية، حكومة يسار الوسط بزعامة رومانو برودي على الاستقالة، والتشكيك من جديد في قدرة إيطاليا على التأهل للوحدة النقدية الأوروبية، ويواجه الشيوعيون في كل من هذه المعارك هزيمة تكتيكية، ربما تخفي انتصاراً استراتيجياً، ففي فرنسا وإيطاليا يواصل الشيوعيون مسيرتهم ويكسبون تحولاً بطيئاً يتم بالرضا المتبادل نحو أسبوع عمل أقصر على مدى السنوات الأربع المقبلة.

لكن الثمن كان مرتفعاً ففي إيطاليا أدى إجماع الأغلبية السياسية على الوفاء بشروط الانضمام إلى الوحدة النقدية الأوروبية إلى سحق التمرد الشيوعي، وأخطأ الزعيم الشيوعي والإصلاحي الوحيد في إيطاليا فاوستو بيرتينوتي، في تقدير المزاج العام في البلاد، إذ قوبل خلال جولته الأخيرة على المناطق التي تضررت بسبب الزلزال الذي

إعداد: عبدالمنعم أحمد

ضرب بعض المناطق الإيطالية بصيحات الاستهجان من قبل الحشود، وتنعي الصحف الإيطالية حزبه وبكلمات قريبة إلى الطريقة التي استنتجت من خلالها الصحافة البريطانية مؤشرات الطقوس الأخيرة لليسار البريطاني عبر مغامرة أرثر سكارجل، الفاشلة في إضراب عمال المناجم هناك. ورغم أن الشيوعيين القدامى في فرنسا وإيطاليا، لا يمتلكون سوى أقل من نسبة عشرة في المئة من أصوات الناخبين، ليست لديهم القوة الصناعية للقيام بإضراب خطير، فإن هناك تشابهاً بين موقفهم وموقف الشيوعيين ـ الروس ضد تيار حرية السوق، وتهمة مكارجل، الدونكيشوتية الأخيرة ضد التاتشرية والتقشف في الموازنة وإصلاح نظام الرفاه التقليدي الذي يُفرض الآن لتمكين فرنسا وإيطاليا وألمانيا من الوفاء بالمعايير المالية للانضمام إلى العملة الموحدة، يمثل شكلاً خفياً من التاتشرية، والجانب المدهش من هذه العملية هو كيف أن بنى وأحزاب اليسار القديمة المرتبكة في أوروبا تعالج وتتناول بصورة سيئة ما يجب أن تكون فرصتها من الناحية النظرية، فالبطالة الكبيرة في فرنسا وألمانيا تسير جنباً إلى جنب مع الازدهار الغريب في سوق الأسهم، ويبدو هنا أن التضخم مدّجن، لكن المداخيل الحقيقية لمعظم الدول الأوروبية مازالت راكدة أو أنها تتدهور بينما نرى أن أرباح الشركات وأسعار الأسهم في ارتفاع مستمر، لكن النقابات تتعرض للتهريب والتهديد، كذلك أحزاب الاتجاه الديموقراطي الاجتماعي اليساري التقليدي تمهد الطريق ـ على طريقة توني بلير ـ باتجاه التكيف مع الموازنة الجديدة للقوة الاجتماعية الاقتصادية، يقول الاقتصادي الأكاديمي الليبرالي آلان بليندر، الذي يدّرس في جامعة «برنستون» وكان عضواً في مجلس الاحتياطي الفيدرالي الأميركي: أعتقد أنه عندما ينظر المؤرخون إلى الربع الأخير من القرن العشرين، فإن التحول من العمل إلى رأس المال هو التحول الذي لم يسبق له نظير، وأن المال والسلطة في هرم الدخل، سيكونان موضع تركيزهم الأول، وهو يعتقد أن الولايات المتحدة وكثيراً من دول العالم المتقدمة شهدت انتصاراً تاريخياً واستراتيجياً لرأس المال على العمل في مجتمعاتها، وهو ما يمثل صدى محلياً لهزيمة الاتحاد السوفييتي في الحرب الباردة، ومع ذلك فقد كان ينبغي لتلك الهزيمة أن تساعد اليسار وتحرره من عقدة الذنب المتمثلة في الارتباط بالاتحاد السوفييتي لشن حملة جديدة على البطالة، وعلى الأجور المضغوطة والاستقطاعات للمعونات المالية التي تأتي مع العولمة.

وربما تكون الأحزاب الشيوعية القديمة في فرنسا وإيطاليا أوعية خاطئة وغير مناسبة لاقتناص هذه الفرصة، وربما يكون «فاوستو بيرتيوني»، مخطئاً في النضال ضد ما يطلق عليه «الهيمنة الزاحفة» لنزعة الوسط على طريقة توني بلير، وقد يكون المشهد السياسي تغيّر بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى بحيث تكون معارضة دخول بريطانيا في عضوية الوحدة النقدية الأوروبية من أوساط المعارضة اليمينية، ومن المحتمل أن الشبح الشيوعي الذي مازال ينتاب أوروبا مجرد صدى تاريخي، وهو القاعدة الأخيرة لقوة مهزومة لا مستقبل لها، بيد أنه ليس من الحكمة الثناء على نهاية التاريخ، على رأي فرانسيس فوكوياما، وتناسي كارل ماركس، بعد أسبوع من عمليات الاندماج المهووسة عبر أوروبا، والتي تذكرنا بتوقعاته إزاء اندفاع الرأسمالية نحو الاحتكار، ويبدو أنه من السابق لأوانه أيضاً الثناء على الانتصار الكوني الشامل للرأسمالية في الوقت الذي يستمر فيه الانهيار في اليابان للعام الخامس على التوالي، وتتفجر عملات جنوب شرقي آسيا من الداخل، وتبحث أوروبا عن عمل، وقد يخسر الشيوعيون القدامى معركة تكتيكية، لكن شبح الصراع الماركسي بين رأس المال والعمل، والذي أحياهم ولم يمت بعد. ■

المواجهة الاقتصادية بين آسيا والغرب

تعيش منذ فترة دول جنوب شرقي آسيا أزمات اقتصادية نقدية... ترى ما سر هذه الأزمات...؟ وهل هي أزمات طارئة أم أنها أزمات متوقعة بسبب افتقار هذه الدول للأنموذج الاقتصادي المناسب لها...؟ هذه القضية تناولها بالتحليل والتفصيل الكاتب الصحافي «فرنسيس ويرون» في جريدة اللوموند الفرنسية حيث يقول في مقاله:

في إطار الجدل الدائر الآن حول ما إذا كانت هناك معجزة آسيوية أو أزمة نقدية في جنوب شرقي آسيا، ثمة من يقول ليس هناك معجزة أو نمط آسيوي، وإنما هناك حشد هائل جداً للطاقات، وإذا كانت شركات أقصى المناطق بعداً في آسيا ذات خصوصية معينة فذلك لأن الأسس الاجتماعية والاقتصادية للتنمية لم تكن هي العامل الخصوصي الوحيد الذي يقوم عليه النمو والانطلاق الاقتصادي للمنطقة، وإذا كانت هناك خصوصية فإنها تلك الخصوصية التي تعد بادىء ذي بدء ثمرة المرونة والبرغماتية، مع أن كل نمط أو أنموذج يحتاج لمعايير تكون في خدمة الهدف الذي ينبغي تنفيذه.

وإذا كانت البنيات الأساسية المادية حديثة، فإن هناك أخرى تنبثق عن إرث ثقافي مثل التعليم والقيم الخلقية والبيروقراطية، وهذه البنيات الأخيرة تتيح لأمم معينة ولا سيما في شمال شرقي آسيا الإبقاء على استقرار اجتماعي نسبي بالرغم من سرعة تطورها الاقتصادي.

وقد يداعب البعض نفسه من خلال اقتناعه مثلاً بفكرة خاطئة مفادها أن اليابان قد لحقت بالغرب منذ العام ١٩٤٥م، مع أن الانطلاقة التي حققتها هذه الدولة هي التي أغرقت الأسطول الروسي في العام ١٩٠٥م، الذي كان يعد أقوى أسطول في ذلك الوقت ترجع إلى نهاية القرن التاسع عشر. وأن انفتاح هذه الدولة على الغرب في ذلك الوقت كان هو العامل الذي لا يمكن أن يكون وحده الباعث على تفسير تلك الطفرة الجبارة في العصر الحديث، إذ إن اليابان كانت قد ورثت في ذلك الوقت رأسمالية تجارية من الطراز الأول، بالإضافة إلى مستوى تعليمي ونمو للمدن، يمكن مقارنتها كلها بما كان لدى الغرب.

وينبغي هنا أن نلاحظ أنه إذا كانت الجزر اليابانية متأخرة على المستويين الاقتصادي والسياسي، فإنها لم تكن كذلك على المستوى الثقافي. وإذا استخدمنا عامل الزمان في حال انطلاق دولة مثل كوريا الجنوبية، وهي دولة عانت من الفقر في بداية الستينات، وتتمتع الآن بعضوية منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، أو انطلاق الدول الناهضة اقتصادياً في جنوب شرقي آسيا اليوم، لوجدنا أن عامل الزمان هذا خطير جدا حيث إنها «أي تلك الدول» حققت نهضة اقتصادية في وقت قياسي جداً بالنسبة لليابان وغيرها من الدول ذات الطفرة الاقتصادية.

غير أن طرائق الرأسمالية التي تمارسها الدولة في اليابان أو تلك التي استخدمتها كوريا الجنوبية حتى وقت قريب جداً ليست سوى عنصر من عناصر التنمية في هذه الدول، وقد نشأت على أساس نزعة برغماتية ظهرت بشكل زخم من المبادرات الفردية وتعاون بين الساسة وأوساط الأعمال.

ولذلك، فبدلاً من أن نركّز في الحديث على أنموذج ما فإنه من الأحرى بنا إذن أن نركز على القدرة المدهشة على التكيف مع الظروف التي تحدد عملية التنمية في دول المنطقة كلها، ففي جنوب شرقي آسيا، وجدنا أقليات صينية تنفض غبار البلادة والكسل سواء لصالحها هي أو لحساب أتباعها لتوافر جميع الفرص الممكنة وتستغلها أيضاً، وهذه الفرص هي التي يمكن توفيرها لتجار ذوي مكانة عالية وثقل كبير ومن هنا وجدنا العائلات الصينية الكبرى فيما وراء البحار مستعدة لمباشرة كل ما يوحى إليها به من مهام وصفقات بشرط أن يكون ثمة ضمان أكيد بأن هذه الصفقات لابد وأن تؤتي أكلها وتحقق الأرباح المتوقعة منها، وليس من المهم أن تجري عملية الاستثمار في مجال العقارات أو تجميع الدراجات النارية أو قطع الأخشاب أو الإلكترونيات، وعرفت هذه العائلات كيف تطوع نفسها لهذه الأعمال، وذلك بفضل ما اكتسبته من حنكة ودراية في العمل عن طريق المصاهرة والاتحادات وتخريج الأجيال الجديدة من أعظم الجامعات الغربية، ومن هنا تأكد النجاح بفضل جهود الصداقة والترابط والذكاء والعمل والنزعة التجارية في المرابحة بالإضافة إلى معطيات فئة أخرى ظهرت واضحة وقوية في بلاد الشرق الأقصى مثل الاندماج والتأقلم.

وبشكل أعم وأشمل أصبحت منطقة النفوذ الصيني مجالاً لانتهاز الفرص، بل إن الصين وفيتنام تركتا نظم التنمية الاشتراكية لدواع تتعلق بالإفلاس، ومنذ أن تم ذلك بدأ هناك نوع من المصالحة بين الاشتراكية السياسية والرأسمالية وذلك نتيجة للتباعد بينهما وليس على أساس برنامج أعمل فيه الفكر من أجل التنمية.

أما اليابان فقد أصبحت منذ العام ١٩٤٥م القوة الاقتصادية الثانية في العالم، وظلت متمركزة في قوقعة استراتيجية أميركية، وقلما تشعر حتى الآن بالحاجة إلى الخروج منها لتصدير مصنوعاتها ورؤوس أموالها الحال نفسها بالنسبة لكوريا الجنوبية، وكذلك تايوان منذ نحو عشرين عاماً.ونظراً لأن الآسيويين ليس لديهم أنموذجات خاصة بهم، ومن ثم ليس لديهم ضمانات أو كفالة، ولما كانوا في مواجهة قانون الأقوى، وهو قانون الغرب على الأقل في الوقت الحالي، فإنهم يثيرون لدينا انطباعا بأنهم يلجأون إلى ثلاثة إجراءات، أي أنهم يخزنون المال، حيث إنهم أكبر من يملك احتياطيا ضخما جدا من العملات الصعبة في الكرة الأرضية ويجسون النبض ويقاومون، ومع أن الغرب في موقف القوة الآن، إلا أنه قد يكون مخطئاً لو بالغ في تحدياته لهذه القوى الآسيوية المتألقة، وبرغم ذلك، فإن النقد اللاذع الذي وجهه محمد مهاتير رئيس وزراء ماليزيا ضد الأسواق والمضاربين الدوليين، ينم عن شعور بالقلق وعن شعور حقيقي بالظلم.

ولعل السؤال الحقيقي الذي تواجهه المنطقة، ليس ذلك الذي يتعلق بأنموذج قد يتحطم وإنما بأنموذج ينبغي اختراعه.

وليس بالضرورة أن يكون رد الآسيويين على مثل هذا السؤال هو نفس رد الغربيين، والحال انه لما كانت منطقة جنوب شرقي آسيا تواجه مفهوم العولمة الذي يعد أحدث صغية مشوهة للتلاقي لما فيه صالح الكيانات الاقتصادية الغربية، فإن هذه المنطقة ستظل يقظة جداً وحذرة طالما أنها لم تنجح في إيجاد سماتها الذاتية الخاصة بها. ■

فتاوى

التفريق بين مَحْرَمين تزوجا خطأ

ـ مرضت زوجتي وأُدخلت المستشفى لمدة شهر تقريباً، وفي هذه المدة كان لدينا طفلة صغيرة ترضعها ابنة عم لي، ومضت الأيام وكبرت ابنتي وجاء أخو المرضعة فخطبها وتزوجها، وأنجب منها ستة أطفال، كل ذلك ونحن لا نعلم أنه خالها من الرضاعة، إلى أن عرفنا الحكم عن طريق الصدفة، ونحن نستمع إلى فتوى من الإذاعة تشبه حال ابنتي وأنها محرمة عليه.

فما حكم الإسلام في هذا الزواج في هذه الحال؟ وماذا نفعل بالنسبة للأطفال، علماً بأن هذه الأسرة تعيش حياة زوجية موفقة، وليس بين الزوجين أي خلاف.

وهل عليّ وزر في حال الحرمة، علماً بأنني كنت أجهل الحكم؟

وما موقفي الآن من ابنتي وزوجها إذا رفضا طاعة أمري بالتفريق بينهما في حال الحرمة؟

هل أتركهما لتحمل مسؤوليتهما أمام الله؟ أم لا بد من إجراء قانوني آخر أطالب به؟

وبعد عرض الموضوع على اللجنة أجابت بما يلي:

أولاً: يجب التفريق بين الزوجين في الحال، لأن الظاهر من الاستفتاء أن هذه الفتاة رضعت من أخت الزوج أكثر من خمس رضعات مشبعات.

ثانياً: الأولاد الذين أُنجبوا من هذا الزواج يثبت نسبهم من أبيهم إذا كانوا قد أُنجبوا قبل العلم بالحكم الشرعي.

ثالثاً: الذين أقاموا هذا الزواج آثمون لعدم استفتائهم من أهل الذكر، ويعتبر مشتركاً في الإثم: محرر عقد الزواج لانه لم يسأل عن مثل هذا الامر ـ والمأذون ومن في حكمه ـ والولي والشهود.

رابعاً: لا عبرة في كون هذا الزواج موفق كما يقول المستفتي، لأنه زواج لا يستند إلى أساس شرعي.

خامساً: يجب رفع الأمر إلى القضاء ليحكم بالتفريق بينهما، بل يجب على كل مسلم علم بهذا الأمر أن يرفعه الى القضاء ليفرّق بينهما، فإن تعاشرا بعد قضاء القاضي معاشرة الزوجين كانا في حكم «الزانيين» والله أعلم.

الزواج بالكتابية

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من السيد/ فرنان، ونصه ما يلي:

بشأن زواجي بامرأة مسيحية وأنا مسلم، والحمد لله، أرجو إجابتي عن شرعية ذلك كما أرجو بيان وضع أولادي في الدين؟

أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز زواج المسلم من الكتابية: مسيحية كانت أم يهودية، إذا استوفى العقد أركانه وشروطه الشرعية من إيجاب وقبول وشهود.... إلخ، وعليه، للزوج المسلم أن يدعي إسلام أولاده من زوجته غير المسلمة متى وصلوا إلى سن يعقلون فيه الأديان، لأنهم يولدون على الإسلام تبعاً لأبيهم، ويحسن أن يرغبها في الدخول في الإسلام من غير إكراه، وعليه أن يفهمها واجباتها الزوجية من طاعة زوجها وحسن المعاشرة، وأن تحفظه في نفسها وولده وماله. والله أعلم.

منتقاة مما تصدره إدارة الإفتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

نقل قرنية العين ونقل الدم

ـ ما حكم نقل أو ترقيع قرنية العين من رجل مشرك إلى رجل مسلم وكذا تغيير الدم كله من دم مشرك إلى جسم رجل مسلم؟

ـ وبعد اطلاع اللجنة على البحث الذي أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والقرار رقم ٤٧ الصادر عن هيئة كبار العلماء بالملكة العربية السعودية بتاريخ ١٣٩٦/٨/٢٠هـ المنشور في مجلة البحوث الإسلامية عدد المحرم / جمادى ١٣٩٨هـ.

أجابت اللجنة بما يلي:

إن المطلوب من نقل القرنية، دفع الضرر الفادح الواقع على الأحياء المصابين في أبصارهم، وحيث إن ذلك مقصد عظيم تقره الشريعة الإسلامية، بل تحث عليه، لما ثبت من حثها على التداوي من الأمراض، وذلك يستلزم مشروعية وسائله ولو كانت في الأصل محظورة شرعاً إذا تحققت الضرورة، بأن تعينت الوسيلة للعلاج ولم يقم غيرها من غير المحظور مقامها فحينئذ يستباح من ذلك بقدر الضرورة. وبناء عليه يجوز أخذ القرنية السليمة من عين إنسان مشرك بعد وفاته لترقيع قرنية عين إنسان حي، ولو كان مسلماً على أنه يجوز أخذ قرنية مسلم لترقيع قرنية مسلم آخر إذا تعينت مخلّصاً من عمى أو ضعف شديد.

أما نقل الدم من جسم إلى جسم لضرورة العلاج، فليس فيه أي امتهان للكرامة، وإنما فيه أن الدم المسفوح محرم في الأصل فيكون لأجل الضرورة حلالاً لقوله تعالى: (وقد فصّل لكم ما حرّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه) الأنعام ـ ١١٩. ولذا لا حرج في نقل الدم عند الضرورة من مسلم أو غيره إلى مسلم أو غيره هذا وبالله التوفيق.

حق الورثة في صندوق الضمان الاجتماعي

حضر إلى اللجنة السيد/ عصمت، وقدم الاستفتاء التالي:
١ ـ توفي والدي رحمة الله عليه.
٢ ـ كان مشتركاً في صندوق الضمان الاجتماعي في إحدى الوزارات.
٣ ـ لديه زوجة وتسعة أولاد.
٤ ـ أوصى بصرف الضمان الاجتماعي لزوجته وأولاده القصر. (عفاف، ومازن، وأحمد، ومحمود)، وهم من الورثة الشرعيين. نرجو إفادتنا في كيفية صرف قيمة الضمان وجزاكم الله خيراً.
٥ ـ مرفق صورة عن حصر الإرث، وشهادة طلب إثبات الاشتراك في الضمان الاجتماعي مع العضو.

ـ أجابت اللجنة:

أولاً: إن هذه وصية لبعض الورثة دون البعض.
ثانياً: إن هذه وصّية بمعدوم ذلك أن الوصي لم يكن مالكاً حين الوصية لما أوصى به، وبالنسبة للأول فإن الإنسان إذا أوصى لوارثه فلم يجزها باقي الورثة لم تصح، بلا خلاف بين العلماء، وإن أجازها باقي الورثة فهي صحيحة نافذة، وإن أجازها بعضهم دون البعض نفذت في نصيب من أجازها.

وبالنسبة لكون الموصى به غير موجود وقت الوصية فلا يمنع ذلك من صحة الوصية، فإن الوصية بالمعدوم جائزة، فإنه يملك، فلم يعتبر وجوده وقت الوصية، ولأن الوصية أجريت مجرى الميراث، ولو مات إنسان وتجدد له مال بعد موته بأن يسقط في شبكته حين ورثه ورثته، ولذلك قضي بثبوت الإرث في ديته وهي تتجدد بعد موته، فجائز أن تملك الوصية المعدومة حين الإيصاء، وإن أجاز باقي الورثة الوصية نفذت وقسمت على الزوجة والأولاد بالتساوي، لأن الموصي جعلها بينهم بلا تفاضل، والشركة تقتضي المساواة، والله أعلم.

تبني من لا نسب له

عُرض على اللجنة سؤال يدور حول أسرة غنية، لم يولد لها ولد، وعاش الزوجان عمراً طويلاً لم يسعدا بميلاد مولود، فتبنيا ابناً، وقبل وفاة الأب بسنتين سجل الابن هذا باسمه، ووافقت الزوجة على هذا القرار، ويدعى الآن رسمياً واجتماعياً باسم ذلك الرجل واسم زوجته، وتقول السائلة: إن الله عز وجل قال: (ادعوهم لآبائهم) الأحزاب ـ ٥، فكيف نوفق بين قرار ذلك الرجل ـ الأب المزعوم ـ وبين قول الله عز وجل، وهل نأثم إذا سميناه باسم من ادعاه وخالفنا قول الله، أم أن الآية الكريمة جاءت أمراً على الأب المدعي فقط؟

ـ أجابت اللجنة:

إن تبني مولوداً ـ ذكراً أو أنثى ـ مع العلم بأنه ليس منه بعقد معتبر شرعا ولا وطء بشبهة، ولا بعقد فاسد، يعتبر باطلاً شرعاً، ويأثم المتبني، وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذا العمل بأنه قول باللسان لا يستند إلى واقع شرعي، وأن من علم أن الولد ليس ممن تبناه لا يدعوه باسم من تبناه امتثالاً لقوله تعالى: (وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً) الأحزاب ٤ و ٥.

على أنه ينبغي في هذه الحال أن تعلم السائلة أنه إذا كان هذا الولد ممن يولد مثله لمثل متبنيه، ولم يكن له نسب معروف، أنه يثبت نسبه قضاء، أما ديانة، فلا.

وعلى زوجة المتبني وبناته وأخواته أن يعاملنه كرجل غريب، فيحتجبن عنه ولا يختلين به، لأنه في الحقيقة أجنبي عنهن، وكذلك المرأة لا يجوز لها ادعاء أمومة هذا الرجل.

زواج السكران

ـ قبل سنتين عُقد قراني على إحدى قريباتي، وفي ليلة الملكة كنت شارباً خمراً أنا وأخوها، فهل العقد صحيح؟ علماً بأنني تركت شرب الخمر منذ سنة، والحمد لله.

وسألته اللجنة: هل كنت واعياً أثناء العقد؟
فأجاب: نعم، كنت واعياً.

وعلى هذا أجابت اللجنة:
إن العقد صحيح، ونصحته اللجنة بتقوى الله بالابتعاد عن شرب المحرمات.

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ ٢٤٦٦٩١٤ ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

مرسى

بقلم: يوسف عبد الرحمن

الكلمة

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

الكلمة كانت ولاتزال وستبقى مسؤولية، وهي اروع ماوهبه الله للانسان في هذه الحياة، فبالكلمة وحدها نطق الانسان، وبها ادرك سر وجوده، وبالكلمة عبّر عن احاسيسه وخلجات مشاعره، وبالكلمة صاغ الانسان اجمل مراحل تاريخه وحياة غيره من الكائنات وعبّر عن ذاته، واحداث وجوده واسرار الحياة.

على مر أحقاب الزمان والتاريخ سطر الانسان أروع ماعرفه من العلوم على صفحات الحجر والخشب وماملكت يداه رؤاه الخيالية والواقعية المنطقية والوجدانية.

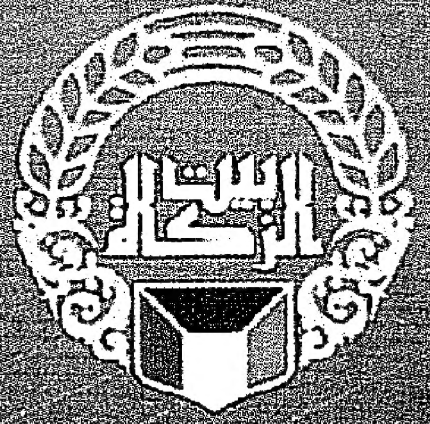
الكلمة هي اساس قصة وجود الانسان فبالكلمة يتعبد ويتهجد وبالكلمة سعى العلماء عبر التاريخ للبحث في اسرار الكلام وفنونه سواء أكان شعرا ام نثرا ومع الكلمات صاغ الانسان تاريخه على الارض وقرأ كلمة الله في كتابه الحكيم «القرآن الكريم» وبالكلمة تتواصل الدلالات الفكرية واصولها، وعلاقاتها، سواء كانت حواراً او تاريخاً، خلال مراحل الحياة المتتابعة التي عايشها الانسان.

تجربة الانسان في الحياة مرهونة بما دونه في صحائف الفخار وورق البردي وعلى جذوع الاشجار والحضارات الغابرة في عصور تمتد آلاف السنين في عمر الحضارة الإنسانية.

إن الإنسان بحاجة الى الكلمة السامية التي لاتنضب في المخزون الفكري للإنسانية وليوجهها وجهة الخير الموروث قديما وحديثاً.

ان الكلمة هي التعبير الموحد الذي توسل به الانسان لخالقه ولغيره من بني البشر وهي ابداع انساني يعبر به الانسان عن تصوراته وآرائه ومقترحاته داخل ذاته وخارجها في آن واحد.

الكلمة اليوم من وسائل الترويح والتخفيف ومن وسائل الإثارة والتهديد وهي سلاح ذو حدين قد ترجع على قائلها بالويل فيصيبه منها بعض ماأراد ان يوقعه بالآخرين والنصيحة اليوم لاخوتنا في الصحافة والصحافة الإسلامية على وجه الخصوص بأن ينتبهوا الى الكلمات. فالكلمة إما ان توصلك لمبتغاك او ترجع اليك وعليك ويكفي الكلمة اليوم انها لسان المتكلم والكاتب والحكم عليها اولا واخيرا للقارىء الكريم. ■


بيت الزكاة

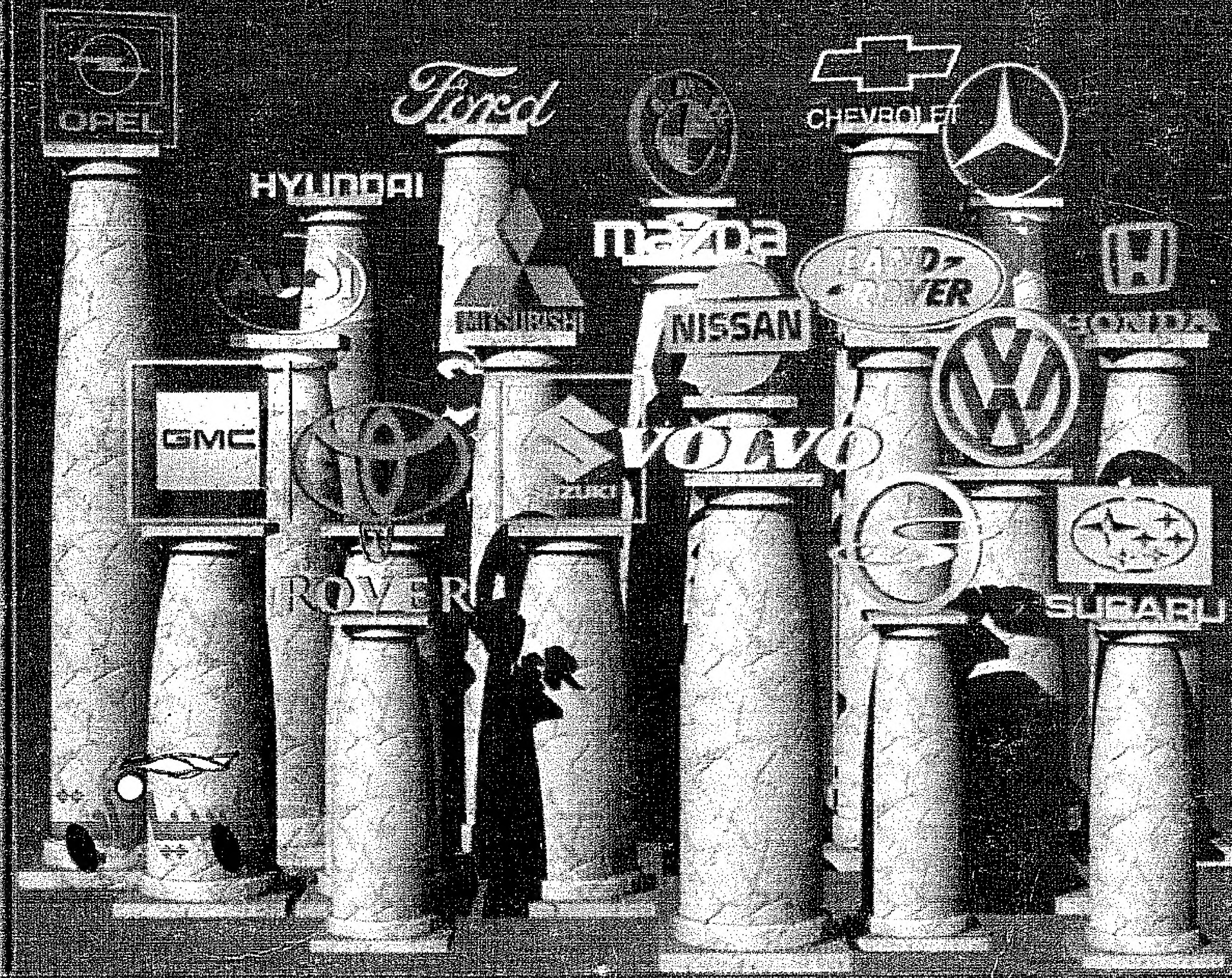

بيت الزكاة

شاهدوها في

معرض المعارض

موديلات ١٩٩٨

جميع انواع السيارات تحت سقف واحد
خدمة مندوبي الوكالات
بيع السيارات المستعملة
اسعار مميزة لاصحاب الشركات و مكاتب التاجير والتاكسي
الموافقة فورية ولاتحتاج للانتظار
الاستئجار مع المواعدة بالتملك
اكبر معارض السيارات المستعملة في الشويخ والفروانية



بيت التمويل الكو

الأمانة والاطمئنان